

الجوارح الأربعة



تأليف : وولتر فارلي
ترجمة : بدر شاكر السياب
مراجعة : جبر اليراهيم جبرا

الجزء الأول

(رواية)

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

نشر بالاشتراك مع
مؤسسة فونكلين المساهمة للطباعة والنشر
بغداد – نيويورك
١٩٦١

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي - Sarmed- Twitter: @sarmed74

قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

الجواز القديم

تأليف : وولتر فارلي

ترجمة : بدر شاكر السياب

مراجعة : جبر ابراهيم جبرا

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

هذه الترجمة مرخص بها وقد قامت
مؤسسة فونكلين المساهمة للطباعة والنشر
بشراء حق الترجمة من أصحاب هذا الحق

This is an authorized translation of

THE BLACK STALLION

By Walter Farley

Copyright, 1941, By Walter Farley

Published By Random House,

457 Madison Ave, New York 22.N.Y.

« المسهمون في هذا الكتاب »

المؤلف : وولتر فارلي : روائي أمريكي نال شهرة واسعة بعد ان ألف روايته هذه « الجواد الادم » التي أخرجت فيلماً سينمائياً لقي نجاحاً منقطع النظير ، مما دفعه الى تأليف عدد من الروايات التي تابع فيها حياة الجواد الادم وسلاته .

المترجم : بدر شاكر السياب : ولد في أبي الحصيب (البصرة) عام ١٩٢٦ وتخرج من دار المعلمين العالية مختصاً باللغة الانكليزية والأدب الانكليزي عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ . شاعر معروف ، من دولونه الشعرية : أزهار ذابلة ، اساطير ، انشودة المطر .

ترجم كتاب « مولد الحرية » تأليف فرجينيا ليفرت .

المراجع : جبرا ابراهيم جبرا : تلقى العلم في الكلية العربية في القدس ، وجامعة كمبرج في انكلترة ، وجامعة هارفرد في الولايات المتحدة ، وكان احد مدرسي الأدب الانكليزي في الكلية الرشيدية حتى عام ١٩٤٨ ، وفي كلية الآداب ببغداد من ١٩٤٨ - ١٩٥٢ ، وهو الآن من مترجمي شركة النفط . له كتب عديدة منها : « عرق وقصص اخرى » ، ورواية « صراخ

في ليل طويل، «رواية» Hunters in a narrow Street «مقالات نقدية
ب عنوان : الحرية والطوفان ، ومجموعة شعر باسم : « تموز في المدينة » وله
ترجمة ادونيس « من كتاب الغصن الذهبي » للسير جيمس فريزر ،
« وماملت لشيكسبير » . وقد ترجم لمؤسسة فرنكلين عدة كتب منها كتاب
« ما قبل الفلسفة » كما راجع لها عدة كتب ايضاً .

نحو الوطن

شقت الباخرة جواية الآفاق (دريك) المياه مبتعدة عن ساحل الهند ودفعت
حيزومها الكليل في البحر العربي ، تقصد الوطن . وفي بطنها أخذت طريقها الى
الغرب نحو خليج عدن . وكان عنبرها محملاً بالقهوة والرز والشاي وبنور الدهن
والجوت . تدفق الدخان الأسود من مدخنتها الفرد ، صافياً الساء الحارة
الصاحبه بالقتام .

كان الكسندر رامسي الابن ، الذي كاث معروفاً بين اصدقائه في الوطن في
مدينة نيويورك ، يتكئ على دربين السفينة ويراقب الماء وهو ينزل
مبتعداً عن جانبي السفينة . كان شعره الأحمر يتوهج أشد احمراراً من اي وقت
مضى في الشمس الحارة . وكان كوعاه المسمران يرتحان ، يتناقل ، على الدربين
وهو يستدير بوجهه المجد نحو الشاطئ الذي راح يجتفي مريعاً .

كانا فكاها وأنسا - هذات الشهران في الهند . ولسوف يفقد العم رالف ،
وفتقد الأيام التي قضياها معاً في الأحراش ، وحتى صيحات الفهود وأصوات ليل
الأحراش العديدة المفزعة . لن يفكر مرة أخرى بعمل البشر كعمل للختين .
كلا ، ياسيدي لا بد ان تكون ضخماً قوياً ، قادراً على ان تمتطي ظهر الجواد
ساعات طويلة في دروب الغابة المتشابكة .

وحدث أليك ، في ازدهاء ، في المضلات القوية التي في ساعديه . لقد علمه

لعم رالف كيف يركب الحصان، وكان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يريد ان يفعله.
ولكن ذلك كله قد انتهى الآن . ولن يمتطي صهوة الجواد في الوطن الا قليلا . وانفتحت قبضته ، وفي ودراج يتأمل سكينه الجيب الصدفية التي كانت يمسكها بيده . كان مكتوباً عليها بماه الذهب : « الى أليك في عيد ميلاده ، بومباي ، الهند » . تذكر ايضا كلمات عمه : « ان السكينه ، يا أليك ، تكون مفيدة بعض الأحيان » .

وعلى حين غرة هبطت يد ضخمة على كتفه . وقال صوت غليظ ، بلهجة انكليزية اكيدة : « إذن يا بني ، أنت في طريقك الى الوطن » .

ورفع أليك بصره الى وجه القبطان المجدد الذي لفتحه الريح ولوحته بالسفرة ، وأجاب « هلو ، كابتن واطسون . انه ، بالأحرى ، طريق طويل الى الوطن رغم ذلك يا سيدي » . الى انكلترا معك ، ثم الى نيويورك على ظهر الباخرة ماجستيك ، وحوالي الأريضة أسابيع من الابحار ، كلها ، أيها القتي . ولكنك تبدو كمن يحسن مقاومة البحر » .

— « انني كذلك ، يا سيدي . ولم أمرض مرة طوال الطريق الى الهند ، وقد لاقينا عبوراً شاقاً ايضاً » . قال أليك في ازدياء .

ومتى نجت ؟ — « في حزيران يا سيدي ، مع بعض اصدقاء أبي . وقد تركوني مع عمي في بومباي إنك تعرف . العم رالف ، أليس كذلك ؟ لقد صعد الى السفينة معي وتحدث الي » .

— « بلي ، انني اعرف عمك رالف . رجل فاضل ايضاً ... وأنت عائد الى الوطن وحده ؟ » .

— « نعم ، يا سيدي ، ان المدارس تفتح في الشهر القادم وعلي ان اكون هناك » .

ابتسم القبطان وتناول ذراع أليك وقال : « تعال معي . سوف اريك كيف

توجه دفة هذه السفينة وما الذي يجعلها تنطلق .

كان القبطان والبحارة وكل من في السفينة لطفاء مع أليك ، ولكن الأيام كانت تنضي رتيبة على القتي العائد الى الوطن بينا أخذت الـ « دريك » تشق طريقها خلال خليج عدن داخلة في البحر الأحمر .

كانت الشمس الاستوائية تضرب ، دون رحمة ، رؤوس المسافرين القلائل على ظهر السفينة .

بقيت الـ (دريك) قريبة من ساحل جزيرة العرب - تحاذي أميالا لا تنتهي من الصحراء العارية . لكن أفكار أليك لم تكن تدور حول الرمل المحرق . جزيرة العرب - حيث تربى اعظم الجياد في العالم ، أكان الآخرون يحملون بالجياد بالطريقة نفسها التي كان يحلم بها ؟ كان الجواد ، بالنسبة اليه ، أعظم حيوان في العالم .

ثم في ذات يوم توجهت الـ (دريك) الى ميناء عربي صغير . وبينما راحوا يقتربون من المرسى الصغير ، رأى أليك حشداً من الأهالي يتطاحنون في هياج عظيم فالظاهر ان رسو سفينة هناك لم يكن من الاحداث المألوفة كثيراً .

ولكن ، حين نزلت لوحة العبور مرسله صوتاً قوياً ، استطاع أليك ان يرى ان السفينة ذاتها لم تكن هي التي اجتذبت كل ذلك الاهتمام .

كان الأهالي يحشدون صوب وسط المرسى . مع أليك صغيراً حاداً ، عاليًا ، واضحاً لا يشبه أي صغير ميمه من قبل . ورأى جواداً أدم جباراً يقف على قائمتيه الخلفيتين ، وقدماه الأماميتان تضريان الهواء وعيناه مشدودتان بعصاة بيضاء وتفرق الحشد وهرب .

كان زبد أبيض يتصبب من جمد الجواد . وكان فيه مقوفاً وأسنانه مشرعة . كان جواداً جباراً ، أسود لامعاً - كأنه اكبر جسم من ان يكون جواداً عربياً خالصاً . كان عرقه كريشة خوذته ، يرتفع ثم ينخفض . وكانت رقبته طويلة منحنية تتصل ، مقوسة بالرأس الصغير ، الوحشي الجمال . كان رأسه رأس شدة الحيوانات الوحشية كلها وحشية - جواداً ولد وحشياً - وكان جليلاً ، ضارباً

رائعاً . كان جواداً ذا كمال جسدي مدهش يتلام وروجه الضارية التي لا تعرف الرحمة .

ومرة أخرى حمم الأدم وارتفع على قائميه الخلفيتين . ولم يستطع إليك ان يصدق عينيه وأذنيه الا بصعوبة - جواد ، جواد وحشي - غير مذلل كالذي كان يقرأ عنه ويحلم به .

كان حبلان يؤديان من الرسن الى رأس الجواد ، وكان اربعة رجال يحاولون ان يجذبوا الجواد نحو لوحة العبور . ورأى إليك رجلاً قائم البشرة يلبس بذلة أوروبية وعمامة بيضاء عالية ، يوجه الأوامر والارشادات . كان يمسك سوطاً بيده . وأعطى أوامره بإيجاز في لغة لم يكن إليك ليعرفها . وعلى حين غرة سار الى مؤخرة الجواد وجعل السوط القاسي يهبط على قائميه الأدم الخلفيتين وجمع الجواد بسرعة وصدم أحد الاهالي المسكين بالحبل . وانطرح الرجل على الأرض ساكناً . وشخر الأدم ووثب ، واذا كان إليك قد رأى الحقد يعبر عنه جواد فقد رآه آنذاك .

وكانوا قد لوصولوه الى لوحة العبور . تسائل إليك أين سيضعونه اذا ما نجحوا في اصاله الى السفينة .

ثم صعد الى السفينة ! ورأى إليك الكابتن واطسون يلوح بذراعيه في جنون مشيراً الى الرجال صارخاً بهم ان يجذبوا الجواد نحو الدفة . وتبعهم الفتي على مسافة تبقيه في مأمن من الأذى . والآن رأى الاضطبل المؤقت الذي كانوا يحاولون أن يدخلوا الأدم فيه - لقد كان في وقت ما قرة ذات اتساع لا بأس به . لم يكن لا (دريك) الا وسائل قليلة لتقل الحيوانات ، وكان تعتبرها محملاً تحميلاً هزيلًا بالبضاعة .

وأخيراً جاءوا بالجواد أمام الاضطبل . تصلق أحد الرجال الى أعلى القمرة ومد نفسه الى أسفل وانتزع المتدبل من علي عيني الجواد .

وفي الوقت ذاته ضرب الرجل الأسير الجواد على قائميه الخلفيتين فجمع الجواد

مندفعاً الى الداخل . وفكر أليك بأن الاصطبل لن يكون فيه من القوة مايكفي لاحتواء الجواد . وهذا الجواد الحشْب وأرسله متطياراً ، وقمّع الرعد من تحت سنايكه . وجرشت قوائمه الجبارة جوانب القمرة . وبعت صغيره الوحشي الحام العالي العرشة في صلب أليك . وأحس بشقعة عميقة تتسلل طاغية عليه ، فقد كان هنا جواد وحشي اعتاد على المدى الطلق ، يحبس في اصطبل لا يكاد يكون فيه قادراً على ان يستدير .

كان الكابتن واطسون يتحدث ، في غضب ، الى الرجل الأسمر . ولعله لم يكن يتوقع ابداً ان يحمل في سفينته شحنة كهذه الشحنة . ثم اخرج الرجل محفظة نقود متفتحة من داخل سترته وعدّ النقود وفرزها وسلمها الى الكابتن . ونظر الكابتن واطسون الى القوائم ثم الى الاصطبل . وأخذ النقود وهز كتفيه ومضى .

وجمع الرجل الأسمر الأهالي الذين ساعدوه في اصعاد الجواد الى السفينة واعطاهم نقوداً من محفظته وغادروا هابطين لوحة العبور .

وسرعان ما استأنفت الـ (دريك) سفرها . حلق أليك الى الميناء ، وهو يرقب الجماعة وقد تجمعت حول جثة المواطن الخادمة ، ذلك الرجل الذي سخّنته سنايك الأدم الجبارة . ثم استدار نحو الاصطبل . كان الرجل الأسمر قد ذهب الى قمرته وكان المسافرين والمنفعلون هم وحدهم الواقفين خارج الاصطبل ، والجواد الأدم ما زال يقاتل في جنون داخل الاصطبل .

كانت الأيام التي تلت ذلك أياماً محومة بالنسبة لأليك والمسافرين والبحارة . لم يكن يحلم قط ان حصاناً يمكن ان تكون له مثل هذه الروح ، وان يكون عصبياً على الترويض كهذا . كانت السفينة تُصدي الى اعماق الليل من الضربات التي تضرها تلك القوائم القوية .

كان خارج الاصطبل مغطى بالتحصينات الآن . واصبح الرجل الأسمر أكثر غموضاً مما كان — فهو على الدوام وحيد لا يتحدث الى أحد غير القبطان .

وأبحرت الـ (جريك) عبر السويس إلى البحر الأبيض المتوسط .

في تلك الليلة تسلل إليك الى سطح السفينة ثم كآ بقية الركاب يلعبون الورق ، أنصغى بعناية . كان الادم هادئاً الليلة . وبسرعة سار في اتجاه الاصطبل . وفي أول الامر لم يستطع ان يرى او يسمع شيئاً وفيما ألقت عيناه الظلام ، ميز منخري الادم القرمزيين وكان الادم قد ابرز رأسه من النافذة .

سار إليك في بطء نحوه . ووضع احد يديه في جيبه ليرى ما اذا كان السكر الذي أخذته من مائدة العشاء ما يزال هناك .

كانت الريح تهب تجاهه ، حاملة راحته بعيداً معها . لقد اقتربنا الآن .

كان الادم يطل الى البحر الطليق ، واذناه متصبّتان ومنخراه يبشرتها الرقيقة برتجفان وعرفه الاسود يرفرف كشعلة لعبت بها الريح .

لم يستطع إليك ان ينتزع عينيه عنه . لم يستطع ان يصدق أن في الدنيا حيواناً رائع الكمال كهذا .

استدار الجواد ونظر مباشرة اليه — وتألفت عيناه السوداوان . ومرة اخرى ملأ ذلك الصغير الحاد هواء الليل ، واختفى الجواد في اصطبله . أخرج إليك السكر من جيبه وتركه على دكة النافذة . وذهب الى قمرته . وحين عاد فيما بعد كان السكر قد اختفى . وفي كل ليلة فيما بعد كان إليك يتسلل الى الاصطبل ويترك السكر ويفادر وكان يرى الادم في بعض الاحيان وفي احيان أخرى يسمع قرقرة السنايك على أرض الاصطبل ، وحسب .

العاصفة

توقفت الـ (دريك) في الاسكندرية وينفازي وطرابلس وتونس والجزائر ، واجتازت صخرة جبل طارق واستدارت شمالاً ضاعداً الى جانب ساحل البرتغال . والآن كانوا قد خلصوا من رأس (فستير) على ساحل اسبانيا وأخير الكابتن واطسون إليك بأنهم سيكونون في انكلترا خلال ايام قليلة .

وتساءل إليك في نفسه لماذا يشحن الأدم الى انكلترا ... ربما ليحفظ في اصطليل للخيول ، ربما لينسل ذرية . الكتفان المائلان ، واللبان العميق العريض ، والقوائم القوية والركب التي لا هي عاليه جداً ولا واطنة جداً ، كانت هذه ، كما علمه عمه ، امارات السرعة والتحمل .

في تلك الليلة قام إليك برجلته المعتادة الى الاصطليل وجيياها متفتختان بالسكر . كان الليل حاراً ساكناً . وغشت سحب ثقيلة على النجوم ، وفي المدى البعيد كانت عروق طويلة من البرق تتسابق عبر السماء . اطل الادم برأسه من النافذة مرة أخرى ، كان ينظر الى البحر ومنخراه يرتجفان أكثر من أي وقت مضى . واستدار وصفر حين رأى الفتي ، ثم واجه الماء مرة أخرى .

أحسن إليك بالازدهاء - كانت المرة الاولى التي لم ينسحب الجواد فيها الي

داخل الاصطبل لدى رؤيته . واقترب الفتى ، ووضع السكر في راحة يده وفي تردد بسطها الى الجواد . استدار الادم ومرة أخرى صغر صغيراً ، ارق هذه المرة . ووقف أليك حيث كان . لم يكن هو ولا سواء على مثل هذا القرب من الجواد منذ ان جاء الى السفينة . لكنه لم يفتّم الفرصة فيمد ذراعه الى الاسنان المشرعة والمنخرين المتتويين . وبدلاً من ذلك وضع السكر على قاعدة النافذة . نظر الادم الى السكر ثم الى الفتى . وفي ببطء تحرك من مكانه وبدأ يأكل السكر . راقبه أليك للحظة من الزمن وهو يشعر بالرضى ، ثم عاد الى قمرته فيما بدأ المطر يهطل .

واستيقظ على حين غرة مذهولاً في وسط الليل . لقد ترنحت الـ (دريك) في جنون وانقذف الى الارض . وفي الخارج كانت هناك قممعات قوية من الرعد ، وعروق البرق تضيء قمرته كالنهار .

العاصفة الاولى التي يشهدها في البحر ! جذب جبل الضياء ، لقد كان ميتاً لا حياة فيه . ثم أنارت القمرة مرة أخرى ومضة من البرق . كنست مائدة الكتابة في غرفته مما كان عليها ، وتقطعت ارض الغرفة بالزجاج المحطم . وفي عجالة لبس بنطلونه وقيصه وخفيه وتوجه نحو الباب ، ثم توقف . وعاد الى الفراش وركع على ركبتيه ومد يده تحت السرير . سحب طوقاً للنجاة وربطه حول نفسه . واملأ انه لن يحتاجه .

فتح الباب واخذ طريقه وهو يتعثر الى سطح السفينة . ودفعه غضب العاصفة وغیظا الى المرمر . وتعلق بدريزين السلم وحقق في الخواء الاسود . سمع صيحات الكابتن واطسون والبحارة تطفو واهنة على زئير الرياح . وكانت امواج هائلة من الماء تكنسح الـ (دريك) من جانب الى آخر . وازدحم الركاب الثائرة اعصابهم في المرمر . كان أليك خائفاً بحق الآن ، فلم يسبق له أن رأى عاصفة كهذه ! وطوال الفترة التي بدت له ساعات ، راحت الـ (دريك) تشق طريقها خلال موجة بعد موجة وهي تضطرب مائلة على جانبها لكنها استطاعت بطريقة ما ، ان تظن طاغية . ولم تتلاش عروق البرق الظولية او تغل . كانت قرعهاها الحادة

— وهي تسلك طريقاً ملتوياً في السماء — تصدى على الماء .

ومن المر رأى أليك أحد البحارة يأخذ طريقه على طول سطح المركب باتجاهه وهو يكافح بيأس ، لكي يتمسك بالدريزين . وترنحت الـ (دريك) الى الجانبين واكتسحتها موجة هائلة . وبعد ان انحسرت الموجة ، كان البحار قد اختفى . اطبق القتي عينيه وصلى .

بدأت العاصفة تهدأ قليلاً وأحس أليك بأمل جديد . ثم بدا ، على حين غرة ، ان قذيفة من النار تسقط من السماء عليه . قعقة حادة واهتزت السفينة . وانقذف أليك على وجهه ، غدر الحس . وفي بضع استعاد وعيه . كان منطرحاً على معدته . وأحس بوجهه حاراً لزجاً . رفع يده وسحبها ملوثة بالدم . ثم أحس ، بأقدام تطأه . كان الركاب ، مولولين صارخين ، يتسلقون ويزحفون عليه . فقد كانت الـ (دريك) ساكنة — ومحر كاتها ميتة .

دفع أليك بنفسه ، بعد نضال ، واقفاً على قدميه . وفي بضع أخذ طريقه على سطح السفينة . والتقطت عيناه المذعورنان المشهد من حوله . بدت الـ (دريك) وقد صعبها البرق مشطورة الى نصفين ! كانوا يفرقون ! ومن الغريب ان يكون شعوره بارداً ، مع ما بدا من ان النهاية قريبة جداً ، كانوا يزودون زوارق النجاة بالرجال ، وكان الكابتن واطسون هناك يصرخ بالأوامر والارشادات . كان أحد الزوارق ينزل الى الماء . وأخذته موجة كبيرة من جانبه وقلبتة — واختفى من فيه تحت الماء .

كان زورق النجاة الثاني يعلأ وانتظر أليك دوره . ولكن حين جاء ذلك الدور ، كان الزورق قد بلغ غاية حمولته ، وقال الكابتن واطسون بصرامة : « انتظر الزورق الثاني يا قتي » . ووضع ذراعه على كتف الغلام . وحاول أليك جهده لكي يتنسم . وفيما كانوا يراقبون زورق النجاة الثاني ينزل الى الماء ، ظهر الرجل الأسمر واندفع الى القبطان ، ملوحاً بذراعيه مثيراً بصورة هستيرية .

هتف الكابتن واطسون به : « تحت السرير ! تحت السرير ! » ثم رأى أليك

ان الرجل كان دون طوق نجاة . والتفت - والرعب في عينيه - عن الكابتن إلى أليك . وفي جنون اندفع الى العلام وحاول ان ينزع طوق النجاة من ظهره . كافح أليك وناضل ، ولكنه لم يكن يوازي الرجل نصف المجنون قوة ، ثم وضع الكابتن وأطسون يديه عليه ورماه على الدريزين .

رأى أليك عيني الرجل نتجهان الى زورق النجاة الذي كان ينزل الى الماء . اوقبل ان يستطيع التقطان ايافه ، كان يتسلق من على الدريزين . كان يريد ان يقفز الى الزورق امايلت الا (دريك) على حين غرة . ففقد الرجل توازنه وسقط الى الماء وهو يصرخ . ولم يبرز الى سطح الماء ابداً .

لقد غرق الرجل الأسير . وفي الحال فكر أليك بالادهم . ما الذي يحدث له ؟ شق أليك مدفوعاً بجافز لا يقاوم ، طريقه ، نحو دفة السفينة . اذا كان الجواد حياً فسوف يطلق سراحه ويعطيه الفرصة لان يقاقل من أجل حياته .

كان الاصطبل ما يزال قائماً . سمع أليك صغيراً حاداً يرتفع على الماصفة . اندفع الى الباب ورفع القصب الثقيل واشرعه . ولثانية من الزمن توقفت السنايك الجبارة عن قرع الارض وكان ثمة صمت . وتراجع أليك منسحباً في بطنه .

ثم رأى الادهم ، وقد رفع رأسه عالياً ومنخره متسعاً من الهياج . وعلى حين غرة شخرو وقفز الى الدريزين . شل أليك فلم يستطع حراكاً . كانت احدى يديه على الدريزين الذي كان مكسوراً في ذلك المكان غير تارك شيئاً بينه وبين الماطليق . انحرف الادهم حين اقترب منه وأدرك القتي ان الجواد يتجه نحو الفجوة . احتك به متن الجواد وهو ينحرف ، وانقذف أليك طائراً الى الفضاء وأحس بالماء يطبق على رأسه .

حين ارتفع من تحت الماء ، كان اول ما فكر به : السفينة . ثم سمع انفجاراً ورأى الا (دريك) تغوص عميقاً في الماء . وفي جنون تلفت حواليه باحثاً عن زورق نجاة ، لكنه لم ير أي زورق . ثم رأى الادهم يسبح على بعد لا يزيد عن ياردات عشر . هفّ شيء ما الى جانبه - جبل ، وقد كان موصولاً برسن الادهم .

كان نفس الجبل الذي استعملوه لاصعاد الجواد الى السفينة والذي لم يحلوه . ثم جذب أليك خلال الماء ، الى البحر الطليق .

كانت الامواج ما تزال هائلة لكن أليك ، بمعونة من طوق النجاة ، استطاع ان يبقى على القمة منها . لقد ذهب الآن الى أبعد مما يستطيع معه ان يفكر كثيراً بما قد فعل . كان لا يعرف غير انه مخير بين ان يبقى في الماء وحيداً ، او ان يحرق الادمم . اذا كان لا بد من الموت فأحرى به ان يموت مع الجواد الجبار من ن يموت وحيداً . نظر نظرة اخيرة وراه ورأى الا (دريك) تقطس الى الاعماق .

راح أليك يصارع الامواج لساعات . كان قد ربط الجبل ربطاً محكماً حول طوق النجاة الذي يلبسه ، وبصعوبة متناهية استطاع ان يبقى رأسه مرفوعاً . أحس بالجبل يرتخي على حين غرة . فقد توقف الادمم عن السباحة ! وانتظر أليك بقلق . استطاع وهو يخترق الظلماء يبصره ، ان يتبين رأس الجواد وحده . مزق صغير الادمم اديم الهواء . بعد دقائق قليلة توتر الجبل مرة اخرى . كان الجواد قد غير اتجاهه . مرت ساعة اخرى ثم تضاءلت العاصفة وتلاشت الى امواج عالية متلاطمة . وظهرت على الافق الخيوط الاولى من الفجر .

كان الادمم قد توقف اربع مرات في اثناء الليل يمضي كل مرة كان يغير اتجاهه . وتساءل اليك في نفسه عما اذا كانت غريزة الجواد الوحشية تقوده الى البحر . اشرفت الشمس وشعت ملتزمة على رأس الغلام . وجعله الماء المالح الذي ابتلعه في اثناء الليل ، يكاد يحين من الظلماء . ولكن حين احس اليك بأنه لم يعد يستطيع الصبر مدة اطول ، تطلع الى الحيوان المكافح المقاتل امامه ، فأنبعثت فيه شجاعة جديدة .

ادرك ، على حين غرة ، انها ذاهبان مع الامواج ، بدلا من الذهاب ضدها . هز رأسه محاولاً ان يصفي ذهنه . نعم ، لقد كانا يتعمدان عن وسط اللجة ، ولا بد انها قريبان من البر . وبلهفة اشراق بعينيه المملوحتين ملحاً ونظر الى المدى . ثم رآه - على مسافة ما يقارب ربع الميل ، الشاطئ ! جزيرة وحسب ، ولكن لا بد ان يكون هناك طعام وماء ، وفرصة للبقاء على قيد الحياة . وامرغ فأسرع حتى

وصلا الى الرمل الابيض . كانا وسط الامواج المتكسرة على الشاطئ . بدد السكون
تصهال الادهم .. وهو يقدر على المشي . تعثر قليلا ثم هز راسه الاسود . ثم تغيرت
حركته على نحو عجيب ، وراح اسرع من ذي قبل خلال الماء الضحضاح .

دار راس اليك وداخ — يا لقوة هذا الحصان وتحمله ! كان يسحب نحو الشاطئ
بسرعة متزايدة ابداً . وعلى حين غرة ادرك خطر مركزه . يجب ان يحل الجبل
من حول خصره ، والا فيسحب ، حتى الموت ، على الرمل . وفي يأس طارت
اصابعه الى العقد . كانت مشدودة بقوة ، لقد تأكد من ذلك . وفي جنون راح
يعمل اصابعه فيها والشاطئ يقترب متسارعا ...

كان الادهم الآن على الساحل . بدا الرعد يقع من تحت سنايحه حين انفلت
خارجاً من الماء ان الساعات التي قضياها في الماء قد اورمت العقدة فلم يستطع اليك
ان يحلها . ثم تذكر السكين الصغيرة في جيبه . يمكن ان تكون هناك ؟ انطلقت
يده الى داخل الجيب الذي في مؤخرة بنطلونه . كان قد زرره لحسن الحظ .
وصلت اصابع اليك الى داخل الجيب وخرجت تقبض على السكين .

هو الان على الساحل والمواد يحره . تطاير الرمل في وجهه ، وبسرعة فتح
السكين وبدأ يقطع الجبل . كان جسده يحترق من الرمل وملابسة قد تمزقت عنه .
كانت سرعته تزداد كل ثانية من الزمن ! وفي جنون راح يحز في الجبل . وفي
سحبة نهائية للسكين — تحرر . احتضنت يده الممدودتان الرمل . وبينما اغلق عينيه ،
غغغ شفتاه الجافتان : « نعم — ايها العم رالف — لقد افادتني » .

الجزيرة

فتح أليك عينيه . كانت الشمس ، وهي عالية في السماوات ، تصب نارها على رأسه العاري ، أحس بوجهه ساخنا ولسانه متورما . وفي بضع دفع جسد المتعب من الأرض ثم سقط على الرمل . اضطجع ساكنا دقائق قليلة . ثم جمع نفسه وحاول ثانية ان ينهض على ركبتيه ثم على قدميه . ارتجفت رجلاه من تحتة . وفك بكلة طوق النجاة الممزق وتركه يسقط الى الارض .

تلقت حواليه . انه في حاجة يائسة الى الماء . رأى آثار سنايك الأدم في الرمل . ربما ستقوده ، اذا تبعها ، الى ماء عذب .

كان واقفا من ان الجواد ظامئ مثله . سار أليك متعثراً متخبطاً . آثار السنايك تنحرف عن المحيط انحرافاً خاداً متجهة نحو داخل الجزيرة .

لم يكن أثر من خضرة حوله — الرمل وحده . أستدار ونظر الى البحر الذي أصبح الآن هادئاً ساكناً . كل هذه الاحداث وقعت في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن ! ما الذي حدث للآخرين ؟ أطبق عينيه وحرك شفتيه .

بعد بضع دقائق استدار وأخذ طريقه نحو تل كبير من الرمال . وعند القمة

توقف . ومن حيث وقف استطاع ان يرى الجزيرة كلها . كانت صغيرة - لا يزيد محيطها عن ميلين . وهي تبدو عارية الا من اشجار قليلة وشجيرات ويقع قليلة متناثرة من العشب المحترق . كانت قمم صخرية عالية تنحدر الى البحر على الجانب الآخر من الجزيرة . كانت آثار سنايك الأدم تنحدر من التل ، وعلى مسافة قصيرة تحت اشجار قليلة متناثرة رأى أليك بركة صغيرة من ماء ينبوع . مر لسانه الجاف على شفتيه اليابستين المتفطرتين وتعتز سائراً الى عين الينبوع ، على مسافة مائة ياردة ، رأى الأدم يأكل العشب الجاف في جوع . ورأى أليك ، مرة أخرى ، ذلك الميناء العربي الصغير والحشد المتجمع حول جسد ذلك الرجل الممدد الذي ضربه الأدم . هل سيكون هو في مأمن من الجواد ؟

تطلع الأدم رافعاً رأسه من العشب الذي كان يرعاه . لاحظ الصي ان لجامه والحبل قد ذهباً - استطاع الجواد بطريقة ما ان يتخلص منها ، ساطت الريح عرفه . كان جسده الناعم الاسود يتألق تحت الشمس . رأى أليك فتجاوب صغيره الحاد خلال الهواء . وقب على قائمته الخلفيتين وقائمتاه الاماميتان تضربان الهواء . ثم هبط وخبطت قائمته الامامية اليمنى الثقانورات .

تلقت أليك حوله . لم يكن هناك مكان يلتمس المأوى فيه ، كان اضعف من ان يركض ، حتى لو كان ثمة مأوى . عاد بصره الى الجواد مسحوراً ببخاوق وحشي قريب كهذا القرب . كان هنا اشد جميع الحيوانات الوحشية وحشية - لقد قاتل من اجل كل ما يحتاج اليه : من اجل الطعام ، من اجل القيادة ، من اجل الحياة نفسها . كانت طبيعته ان يقتل او يقتل . ارتفع الجواد على قائمته الخلفيتين مرة اخرى ثم شخر وجمع نحو الغلام .

لم يتحرك أليك . كان جسده متخدراً . راقب الجواد يتوجه به وهو بمنغظ . ثم توقف الأدم على مسافة خمس وعشرين ياردة منه . تألق بياض عينيه ، والتوى منخراه ، والتصقت اذناه على رأسه . صغر صغيراً حاداً واضحاً طويلاً . وعلى حين غرة تحرك بين أليك والينبوع . كان يخبط الارض في غيظ .

وقف أليك ساكناً ، لا يحرك على ان يتحرك . وبعد ما بدا ساعات ، توقف

الجواد عن ضرب الارض بقدمه . وانصرفت نظرتة عن الصبي الى البركة ثم عادت اليه . وحضر وقب نصف قبة على قائمتيه الخلفيتين ، ثم انطلق بخطواته الطوال راكضاً في الاتجاه الذي جاء منه .

أرغم أليك رجله على ان تتحركا وبلغ ينبوع والقي بنفسه على الارض يحانبه . وترك وجهه ينغمس في الماء البارد الصافي . بدا له انه لن يحصل من الماء على ما يكفيه . بلل رأسه وترك الماء ينحدر على قفاه . ثم اقتطع جزءاً من قميصه وغسل جسمه الذي لم يبق منه الا العظم والجلد . زحف ، بعد ان انتعش ، تحت الشجيرات الظليلة الى جنب البركة . مدد نفسه وaghض عينيه وغرق في النوم وهو منهك .

مرة واحدة وحسب اثناء الليل تحرك أليك . فتح عينيه وهو نسان . استطاع ان يرى القمر من خلال الشجيرات ، عالياً في السماء المرصعة بالنجوم . تحرك شبح اسود ضخم عند ينبوع - الأدم على مسافة اقدام قليلة وحسب ! عب من الماء ثم رفع رأسه الجليل واذناه مشرعتان الى الأمام . ثم استدار وابتعد يسير خيباً .

استفاق أليك في الصباح التالي وهو في غابة الجوع ، لقد قضى يوماً ونصف يوم دون ان يأكل . نهض وشرب من ينبوع . كان الشيء التالي ان يجد طعاماً . سار مسافة غير قليلة قبل ان يجد ما يصلح للأكل . كانت شجيرة من شجيرات العليق . كانت الثمر يختلف عن أي شيء ذاقه من قبل . لكنه قد لا يسهل عليه ان يجد أي شيء سواه مما يستطيع ان يأكله ، وهكذا اغتذى بالعليق .

ثم راح يستكشف الجزيرة ، وجدها منبسطة بين التل الذي كان قد تسلقه في اليوم الغائب ، وبين الأجراف الصخرية في الجانب الاخر من الجزيرة . لم يحاول ان يتسلق الغلاميد الكبيرة . كان ثمة قليل من شجيرات العليق ومن العشب ، وادرك أليك ان الطعام سيكون نادراً له وللأدم . بسدت الجزيرة وكأنها غير مسكونة نهائياً . لم ير طيوراً ولا حيوانات من أي نوع .

سار في بطة عائدأ في اتجاه ينبوع . بمن قة التل أطل على البحر ، وهو يؤنزل

في ان يرى سفينة . كانت مسافات الماء الازرق الشاسعة تبسط امامه . وتحت رأى الادم يجب على طول الشاطئ . نسي أليك مشاكه في جمال الجواد وهو يتخطر هيا في خطوته السريعة وعرفه الاسود وذيله يتطاير . حين اختفى الحصان حول عطفة الجزيرة ، هبط أليك الى الشاطئ .

كان الشيء التالي الذي يجب عليه القيام به ان يقيم مأوى ما لنفسه . وعليه ، لولا ، ان يجد الحشب . اكتسحت عينا أليك الشاطئ . رأى قطعة ثم اخرى .

وطوال الساعات القليلة الباقية تصارع مع الحشب الذي وجده مرمياً على الشاطئ ، وهو يسحب نحو الينبوع . كومة ، ودهش حين رأى كم جمع منه . بحث عن قطعة طويلة ثقيلة ووجد واحدة تلائم غرضه . سحبها نحو شجرتين متلاصقتين وحشرها بين الساقين وعلى حين غرة اهتز ذراعه فتوقف . كان الاسم (دريك) مكتوباً على اللوحة الشبهاء - لقد كانت جزءاً من احد زوارق التجارة اوقف أليك ساكناً لمدة دقيقة ثم ثبت اللوحة في موضعها تثبيتاً جيداً في عبوس .

ثم تكأ القطع الباقية من الحشب على كل جانب من اللوحة ، صانعاً مأوى له على هيئة خيمة . ملأ النهايتين المكشوفتين كأحسن ما استطاع . وبسكينته قشر اللحاء من احدى الاشجار وربط قطع الحشب معاً .

عاد أليك الى الشاطئ وجمع كل اعشاب البحر التي استطاع ان يجمعها . وحشها في جميع الحفر والثقوب العارية . وتأمل مأواه الذي اكمله - كان خائفاً من ان ريحاً قوية ستعصف به وتسقطه عليه .

تطلع الى الشمس الساخنة وخن اث الوقت قريب من الظهيرة . كان جيده وملابسه مبتلة بالمرق من الحرارة الرهيبة . قطع عصا طويلة رقيقة من شجرة وجربها فوجدها قوية . وفي عناية قشرها وقصها الى الطول المناسب . ثم ربط سكينته ، ربطاً وثيقاً ، الى نهاية العصا بقطعة من اللحاء .

بعد وقت قصير وقف أليك الى جانب خليج صغير اكتشفه ذلك الصباح . كان الماء صافياً والرمل يلتمع بيباض من تحته . جلس على الضفة وحدق بلفقة في الماء ،

وكان قد قرأ عن الناس الذين يصيدون الاسماك بهذه الطريقة . وبعد مضي بعض الوقت رأى موجاً ، وفي حذر رفع حربته المرتجلة ، ثم قذفها بكل قوته . وهسهست العصا الطويلة ، هابطة وشقت طريقها الى الرمل الابيض . لقد اخطأ !

جذب حربته من الماء وانتقل الى بقعة اخرى . ومرة اخرى انتظر في اصطبار . مضى وقت طويل قبل ان يرى سمكة اخرى . تحرك شكل نحيل طويل في الماء الضحضاح تحته . رفع حربته وسدد هدفه وقذف حربته مرة اخرى . رأى السكين تصيب ! وجذب الحربة ، خائفاً ان تنفلت السكين من السمكة ، ووثب الى الماء الضحضاح ودفعها نحو القمر . وفي يأس خفت ذراع أليك منحدره على العصا ، باحثة عن السمكة . كان الماء معكراً بالرمل . ووصل الى النهاية فلم تلاقي اصابعه الممدودة الا النصل الحديدي . لقد اضاع السمكة !

ولبقية ما بعد الظهر ، كافح أليك ليصطاد سمكة . وفيما هبط الظلام نهض متعباً على قدميه وسار في ببطء عائداً الى (بيته) الجديد . وكانت عيناه تؤلمانه من جراء جهد ساعات البحث المستمر في اعماق الماء .

وفي طريقه ، توقف عند شجرة العليق وأكل في جوع . وحين بلغ الينبوع ، رأى الأدم غير بعيد عنه . تطلع الجواد فرأى الغلام واستمر يأكل . كان ، وهو ينتقل من مكان الى آخر ، يقضم رقع العشب الصغيرة التي يقع عليها . فكر أليك : (أراهم انه لا يقل جوعاً عني) . وخر على الارض وشرب من الينبوع .

جاء الظلام بسرعة . وعلى حين غرة احس أليك بمكون الجزيرة وهبوطها — لا اطيبار ولا حيوانات ولا اصوات . فكأنه هو والأدم المخلوقان الحيان الوحيدان في العالم . اشعت ملايين النجوم فوق رأسه وبدت قريبة جداً . واشرق القمر عالياً مستديراً ، ملقياً انعكاسه على البركة .

تطلع الأدم من مرعاه . بدا وكأنه هو ايضاً يراقب القمر . صفر أليك صغيراً انخفضاً ثم صغيراً اعلى لا يلبث أن يتلاشى . لحظة من الصمت ثم مزق صغير الجواد لحاء هواء الليل . رأى أليك الأدم ينظر في اتجاهه ثم يواصل بحبه عن العشب .

فابتسم وزحف الى مأواه . لقد اتعبه عمل النهار وسرعان ما غرق في النوم .

واطل الصباح التالي على أليك قرب الخليج الصغير وحريته في يده وهو مصمم على ان - يصطاد سمكة للفتور . وعند الظهر أكل الملق . وعند العصر شعر بأنه مريض داخ رأسه ودار ، وما كان الا بصعوبة ، ليستطيع ان يمنع مقلتيه عن الانطباق .

ظهرت دوامة صغيرة على سطح الماء . قبض أليك الحربة بجانبه ونهض على ركبتيه فرأى جسماً أشبه في الماء تحته . فرفع حربيته وحررها متابعا حركة السمكة ثم اطلقها . ارتجف النصل في انطلاقه . لقد اصاب . وثب الى الماء ، دافعا الحربة والسمكة نحو القعر . يجب الا يفقد هذه السمكة ، وصلت يده الى السمكة كانت السمكة هناك - تتأوى وتناضل . ثم اخذها وبسرعة رفع السمكة من الماء ورمى بها بالحربة الى الضفة . وصعد الى الضفة في تعب ونظر الى صيده . وقال في جوع : (قلما ولو كانت انشأ واحداً) . سحب الحربة والتقط السمكة وعاد الى الخيم .

غسل أليك السمكة في الينبوع . ثم وضعها على قطعة من الخشب وسفطها . والآن لو انه استطاع ان يحصل على نار تذكي ! .

تذكر انه راقب احد اهالي الهند يشعل ناراً دون ثقاب . ربما استطاع ان يفعل الشيء نفسه .

جمع بعض قطع اللحاء الصغيرة والخشب الجاف وعش طائر مهجوراً ، ونثرها وعلى الارض امامه . التقط اجف قطعة من الخشب وحفر ثقبا في منتصفها بسكينته . في غناية انتزع خيوطا صغيرة من القش من عش الطائر ووضعها داخل الثقب . سوف تشعل بسرعة . ثم قطع غصنا قويا من اغصان المطاط يبلغ طوله حوالي الثانية عشر انشا من شجرة قريبة وقشره ووضع احدي نهايتيه في الثقب واتكأ على العصا فحناها ثم ادار بسرعة القسم المنحني كمنقب نجار .

بدا لايك ان ساعة مرت قبل ان يتصاعد الدخان ، دفعت ذراعاه المتعبتان

بأقوى من ذي قبل ، وفي بطنه تنامت شعلة صغيرة ثم اشتعل الحشب اليابس بالنار .
واضاف مزيداً من الحشب . ثم اختطف السمكة ولفها ببعض اغشاب البحر التي
كان قد غسلها من قبل ، ثم وضعها على قمة النار .

حرك أليك السمكة فيما بعد . جرب قطعة منها فوجدها طيبة . ثم افترس بقيتها
وهو في جوعه .

مرت الايام وكافح القن في يأس ليجد طعاماً يبقى عليه الحياة . لم يصد الا
سمكة واحدة اخرى - سيكون مستحيلًا عليه ان يعتمد على البحر ليوفر معيشته .
تحول مرة اخرى الى العليق ، لكنه كان يتضائل ويتلاشى بسرعة . دبر ان يبقى
ناره مشتعلة بعد ان جعلت الحرارة القود اليابس وفيرا . وعلى كل حال ، كانت
النار ذات نفع قليل له اذ لم يكن لديه ما يطبخه .

وفي الايام التالية بينما كان اليك يسير على الساحل رأى فوقه حمراء كبيرة في البعد ،
شد قبضته على حربته . كانت تبدو كسلحفاة . ثم جعله الجوع يفقد كل حذر
فاندفع الى الامام وحرثته مرفوعة . رمى نفسه على القوقعة وغطست سكينته
تحفر الفتحة حيث اعتقد ان رأس السلحفاة كان . وفي يأس قلب القوقعة ظهر اً لبطن
لقد كانت فارغة خاوية الجوف . لم تلاقي نظرة أليك الجائعة سوى القوقعة الخاوية .
وقف ساكناً دائحاً . وفي بطنه استدأر وسار عائداً الى الخيم .

كان الادم يشرب من الينبوع . كان جسده الكبير قد بدأت تظهر عليه
امارات الجوع . لم يعد أليك يشعر بأي خوف منه . رفع الجواد رأسه المتكبر
ونظر الى الصبي . ثم انصرف وخب مبتعداً . راحت الريح تمسح عرقه الطويل
المتطاير . وملاً صغيره الهواء .

راقبه أليك ، حاسداً روحه الوحشية المتكبرة . كانت الحصان معتاداً على
مشاق الصحراء ، لعله سيعيش بعد ان يموت هو . طفت فكرة الغلام نصف الواعية
على سطح عقله : (هناك طعام - لو انك استطعت مجرد ان تجد طريقة ما لقتله) .
ثم هز رأسه كارهاً نفسه . يقتل الحيوان الذي انقذ حياته ؟ كلا ابدأ - حتى لو

استطاع ، فانه يفضل ان يموت جوعاً ! بلغ الجواد قمة التل ووقف هناك ، كتمثال
اسود جيل ، ونظراته متجهة الى البحر .

في ذات صباح اخذ أليك طريقه ، في ضعف ، نحو الجانب الصخري من الجزيرة ،
أتى الى الصخور الضخمة وتسلق الى قمة واحدة منها . كانت أكثر عرياً من اي جزء
اخر من الجزيرة ، كان البحر في حالة جزر . جالت عيننا أليك على الشاطئ
الصخري ، لاحظ مادة تشبه الطحلب على جميع الصخور عند حافة الماء ، وعلى
الصخور الممتدة خارجه وقد عراها المد . ما الذي كان ذلك الشيء الذي جعلهم
معلم علم الحياة يأكلونه في احدى تجاربهم ؟ ألم يسه (الطحلب الايرلندي) ؟ نعم ،
ذلك هو . قال المعلم انه نوع من اعشاب البحر ينمو بوفرة على طول الاقسام
الصخرية من ساحل الاطلسي في اوروبا وامريكا الشمالية ، وانه حين يغسل ويحفظ
يصبح صالحاً للأكل . ايمن ان يكون الطحلب الذي على الصخور من تحته ، من
ذلك النوع ؟ لم يكده أليك يجرؤ على ان يأمل في ذلك .

وفي بطن قام بذلك الهبوط الخطر . بلغ حافة الماء وتجنبط عبر الصخور . أخذ
حقنة من الطحلب الناعم الأخضر الضارب الى الصفرة الذي كان يغطيها ورفعها
الى شفتيه . كانت له نفس الرائحة ، ذاقه . كان الطحلب مالحاً بصورة فظيعة من
البحر . لكنه كان نفس ما أكله ذلك اليوم ، في غرفة الصف !

وبلغة ملاً جيبه به ، ثم خلع قميصه فملأه بكل ما اتسع له . تسلق صاعداً مرة
اخرى ولامر عانداً الى الخيم . وهناك افرغ الطحلب على الارض في جانب
الينبوع . وقضى ربع الساعة التالية يغسله ثم وضعه في الشمس ليجف . وفي جوع
ذاقة مرة اخرى . كان احسن - لقد كان طعاماً !

حين انتهى من الأكل ، كانت الشمس تهبط الى المحيط والسموات تظلم بسرعة
وفي البعد رأى اليك الجواد مقبلاً نحو الينبوع .

وبسرعة التقط بعض الطحلب لنفسه وترك البقية على الارض بجانب البركة .
هل سيأكل الأدم ! هرع اليك الى مأواه ووقف ساكناً يرقب عن كثب .

اندفع الأدم مقبلاً وهز رقبته الطويلة وغس فيه في الماء . وعب طويلاً . وحين
انتهى نظر نحو الغلام ثم ارتجف منخراه القزمزيان . وضع الأدم فيه على الأرض
وسار نحو الطحلب الذي ، تركه إليك ، وراح يشمه . ثم التقط قليلاً منه بفمه
وراح يأكل ، مضغ طويلاً وبمناية . ومد رأسه يطلب المزيد .

في تلك الليلة نام إليك أحسن مما قد نام منذ ان حل بالجزيرة . لقد وجد طعاماً
يبقي على حياته وحياة الأدم !



أشد المخلوقات كلها وحشية

في اليوم التالي انطلق إليك ليحصل على المزيد من الطحلب الايرلندي . وحين اقترب من الصخور رأى الجواد واقفاً في سكون الى جانب جلود كبير . لم تكن عضلة لترجف في جسمه الاسود - كما لو ان فناً قد رسم الأدم على صخرة بيضاء تمسك إليك هابطاً الى حفرة صغيرة وتوقف ليتطلع باحثاً بين الصخور تحته . وعلى حين غرة سمع حمصة الجواد ، كانت اكثر حدة واكثر اثاراً للدم مما قد سمع من قبل . نظر الى الأعلى .

كان الأدم على قائمته الخلفيتين وقد كشر عن اسنانه . ثم انطلق ، بقفزة جبارة ، من الجلود نحو إليك . وجاء بخفة - وكانت سرعته تزداد مع كل خطوة رائحة يخطوها . كان يوشك ان يكون على القمة من فوقه عندما ارعد واقفاً وقب على قائمته الخلفيتين مرة اخرى .

وثب إليك جانبا وعثر بصخرة وسقط ارضاً . وعالياً من فوقه كانت قوائم الأدم تضرب الهواء ثم هبط فأصبح على مسافة ياردات ثلاث امامه ! ومرة ثانية راح يقب وهبط ومرة بعد اخرى راح يخط الأرض بقوائمه . اهتزت الأرض التي كان إليك يقف عليها من قوة سنابكه . كان الزيد يتصبب من شدي الجواد ، ولم تبرح عيناه المحتوتان الأرض من امامه .

وبالتدريج قل ضربه للأرض بالقوائم ، ثم توقف . رفع رأسه عالياً وانطلق صغيره يشق الهواء . وهز رأسه وابتعد في بطنه ، ومنخره يرتجفان .

نهض أليك واقفاً على قدميه وفي حذر اخذ طريقه نحو الأرض المحترقة ، وقد طغى الاضطراب على ذهنه . وهناك امامه رأى الأجزاء المنشورة من جسم طويل اسود ضارب الى الصفرة ، رأس حية اشبه بماسة ، مسحوقاً لحياته فيه . وقف ساكناً - وقد اذهلته فجأة اكتشاف حياة ، غير حياته وحياة الأدم ، على الجزيرة ! تصبب العرق من جبهته حين ادرك ما الذي كان يمكن ان تعنيه لدغة حية الألم وربما الموت ! نظر ، وهو دائخ ، الى الجواد الواقف على مدى اقدام قليلة منه هل قتل الأدم الحية لكي ينقذه ؟ هل بدأ الجواد يفهم انها يحتاج احدهما الى الآخر لكي يعيش ؟

وفي بطنه سار الغلام نحو الأدم . تطاير عرف الجواد في الريح وارتجفت عضلاته وتحركت عيناه دون انقطاع ، لكنه وقف حيث كان ، فيما اقترب الغلام منه . اراد أليك ان يفهم الجواد انه لن يؤذيه . وفي حذر مديده نحو رأس الجواد . جر الجواد رأسه الى ابعد ما استطاع دون ان يتحرك . اقترب أليك الى جانبه . وفي رفق لسه لمدة لحظة . لم يتحرك الجواد حاول أليك مرة اخرى ان يمس الرأس الوحشي . قب الأدم على قائمته الخلفيتين واهتز قليلاً . قال أليك ملاطفاً (مهلاً ايها الفتى لن لوذيك) . ارتجف الجواد ثم قب على قائمته الخلفيتين وانطلق على مسافة مائة ياردة - وقف على حين غرة والتفت .

حدث أليك فيه وهو واقف هناك دون حراك - ورأسه مرفوع عالياً في الهواء . وقال في تصميم : (سنخلص من هذا بطريقة ما ايها الأدم - اذا علمنا معاً) .

سار أليك عائداً الى قبة الصخور وبدأ ، مرة اخرى ، بهبط . اخذ طريقه نحو حافة الماء وكان ينظر في حذر قبل ان يخطو . فحيث كانت حية واحدة ، قد يكون هناك المزيد . حين بلغ القمر ، ملأ قبصه مرة اخرى بالطحلب واخذ طريقه عائداً . كان يستطيع ان يرى الأدم ، عالياً من فوقه ، وهو ينظر خلساً

القمم ، وعرفه يتطاير في الريح . وتبع أليك على مسافة قصيرة خلفه فيما عاد أليك الى الينبوع .

مرت الأيام وبالتدرج نمت الصداقة بين الغلام والأدم . واصبح الجواد يأتي الآن حين يناديه ويدع أليك يريت عليه بينا يحرق هو بعينين متسائلتين . وفي ذات ليلة جلس أليك متمتعاً بدفء النار وراقب الجواد يقضم الطحلب الأيرلندي في جانب البركة . وتساءل في نفسه ما اذا كان الجواد قد سئم الطحلب الأيرلندي كما سئمه هو . وجد أليك انه اذا ما غلاه في قشرة السلحفاة كون مادة غروية طعمها اطيب بقليل من طعم الطحلب الخام . كان اكل السمك ترفاً نادراً بالنسبة اليه الآن .

انتشرت ظلال اللهب والقت اشكالاً شجية خفيفة على جسد الأدم . التمعت عينا أليك واصبح وجهه عابساً فيما تدافعت الافكار الى رأسه . سيجرب ذلك غداً ؟ هل يجرؤ على ان يحاول ركوب الأدم ؟ اعليه ان ينتظر بضعة ايام اخرى ؟ فليتقدم - غداً . كلا ، لاتفعل ذلك ! تقدم .

خفتت النار ثم راحت تحترق دون لهب ، ومع ذلك جلس أليك يجانبها وعيناه مشبعتان على ذلك الشبح الأكثر سواداً من الليل في جانب الينبوع .

في الصباح التالي افاق من نوم عميق ليجد الشمس عالية فوقه . ثم بحث بعينه عن الأدم ، لكنه لم يقع له على اثر . صفر أليك لكن لم يأت جواب . سار نحو التل . كانت الشمس تصب شواظها وتحذر العرق من جسمه . لو انها تنظر لا غير ! كانت الاسبوع الماضي كنتور على الجزيرة .

حين بلغ قمة التل ، رأى الأدم في طرف الشاطئ . ومرة اخرى ، وفي هذه المرة جاء صغير يجيب صغيره فيما التفت الجواد اليه . سار أليك على الشاطئ نحوه ، والعزم منعد على وجهه .

وقف الأدم ساكناً فيما اقترب أليك منه . ذهب في حذر اليه ووضع يده على رقبته . وغغم فيما كان الجسد الدافئ يختلج اختلاجاً هينا تحت يده : (على مهلك

ايها الفتى) . لم يبد الجواد لا خوفاً ولا كرهاً له . كانت عيناه الواسعتان ما تزالان متجهتين نحو البحر .

وقف أليك للحظة ، ويده على رقبة الأدم . ثم سار نحو كتيب من الرمل على مسافة قصيرة . تبعه الجواد . خطا صاعداً جانب الكتيب ويده اليسرى غارقة في عرف الحصان الكثيف . انتصبت اذا الأدم ، وتابعت عيناه الصبي في قلق اعصاب - عادت بعض الوحشية اليه ، وارتجفت عضلاته .

وللحظة لم يكن أليك مصمها على ما سيفعل . ثم قبضت يدها على العرف اشد مما كانتا تقبضان ورمى نفسه على ظهر الأدم . وللحظة وقف الجواد دونما حركة ، ثم شخر وتطاير الرمل فيما ثنى الجواد في الهواء . أحس أليك بالعضلات الجبارة وهي تضطرب وتجيش ثم انقذف في الهواء واستقر ، وبقوة ، على ظهره . وأظلم كل شيء .

استعاد أليك الوعي ليجد شيئاً دافئاً ازاء خده ، فتح عينيه في ببطء . كانت الجواد يدفع برأسه . حاول أليك ان يحرك ذراعيه ورجليه ، فوجدها مرضوضة لكن غير مكسورة ، وفي اعياء نهض على قدميه .

اختفت الوحشية من الأدم مرة اخرى . كانت ينظر كما لو ان شيئاً لم يحدث .

انتظر أليك دقائق قليلة - ثم قاد الجواد الى كتيب الرمل مرة اخرى ، ووضع قبضة يده على عرف الحصان لكنه لم يفعل هذه المرة اكثر من ان يوضع الجزء الأعلى من جسمه على ظهر الجواد ، بينما تكلم في اذنه ملاطفاً . راح الأدم يرف بأذنه الى الورا والامام ، وهو ينظر بعينيه السوداوين .

غغم أليك وهو يربت على الجواد ويدعه يشعر بثقله (انظر ، اني لن اوذيك يا فتى) . بعد بضع دقائق ، زلق أليك نفسه على ظهر الجواد في حذر . ومرة اخرى شخر الجواد وارسل الغلام طائراً في الهواء .

رفع نفسه من على الأرض - ابطأ هذه المرة . لكنه بعد ان استراح ، صفر

للأدم ثانية ، تحرك الجواد نحوه . وخطأ أليك في عزم وتصميم ، على كتيب الرمل ومرة أخرى جعل الأدم يحس بثقله ، تكلم في أذنه الواسعة في لطف ورقة (انه انا ، اياها الفتى الأدم . هوا .. اياها الفتى) . وانسل على ظهر الجواد . انسلت إحدى ذراعيه حول رقبة الجواد فيما شب على قائمتيه الخلفيتين . ثم انطلق الجواد هابطاً الى الشاطئ ، كطلقة من بندقية ، تغيرت حركته وبدت خطواته الهائلة وكأنها تجعله يطير في الهواء .

تعلق أليك بعرف الجواد حفاظاً لحياته . كانت الريح تعول بجانبه ولم يكن يستطيع ان يرى . وعلى حين غرة انحرف الأدم في سيره واتجه نحو التل . بلغ القمة ثم هبط . وبدأ الينبوع كلطخة حيناً انطلقا بجانبه . ركض الى الصخور ، ثم رسم الجواد دائرة واسعة دون ان يخفف من سرعته . وهبط منطلقاً خلال وهدة . واستطاع بصر أليك المشوش ان يرى جسماً اسود امامها ، وكومضة برق تذكر الأختود العميق الذي كان هناك .

أحس بالجواد يجمع نفسه . وبفعل الغريزة مد نفسه الى الامام وأمسك بالأدم في قوة يديه وركبتيه . واذا هما طائران على حفرة سوداء ، انزلق أليك قليلاً حين أرسيا على الارض . لكنّه استعاد نفسه في الوقت المناسب لتلا يسقط من على ظهر الجواد . ومرة أخرى بلغ الجواد الساحل ووقع حوافره منتظم موقع في انسجام على الرمال البيضاء .

ساعدت الطفرة كثيراً على تصفية ذهن أليك . اتكأ الى اذن الجواد واستمر يردد (على مهلك ، اياها الفتى الأدم ، على مهلك) . بدا الجواد وكأنه ينزلق على الرمل ثم بدأت سرعته تقل . استمر أليك يتحدث اليه . وأخذ الأدم يجري ابطأ فابطأ . وبالتدريج انتهى من ركضه الى الوقوف . وارخى الفلام قبضته من عرف الجواد واحاطت ذراعه برقبة الأدم كان ضعيفاً من شدة الإجهاد - لم يكن في حال تسمح له بمثل هذا الركوب ! وفي اعياء انزلق الى الارض . لم يعلم ذات يوم بأن حصاناً يستطيع ان يركض بمثل هذه السرعة ! نظر الجواد اليه ، ورأسه مرتفع ، وجسده الضخم غير مكسو الا بالقليل من العرق .

تلك اللبنة اضطجع أليك دون نوم ، وجسده يتقطع ألماً ، لكن قلبه كان

خافها - بانفعال . لقد امتطى صورة الأدم ! لقد ذل هذا الجواد الوحشي غير
المدلل وقهره بالرفة وقد أحس واثقاً بأن الأدم عاد ملكاً له منذ ذلك اليوم - له
وحده ! ولكن - هل تراهما يتقدان ؟ اتراه يرى وطنه وبيته مرة أخرى ؟ هن
أليك رأسه . لقد عاهد نفسه ألا يفكر في ذلك مرة أخرى .

في اليوم الثاني ، امتطى الأدم ثانية . شب الحصان نصف شبة على قائمتيه
الخلفتين لكنه لم يقاومه . تكلم أليك ، بلطف ، في أذنه ووقف الأدم ساكناً .
ثم لمسه أليك لمساً خفيفاً على جانبه ، بينما كان يسير - في خطى طويلة متخطرة .
وذهبا بعيداً على الشاطئ ، ثم حاول أليك ان يديره بأن حوّل ثقله ، ودفع رأس
الجواد برقى . استدار الجواد بالتدريج شدة أليك قبضته على عرقه الطويل وضغط
ركبتيه بأوثق مما كانتا على جسمه الكبير . وانطلق الجواد من مشيته ، في خيب
سريع . نسفت الريح عرقه الى الورا في وجه الفلام . كانت خطو الجواد خطأ لا
جهد فيه . وفيما كانا في منتصف طريقهما الى الشاطئ ، استطاع ان يعيد الجواد الى
ان يمشي مشياً ، ثم الى الوقوف وقوفاً كاملاً . وفي بسطة حوله الى اليمين ثم الى
اليسار ، ثم اداره في دائرة .

مرت ساعات منهكة فيما كان أليك يحاول ان يجعل الأدم يفهم ما اراده ان
يفعل . كانت الشمس تنحدر الى المغرب بسرعة بينما سار بالجواد الى نهاية الشاطئ .
استدار ووقف ساكناً . كان هناك ميل من الرمل الابيض الناعم يمتد امامها .
وعلى حين غرة جرح الجواد ، موشكاً ان يلقيه ارضا ثم ازداد سرعة على
نحو عجيب . انطلق امرع فأمرع . انبطح أليك على رقبة الجواد وهو يتنفس
تنفساً متقطعاً . راح الجواد يرسل الرعد من سنايكه منحدرأ على الشاطئ .
انحدرت على خدي أليك الدموع من الريح . وبعد ان قطع ثلاثة ارباع الطريق
حاول ان يكبح من سرعة الأدم . اجتذب العرق المتطاير اليه وصرخ (هوا ،
يا ادم) لكن الريح ذهبت بكلماته معها .

قارب الجواد نهاية الشاطئ بخفة وبسرعة وظن أليك ان ركوب الأدم
المكروب سوف يتكرر . اجتذب العرق اليه بأشد وأقوى . وعلى حين غرة

تباطأت خطى الأدم . رمى إليك ذراعاً حول رقبة الجواد ، تحول الأدم الى خبيه السريع الذي اصبح ابطاً فأبطأ تدريجياً ، حتى استطاع إليك ان يسيطر عليه . ادار موقد غمره الفرح وركبه عابراً التل الى السبوع . وشرباً معاً الماء البارد المنعش .

في الأيام التي تلت ذلك ، صارت سيطرة إليك على الأدم اعظم فأعظم . وصار يستطيع ان يفعل به ما يشاء تقريباً . كان الغيظ الوحشي للجواد غير المذلل يختفي حين يرى الغلام إليك يركبه طائفاً الجزيرة هابطاً به نحو الشاطئ ، متعجباً من الخطوات الجبارة والسرعة المريعة . كان إليك دون ان يشعر ، يحسن الفروسية حتى بلغ الدرجة التي اصبح عندها جزءاً من الأدم فيما كانوا ينهبان الارض .

جلس إليك ذات ليلة الى جانب النار في (خيمه) محققاً الى الشمل والسنة النار التي كانت تمس الهواء في جوع . كانت ركبته متقاطعتين واستقر عليها كوعاه ، وقد وضع ذقنه في يديه . كان مستغرقاً في التفكير . لقد غادرت الـ (دريك) بومبي في يوم سبت ، في الخامس عشر من آب . وغرقت السفينة بعد اقل من اسبوعين بقليل ، ربما في الثاني من ايلول ، لقد مر عليه وهو على الجزيرة تسعة عشر يوماً بالضبط . انه اذن في الحادي والعشرين من ايلول تقريباً . لا بد ان عائلته تظنه تدمت الان ، شد قبضتيه . عليه ان يجد طريقاً للخلاص . لا بد لسفينة من أن تمر بالجزيرة يوماً ما . لقد كان يقف ، كل يوم على قمة التل محققاً الى البحر ، يأمل ، في جنون ، ان يرى سفينة ما .

فكر إليك بالطقس البارد الذي كان يقترب موعده ، للمرة الاولى كان الحر شديداً للغاية على الجزيرة منذ وصوله بحيث انه لم يخطر له على بال ان الجو سرعان ما سيبرد . ترى هل يوفر له الملجأ حاية كافية ؟ لقد استعمل كل قطعة من الخشب وقعت عليها عينه ويدها في الجزيرة لكي يحصنه ويعززه ، ولكن هل سيكون ذلك كافياً ؟ كيف سيكون بردها ؟ نظر إليك الى الساء الصافية المضاءة بالنجوم ، من فوقه .

نهض على قدميه وبار نحو التل . رفع الأدم — وهو واقف الى جانب السبوع — رأسه وصفر حين رآه . وتبع إليك في تسلق الى القمة . اكتسحت عين الغلام البحر

المعم المتلاطم . كانت امواج يفشاها الرغو الأبيض تندفع الى الساحل ثم تتدحرج الى الشاطئ ، وكان الجواد ايضاً يبدو وكأنه يرقب - عيناه محدقتان في الليل ، واذناه منتصبان الى الامام . مرت ساعة ، ثم استدرا واخذوا طريقها عائدين الى الخيم .

بدأت ريح تهب من الغرب . اوقد أليك النار لليل ثم زحف الى خبثه متعباً . كان متعباً ، فقد انفق معظم يومه يجمع الطحلب ، تعدد وسرعان ما اغفى .

لم يدر كم من الوقت نام ، لكن صرخة الأدهم الحادة ايقظته على حين غرة . قتح عينيه مغالباً النعاس . كان الهواء قد صار حاراً ، ثم سمع صوتاً مرقعاً من اعلى ، فرفع رأسه الى الأعلى ، كان سقف الملجأ يشتعل بالنار ، وكانت ألسنة النار ترتفع هابطة الى الجوانب . قفز أليك على قدميه واندفع خارجاً . كانت اعصار يكسح الجزيرة وادرك في الحال ما حدث . لقد حملت الريح شرارات من ناره الى سقف الملجأ فأشعلت النار في الحشب اليابس ، بسهولة . تناول قوقعة السلحفاة وركض الى ينبوع . ثم عاد راکضاً ، وقد ملاًها ، ورمى الماء على اللهب .

كان الأدهم يقفز ، بعصية ، الى جانب ينبوع ومنخره يرتجفان بينما كان أليك يندفع غادياً رائحاً بقوقعة السلحفاة مليئة بالماء ، محاولاً ان يمنع الحريق عن الانتشار ، لكن النار كانت قد بدأت منذ مدة وسرعان ما أحاطت بالكوخ كله . ملاً الدخان الهواء ، فارغم الولد وحصانه على ان يتقهقرا ابعد فأبعد .

سرعان ما اصبحت الشجرتان القريبتان بالنار . لقد ادرك أليك ان الحريق لا يستطيع ان ينتشر الى ما هو ابعد كثيراً - فلقد كانت الجزيرة خاوية من اي وقود لكن السنة النار اصبحت الآن تقترب كل ما تقع عليه العين . كانت ترتفع عاليا في الهواء . لم يكن ثمة ما يستطيع أليك ان يفعله . الشيء الوحيد الذي كان يحتاجه حقاً - كوخه - قد ذهب . ولم يبق لديه شيء من الحطب .

اشتعل الحريق زمناً طويلاً قبل ان يبدأ بالخمود . ثم بدأت الريح ايضاً تضمحل .

جلس إليك بجانب ينبوع ، يراقب السنة النار ، حتى ظهرت الحيوط الأولى من
الفجر في السماء . رمش بعينه الملوئين بالدخان ، وجرش اسنانه - لم يحرد من كل
شيء بعد . سيجد طريقة ما لكي يصنع كوخاً ، وإذا لم يكن ذلك ممكناً ، فانه
حينذاك سينام في الصحراء مثل الأدم .

قصد الشاطئء ملء النفس بالعزم والتصميم . فلعل الأمواج تجرف شيئاً من الحشب
خلال الليل .

كان الأدم يحب امامه ، ثم رآه يسخر ويقب على قائمتيه الخلفيتين عندما بلغ
قمة التل ، ثم اندفع هابطاً مرة اخرى . اسرع إليك ، ومن كتف التل نظر الى
الأسفل ، فرأى سفينة قد ألقت مراسيها على بعد اربعمئة يارد من الجزيرة .

سمع اصواتاً ، ورأى زورق تجذيف يسحبه خمسة رجال الى الشاطئء ، واندفع
وهو غير مصدق ، وهو غير قادر على ان يهتف ، هابطاً التل .

وسمع احد الرجال يهتف للآخر « لقد كنت على صواب يا بات ، فان هناك
احداً على هذه الجزيرة » .

وأجاب الآخر بلهجة ايرلندية غليظة : « بالتأكيد . واعرف اني رأيت ناراً
تبلغ عنان السماء ! » .

الإنقاذ

غشيت عينا أليك ، فلم يستطع ان يرى ، تعثر وهوى ثم نهض على قدميه .
ومرة أخرى اندفع الى الامام ، ثم احاطوه بأذرعتهم . زبحر الرجل المسمى بات :
« القديس باتريك ، انه مجرد غلام » .

اختلطت الكلمات والتصقت في حلق أليك فيما نظر الى الأزواج الخمسة من
العيون — المكددة فيه . ثم عاد له صوته فصرخ : « لقد انقذنا ! لقد انقذنا ، يا ادم ،
لقد انقذنا ! » .

نظر البحارة اليه — كان منظرأ غريباً . شعره الأحمر طويل اشعث ، وجهه
وجسمه داكنان حتى انهم كانوا يحبسونه احد الأهالي ؛ لولا البقايا الممزقة من
ملابسه التي كانت تتعلق مرخاة طليقة عليه .

تقدم احد الرجال ، كان واضحاً من بزته انه قبطان السفينة . وقال وهو يلف
فراعه حول أليك ويهدئه : « كل شيء سيكون على ما يرام يا بني » .

وفي بطنه استعاد أليك السيطرة على نفسه . قال : « انني في بحالة جيدة الآن ،
يا سيدي » . تحلق البحارة حوله . سأل القبطان : « هل هنالك شخص آخر معك
على الجزيرة ؟ » .

— « الأدم وحسب ياسيدي » .

نظر الرجال بعضهم الى بعض ، ثم تكلم القبطان ثانية . سأل : « من هو الأدم يا بني ؟ » .

أجاب أليك « انه حصان ياسيدي » .

ثم روى لهم قصته — روى لهم عن العاصفة وغرق السفينة ، والساعات التي قضاها في البحر الصاحب وهو ممسك ، في يأس ، بالجبل المشدود الى رقبة الجواد ، وعن كفاحها معا تجاه الجوع على الجزيرة ، وتذليله للأدم ، وعن الحريق الذي ااحال، تلك الليلة ، ملجأه الى كومة من الرماد . تفقد العرق من جبهته فيما عاش مرة ثانية ، في الصور اللفظية الحية ، أيام المشقة والعناء العشرين منذ ان غرقت ال (دريك) .

حين انتهى ، كانت لحظة من الصمت ، ثم تكلم احد الرجال : « هذا الصبي يتوهم اشياء ، ايا القبطان . ان ما يحتاج اليه هو طعام حار وفراش مريح ا » .

نظر أليك من وجه الى آخر ورأى انهم لم يصدقوه . ملأه الغيظ . لم كانوا في مثل هذا الغباء ؟ اكانت قصته خيالية الى هذه الدرجة ؟ سيثبتها لهم وسيدعو الأدم . رفع اصابه الى فمه وصغر : صرخ : (أصغوا ! اصغوا) وقف الرجال ساكنين ، مرت دقيقة ، ثم اخرى — لم يكن لسمع الا الامواج وهي تصطقق على الشاطئ في صمت الجزيرة المروع .

ثم جاء صوت القبطان اليه : « علينا ان نذهب الآن يا بني . اتنا قد خرجنا عن طريقنا وتخلفتنا عن جدول المواعيد » .

انجهت عينا أليك — وهو ذائع — من الجزيرة الى السفينة الملقية مرساها ، والدخان يندفع من مدخنتها ، كانت اكبر من ال (دريك) .

مرة اخرى اقتحم صوت القبطان أفكاره : « نحن ذاهبون الى امريكا الجنوبية — ريو دي جانيرو — محل وقوفنا الأول ، نستطيع ان نأخذك الى هناك ونبرق لأوبريك من السفينة انك حي » .

حمله القبطان وبات من القراعين . وكان الآخرون في الزورق مستعدين للانطلاق . حاول أليك ، في يأس ، ان يجمع افكاره . لقد كان يقاوم الجزيرة . ولسوف يترك الأدهم وراءه . الأدهم - الذي انقذ حياته ! انفلت منها وراح يركض على الشاطئ .

راقبه البحارة ، واقواهم فاعرة في دهشة ، وهو يتعثر صاعداً التل . رأوه يبلغ القمة ويرفع اصابمه الى فمه . وصل صغيره اليهم - ثم كان صمت .

على حين غرة ، مزق السكوت صراخ غير بشري - نداء وحشي مرعب ! وقفوا ساكنين - وهم يخدرون - وخيل اليهم ان الشرعات على مؤخر رقايمهم قد تجعدت والتوت . ثم كما لو بسحر ظهر الى جانب الفلام حصان اسود عলাق ، يتأوج عرفه كشعلة . صهل الحصان مرة ثانية ، ورأسه مرتفع عالياً ، واذناه منتصبان الى امام . واستطاعوا - حتى على هذا البعد - ان يروا انه كان حصاناً جسيماً هائلاً - جواداً وحشياً .

رمى أليك ذراعيه حول رقبة الأدهم ودفن رأسه في عرقه الطويل قال : « نحن مغادران معاً ، يا ادهم - معاً » . في لطف تكلم الى الجواد مهدئاً . بعد بضع دقائق نزل التل وتبعه الحصان في تردد . قب الجواد على قائمته الخلفيتين حين شارفوا البحارة ، وقائمه تخبطان الهواء . تدافع الرجال الى الزورق ، بات والقبطان وحدهما وقفا حيث كانا . وفي خوف راقبا الأدهم فيما كان يخطو نحوهما ، تراجع الى الوراء . ونظرت عيناه الوحشيتان في قلق عصبي ، من أليك الى مجموعة الرجال . ربت عليه أليك ولاطفه . كان سيره بديعاً ، وكان ، كل بضع خطوات ، يقفز بحنفة الى جهة .

على بعد ثلاثين ياردة تقريباً ، وقف أليك . صرخ : « عليك ان تأخذنا معاً ، ايها القبطان ! لا نستطيع ان اتركه » . جاء الجواب « انه وحشي للغاية لا نستطيع ان نأخذنه ولا نستطيع ان نوسه » . « انا استطيع ان اسوسه . انظر اليه الآن » . كان الأدهم ساكناً وقد استدار رأسه نحو السفينة كما لو انه فهم ما الذي يحدث

فملا . كانت ذراع أليك حول رقبته فقال : « لقد انقذ حياتي يا كسابتن ، ولا
استطيع ان اتركه » .

استدار القبطان وتحدث مع الرجال الذين في الزورق . ثم هتف : « لا طريقة
لدينا لنقل هذا الشيطان الى ظهر السفينة ، على اية حال » . وتوقف ، ثم قال :
« كيف ستخرجه من هناك ؟ » وأشار القبطان الى السفينة .
أجاب أليك : « انه يستطيع ان يسبح » .

ثم كاث نقاش آخر بين القبطان والبحارة . وحين التفت الكابتن الى أليك ،
كان وجهه المجد اكثر عبوساً مما كان . رفع قبضته وأمر يداً ضخمة خلال شعره
المشتعل شيئاً .

ثم قال : « حسناً يا بني . لقد رجحت — ولكن عليك انت ان تخرجه هناك » .
خفق قلب أليك بشدة وهو ينظر الى الجواد . قال : « تعال ايها الأدهم » . سار الى
الامام بضع خطوات . تردد الأدهم ثم تبعه . مرة اخرى تحرك أليك قدماً . وفي بطنه
بلغا الجماعة . ثم توقف الأدهم وارتجف منخراه وقب على قائميه الخلفيتين .
هتف أليك : « انزل في الزورق يا كابتن . تحرك الى المقدمة . سأسك
بمؤخره حين تنزلونه في الماء » .

أمر القبطان رجاله ان ينفخوا ، وصعد هو وبات الى الزورق . ثم انتظروا
أليك .

التفت أليك الى الأدهم وقال : « هذه فرصتنا يا ادم . لا نتذلني ا » . لقد ادرك
ان الجواد كان عصياً . فالحصان تعلم ان يثق به ، لكن غرائزه الطبيعية ما زالت
تحذر منه ومن الآخرين . وفي لطف تكلم أليك اليه . وفي بطنه تراجع الى الوراء — رفع
الأدهم رأسه في عصبية ، ثم تبعه ، ولما قارب الغلام الزورق ، توقف الجواد .
ظل أليك يرجع الى الوراء حتى تسلق الى الزورق . قال : « جذفوا في بطنه » .
ان يدير عينيه عن الحصان .

فما تحركا مبتعدين عن الشاطئ ، كاث أليك ينادي : « تعال ايها اللقي —

الأدم». حسم الجواد رأسه وذيله منتصبان، وأذناه مندفعتان إلى امام. قب على قائمتيه الخلفيتين نصف قبة، ثم خطا إلى الماء. وفي لمح البصر كانت قد عاد إلى الشاطئ. كانت قدمه الامامية تضرب الرمل وترسله متطايراً. لم تبارح عيناه السوداوان الزورق ابداً فيما كان يتحرك في بطنه نازلاً إلى الماء، ركض مسافة قصيرة هابطاً الشاطئ، ثم عاد من حيث أتى.

ادرك أليك القتال الرهيب الذي كان الجواد يخوضه مع نفسه. صفر، فتوقف الأدم حيث كان واجاب. وفي بطنه تحرك الزورق مبتعداً في الماء أكثر مما كان. على حين غرة شب الجواد عالياً في الجو، على قائمتيه الخلفيتين، ثم وثب إلى الماء، هتف أليك «تعال يا ادم، تعال!».

كان الأدم في الماء حتى لبانه الضخم الآن — ثم اخذ يسبح ويتقدم بخفة نحو الزورق.

صاح أليك «جذفوا إلى السفينة، يا كابتن».

ارتفع الرأس الاسود في الماء من خلفه، والعينان تتبعان أليك، بصورة مرعبة، فيما تدلى إلى نصفه خارج الزورق وهو ينادي الجواد. كان الجسم الضخم الاسود ينزلق خلال الماء وارجله تعمل كأنها الاساطين السكابة.

سرعان ما بلغوا السفينة. صعد القبطان وثلاثة رجال السلم إلى السفينة. بات وحده يتخلف مع أليك. صاح القبطان من على كتفه: «أبقه هناك مدة دقيقتين!»

وصل الأدم إلى زورق التجذيف واستطاع أليك ان يوصل يده إلى رأس الجواد. غغم في اعتزاز «ياها الولد الطيب!» ثم سمع تحية القبطان من على سطح السفينة. تطلع إلى الأعلى فرأى الراقعة التي تستعمل لرفع المحولة تنزل. كان في نهايتها رباط جرمي الشكل ربط حول الأدم ليتمكن رفعه، عليه ان يجعل ذلك الرباط حول معدة الجواد!

رأى أليك عيني الجواد تتركانه وتحدقان في خوف في الجبل الهابط على رأسه.

على حين غرة ، سبح مبتعدا عن الزورق . وفي جنون ، ناداه أليك .
حين اصبح الرباط في متناول اليد ، أمسك بات به — قبضت اصابعه على
الشرائط والبكل . صاح بأليك : « علينا ان نضع هذا حوله بطريقة ما . انها الطريقة
الوحيدة ! » .

حاول أليك ، في يأس ، ان يفكر . لا بد ان تكون هناك طريقة ما ، ولا
ريب ان الجواد كان قد استدار مرة اخرى ، ناظرا في اتجاههما . لو انه استطاع فقط
ان يقترب منه . قال « ناولني الرباط يا بات ، ومزيداً من الحبل » . ناوله بات اياه ،
وأشار بيده الى الأعلى . سأل « وما انت فاعل ؟ »

لكن أليك لم يبد وكأنه قد سمع سؤاله . قبض على شرائط الرباط بقوة .
قال لنفسه : « لقد وصلنا الى هذا الحد » . تسلق على جانب الزورق ودلى نفسه
الى الماء . سبح أليك ياردات قليلة نحو الأدهم ، والرباط ممدود من ورائه . ثم
توهج وراح يخطو في الماء . نادى بلطف فسبح الجواد نحوه .

اصبح الجواد على مرمى ذراع نفسه أليك ، مبعداً جسمه بصورة كافية لان
يتحاشى قوائم الجواد المتحركة . كيف يستطيع ان يجعل الرباط حول الجواد ؟
كان بات يصرخ بالافتراحات غير ان أليك لم يستطع ان يفكر الا بطريقة واحدة
قد تنجح .

غطس في الماء قليلا ويده تنزلق بالتدريج على رقبة الجواد ، منحدره وأمسك
بشرائط الرباط باليد الاخرى بقوة . اخذ نفسا عميقاً وملاً رثيه بالهواء . ثم غاص
في الماء متحركا الى جانب واحس بالماء يطبق على رأسه . هبط اعرق فأعرق ،
مكافحاً جهداً امكانه ان يهبط الى عمق يكفي لان يصبح في منجى من قوائم الجواد .
ثم سبح مباشرة تحت بطن الأدهم . كانت الماء يمتص أبيض من فوق رأسه ،
واستطاع ان يلمح السنايك الضارية في الماء .

حين أحس ، واقعاً ، انه كان في الجانب الآخر ، بدأ يصعد الى الاعلى واصابعه
ما تزال تطبق بشدة على الشرائط والرباط المنسحبة من ورائه .

حين بلغ سطح الماء ، وجد الجواد في نفس الوضع وعيناه تبجثان عنه والآن «
كان الرباط تحت الأدهم مباشرة . وأشار الى بات ان يقلل النجوة بين الزورق
والحصان . كل ما كان عليه ان يعمده الآن ، هو ان يشد من الرباط حول الجواد
بأن يدخل هذه الشرائط في البكل التي على الجانب الآخر! اقترب إليك من الأدهم ،
سيكون عليه ان يتحمل صدفة ان يرفسه الحصان . بقي قريباً من وسط الجواد
غاية ما امكنه ان يقترب ، ثم اصبح يجانبه . احس بالمياه تزدحم على كلا الجانبين .
كان الحبل متوتراً الآن ، نازلاً في الهواء الى قمة الرافعة على الباخرة .

اصبح الأدهم قلقاً بعد أن لك يده الى ظهره وحاول يائساً ان يسحب الشرائط خلال
البكل . سرى الم مزق في رجله فيما ضربته إحدى سنابك الأدهم . اصبحت رجله
عرجاء . مرت الدقائق فيما راحت اصابعه تعمل في جنون . ثم ادخل الشرائط في
البكل وبدأ يشد الرباط شداً أقوى . التهاب الجواد غيظاً لما أحس به يشد عليه . جذب
إليك جذباً أقوى . ومرة أخرى أحس باحدى سنابك الجواد تضرب رجله لكن
لم يكن هناك من أمل . ادخل الشرائط في البكل الى ابعد ما تدخل ، تأكد من انها
كانت مشدودة بصورة محكمة ، ثم دفع نفسه ، في اعياء ، مبتعداً عن الأدهم .

حين اصبح إليك على بعد مأمون ، اشار الى الرجال الذين على السفينة ان
يرفعوا . سمع محركاً يبدأ بالعمل ، واصبحت السلسلة الحديدية اكثر توتراً . ثم
سحب الجواد خلال الماء حتى اصبح يجانب السفينة . كانت اسنانه مشرعة وعيناه
مليئتین بالحقد ! ثم بدأت الرافعة ترفعه الى الاعلى . وفي بضع تحريك الأدهم خارج
الماء — الى الاعلى والى الاعلى في الهواء ارتفع ، وقوائمه تجببط في جنون !

سيح إليك نحو زورق التجديف ؟ وقدمه تتعلق عرجاء من ورائه . وحين
بلغه ، مال بات على جانب الزورق وساعده في الصعود اليه . قال : (ولد طيب) .
جعل الأم الذي في رجل إليك رأسه يدور . بدا ان الظلام اخذ يطبق عليه —
هز رأسه ثم احس بذراع بات الضخمة حول خصره وغاب عن الوعي .

حين استعاد إليك وعيه ، وجد نفسه في الفراش . والى جانبه بات — وعلى وجهه
تكشيرة عريضة وعيناه الزرقاوان متجعدتان في زواياهما .

غهم قائلا : « يا الله ، ظننتك ستنام الى الأبد » .

سأله أليك : « ما الوقت يا بات ؟ هل نمت لمدة طويلة ؟ » أمربات يداً ضخمة مليئة بالبعد على شعره وقال : « مدة غير طويلة يا بني — كنت متمباً للغاية ، كما تعلم » . وتوقف ثم قال : « دعني ارى ، لقد التقطناك صباح الثلاثاء ، ونحن في ليلة الاربعاء الآن » .

قال أليك : « يا الله انه نوم لا يستهان به ! »

— « ايقظناك مرتين لنعطيك بعض الشورية ، ولكن اظنك لا تتذكر الآن » .
تحرك أليك قليلا واحس بألم يتخلل رجله . اتجهت عيناه الى بات وسأل « هل أوديت كثيرا ؟ »

— « الطبيب يقول ان لا — وصل الأذى الى العظم لكنه أخذني في البرء بصورة جيدة . ستكون الحال حسنة في ايام قليلة » .

— « الأدهم — ما الذي حدث ؟ »

— « اما الصبي ، لم اتوقع في حياتي ان ارى مثيلا له » التمعت عينات الزرقاوات ثم قال : « اي قتال خاض — يحطم الزورق فلقطين ! يا الهي ، اي شيطان كان ! في اللحظة التي لمست فيها ستابكه سطح السفينة اراد ان يقاتل . لو لم يكن الرباط لا يزال حوله ، لكان قد قتلنا جميعاً ! لقد جمع وضرب برجله الى الامام مما لم ار مثيلا له من قبل . رفض ان يقف ساكناً ، كنت تستطيع ان تساعدنا يا بني . رفعتاه في الهواء مرة ثانية ، حتى فارقت قوائمه الارض . ظننت انه قد جن ، وغدا وجهه شيتا رهيب المنظر — وتلك الصرخات ، سأسمعا الى يوم اموت ! »

توقف بات ، وتحرك ، غير مرتلح في مقعده . ثم واصل الكلام : « حدث حين اقترب اليه احد الرفاق اكثر مما ينبغي وضربه ذلك الشيطان الأسود في جنبه فسقط عند اقدامنا ، أننا قررنا انه لم يكن ثمة من شيء نفعله غير ان نخنقه . لفغنا جبالنا حول رقبتة وجذبنا حتى كاد ان يهلك . كان ذلك صعبا عليه ، لكن لم

يكن هناك سبيل غير ذلك السبل . حين اوشك ان يفقد الوعي انزلناه مرة ثانية ودبرنا امر تخفيضه . « كانت مهمة ، ايا الفتى ، أمل ان لا اتولاها مرة اخرى ، لدينا بعض الخيول الاخرى والماشية في العنبر ، وهي خائفة كلها منه حتى الموت . انها دار للمجانين الآن واني لأكره ان افكر فيما عسى ان يحدث حين يعود الجواد الى وعيه مرة ثانية . لقد وضعناه في اقوى حظيرة ولكني اتساءل عما اذا كانت تلك الحظيرة كفيلة بان تبقيه في مكانه ! نهض بات من كرسيه وسار الى الجانب الآخر من القمرة » .

كان أليك صامتا ، ثم تكلم في بطء : « انني آسف على انني سببت لكم جميعا مثل هذا الازعاج . لو انني كنت قادراً وحسب على ان - » .

قاطعه بات قائلا : « لم اهدف الى جعلك تشعر كذلك ايا الفتى . كنا عالمين ماذا نفعل ، ومن منظر ذلك الجواد ، يبدو انه يستحق ذلك ، سوى اننا نندرك جميعا الآن انه يحتاجك انت للسيطرة عليه - وكان الفتى عون كل من يحاول ذلك سواك » .

« اخبر القبطان انني سأروضه واياكم ، ايضا يا بات ، بطريقة ما » .

« لاشك ، لاشك ، ايا الفتى الصغير ، والآن لدي ما أعله . حاول ان تحصل على مزيد من النوم وغدا او في اليوم الذي يليه ستنهض على قدميك ثانية » وتوقف وهو في طريقه الى الباب وقال : « اذا اعطيتني عنوانك ، فاننا نستطيع ان نبرق الى والديك بأنك سليم معافى ، ونخبرهما الى اين نحن ذاهبون » .

ابتسم أليك وكتب عنوانه على قطعة الورق التي ناوله بات اياها . وقال فيما انتهى من الكتابة : « اخبرهما انني سأكون معهما - في الحال » .

ملك القطيع

بعد أيام قليلة نهض إليك من فراشه للمرة الاولى . كانت ساقه المصابة تسنده في ضعف وفيما كان يرتدي ملابسه ، سمع طرقة على الباب .
هتف : « ادخل » .

ودخل بات ، كانت في يده برقية . كثر قائلا : « انها من املك » . أخذها إليك وقرأ : « حمدًا لله على سلامتكم . حولنا نقوداً الى ريو دي جانيرو . اسرع للبيت . مع حبنا . أملك وأبرك » .

صمت للحظة ثم رفع عينيه الى بات وقال : « لن يكون بعيداً الآن » .
ابتسم بات وسأل : « كيف حال قدمك ؟ »

اجاب إليك وهو يكل ارتداء ملابسه « لا بأس بها . كيف حال الادم ؟ » .
فاجاب بات : « اخشى انه احسن . انه لامر حسن انك قادر على ان تنزل اليه اليوم ! » .

تناول إليك بنظولنا كبيراً اعطاه اياه احد البحارة . سأله بات : « كبير عليك نوعاً ما . اليس كذلك ؟ » .

«خير من الميراثون لباس» قال أليك مبتسماً . انتهى من ارتداء ملابسه وسار يصرخ في بطة ، الى الباب . ابتسم وقال : « علي ان اذهب الى الأدم قبل ان يحطم المكان » . طوى البرقية ووضعها في جيبه بعناية وقال : « شكراً يا بات » . حذره بات قائلاً « لا تبق على قدميك اطول مما ينبغي يا بني » تذكر ما قال الطبيب .

حين دخل أليك المنبر ، سمع ضرب حوافر الأدم يعلو على ضوضاء الحبول الأخرى والماشية . جاء الى حظيرة الجواد ورأى رأسه الاسود مرتصفاً فوق الباب . كانت عيناه الواسعتان تدوران في قلق من حوله . ناداه أليك فأنحرف رأس الجواد نحوه . ارتجف منخراه ووصل . مد أليك يده وقال « هالو، يا فتى . هل افقدتني ؟ » هز الجواد رأسه ورمى انفه نحوه . مر أليك بيده على المنخر الناعم .

اخذ من جيبه نقاعة كان قد ادخرها من فطوره . مد بها يده الى الأدم الذي اختطفها منها . التقط أليك المحسة والفرشاة من الارض ، وفتح الباب وولج الى الداخل وقال : « اظن ان الامر كان عسيراً عليك نوعاً ما يا الفتى ، لكن لم يكن لهم من خيار » . قضى الساعة التالية يفرش الأدم حتى اصبح جسمه يلمع في اشراق .

مرت الايام بسرعة بالنسبة لأليك ، فبا كان يقضي معظم وقته في المنبر منع الأدم شغيت رجليه وسرعان ما اصبح على أحسن ما يكون . حاول القبطان وبات في اول الامر ان يثيرا اهتمامه بالسقينة والرحلة ، لكنها تخلت عن ذلك اخيراً . كانت الصداقة بين الغلام والجواد شيئاً أصعب من ان يفهمها .

ارتفعت يد القبطان الى ذقنه فيما كان هو وبات يراقبان أليك داخل الحظيرة . قال : « انت تعرف يا بات . انه شيء عجيب سلوك هذين الاثنين معاً - حيوان وحشي قاتل كهذا لكنه لطيف كقطيطة حين يكون مع الغلام » .

لوماً بات برأسه وقال : « نعم يا سيدي ، انه لمن اغرب الاشياء التي رأيتها في عمري ، واني لا تساعل الى ابن سيؤدي ذلك بها ؟ » .

بعد خمسة ايام وصلوا الى ريو دي جانيرو . اوفد القبطان لان يذهب مع أليك الى دائرة اللاسلكي حيث يستطيع ان يحصل على النقود التي ارسلتها عائلته اليه ، وان يدبر امر انجازه الى الولايات المتحدة .

فما كان أليك يمشي مع بات لمح المدينة الاميركية الجنوبية ، ففكر كم كان يقترب من بيتهم — كان في المرحلة الاخيرة من سفرته ! بلغا الدائرة ودخلا .

تحدث بات الى الرجل الجالس على المنصة باللغة الاسبانية . بعد بضع دقائق سلمه الرجل قلماً ، ووقع أليك باسمه . ثم سلم اليه بعض المال .

ثم ذهبوا الى دائرة البطاقات . وهناك وجدوا ان الباخرة التالية الى الولايات المتحدة ستبحر في اليوم التالي . كان لدى أليك من المال ما لا يزيد على ان يكفيه هو والادم وسجل سفره . تطلع الى بات وقال : « ذلك لن يبقني معي شيئاً للقبطان ولكم اتم » .

اجاب بات « لا تقلق بشأن ذلك ، يا أليك » .

حين عاد الى السفينة اخذ طريقه الى مكتب القبطان . وجده وراء منضدته الضخمة يشغل في بعض الاوراق امامه . رفع القبطان بصره ، و اشار الى الغلام ان يجلس واستمر هو يكتب واخيراً توقف وانكأ على كرسيه . قال : « حسناً يا بني . اتينا الى مفترق الطريقين ، أليس كذلك ؟ » فأجاب أليك : « نعم ياسيدي ، لقد اخذنا ، بات وانا ، النقود وكل شيء كما يرام » . وحس يده في جيبه واخرج « الفكة » من النقود وقال : « لكن هذا هو كل ما بقي — كما ترى يا سيدي حسناً ، ان امي واي لم يعرفا بشأن الادم هوان ما ارسله كان كافياً لارسلنا كلينا الى نيويورك » .

قاطعه القبطان قائلاً : « والآن انت تفكر بكم انت مدين لنا ، اليس كذلك ؟ » فأجاب أليك : « نعم ياسيدي . فلولاكم من المحتمل ان نبقي حتى الآن على الجزيرة » .

نهض القبطان من الكرسي وسار الى جانب أليك . وضع ذراعاً على كتفه

وقال : « لا تقلق بشأننا يا بني ، فنحن لا نتوقع منك شيئاً - وانت وذلك الحصان هياماً لنا من الاثارة ما هو اكثر مما لقيناه هنا منذ سنين » . وابتسم ثم سار نحو الباب ، واكمل القبطان قائلاً « عليك ان تقطع بقية الطريق الى البيت في امان . ذلك كل ما نشتيه » .

فقال أليك وهو يخرج الى سطح المركب : « شكراً يا كابتن » فرد الكابتن قائلاً « لا تدع احداً يسرق ذلك الشيطان المارد منك !

« لن ادع احداً يفعل ذلك يا سيدي ، وشكراً مرة اخرى » .

بعد ظهر اليوم التالي انزل الادهم على لوح العبور . كان قد امسك بلجام الجواد بيد ثابتة ، وظل يتكلم معه ملاطفاً . كانت السفينة التي ستقلها الى الوطن قد وصلت خلال الليل وكانت الآن تحمل بحمولتها . وتجمع بات وبعض البحارة حوله حين وصل الى الرصيف .

ودعوه واحداً بعد الآخر ، حتى لم يبق سوى بات ، فقال : « وداعاً يا أليك ، اعتن بنفسك جيداً » .

اجاب أليك : « هو كذلك . وتذكر يا بات ، لقد وعدت بأن تزورنا كلما جئت الى نيويورك » .

قال بات : « بالتأكيد ، ربما زرتكم يوماً ما - حين اتعب من البحر وأمله » وتوقف ثم قال : « ما الذي ستفعل بالادهم حين تصل به الى البيت ؟ »

اجاب أليك : « لا ادري يا بات ، لم افكر في الامر كثيراً ، انني آمل وحسب في ان يسمح لي بابا وماما بأن احتفظ به » .

كان بات ينظر الى الجواد : « ان تركيب جسمه معد للسرعة . اراهن انه يستطيع ان ينهب طريقاً » .

سأله أليك : « تعني سباقاً ؟ »

قال بات : « ربما .. قبل سنوات ثمان ، وقبل ان اذهب الى البحر ، دربت بعض

الخيول الجيدة في ايرلندا . انني لم ار منها ما يبدو اكثر استعداداً للجري من هذا الجواد ! »

قال أليك : « بوسعك أن تراهن بأخر بنس لديك على ذلك » .

وومضت في ذهنه الذكريات عن ركوبه مرة بعد مرة ، ركوبا يهر الانفاس على ظهر الجواد في الجزيرة . ثم قال : « حسناً يا بات ، علي ان اذهب الآن ، لقد اوشكوا ان ينتهوا من التحميل . الى اللقاء » . ومد يده وقبض الآخر عليها بيمين : « وداعاً يا أليك وخطاً سعيداً » .

قال أليك : « وداعاً يا بات » .

قاد أليك الادمم الى الطرف الآخر من الرصيف . كان عدد من الخيول مجتمعاً في زاوية وهي تنتظر دورها لكي تشحن في السفينة . كان حاملو الرصيف وعماله يندفعون ، في جيئة وذهاب . وروائح الماشية والفاكهة تتزوج معاً وتغلاّ الهواء . شب الادمم على قائمتيه الخلفيتين ، وجمعت الخيول الاخرى مرعوبة حين ابصرته . أخذ أليك الجواد الى زاوية بعيدة . كانت اذناه منتصبين الى الامام ، وعيناه تحدقان ، في سيطرة ، في الخيول الاخرى .

قال أليك : « تذكرك بالايام القديمة ، أليس كذلك يا فتى ؟ »

ابتسم وتسائل في نفسه عما عسى ان تقوله امه وابوه حين يريان الادمم .

كان فرحاً الآن بأنها قد تحولوا من المدينة في العام الماضي الى فلاشنگ ، احدي ضواحي نيويورك . كان واثقاً من انه يستطيع ان يجد مكاناً قرب منزله ليعقي الادمم فيه ، شريطة ان تدعه امه وابوه يفعل ذلك .

على حين غرة حجم الادمم عالياً واحس به أليك يرتجف . وملأت الجو حممة جوابية . راحت الخيول الاخرى يدفع بعضها بعضاً في اضطراب . رأى أليك جواداً كستنائي اللون يقاد نحو الرصيف . كان كبيراً ضخماً ، يكاد يساوي الادمم في ضخامته .

توقف الرجال الذين يقودونه في الطرف الاقصى من الرصيف .. وشكر أليك الحظ ، على ان هذا الحصان لن يشحن معاً في نفس الزورق مع الأدهم .

جذب الجواد الادمم حبله في قلبي ، ورأسه مرفوع في الهواء ، وعينه لا تبارحان الجواد الكستنائي .

كان للرجل الذي يقوده مشاكله أيضاً . ارتفع الجواد الكستنائي في الهواء . حمم الادمم وجذب حبله بأشد وأقوى . بدأت الخيول الأخرى تصهل عالياً . حاول أليك ان يهدئ الادمم لكنه استطاع ان يرى ان شيئاً وحشياً غريباً كان يصعد في نفسه . وتذكر القصص التي كان عمه قد رواها له عن قطعان الخيول الوحشية - كيف ان جواداً واحداً كان هو الملك .

قال : « هو ، ايها الفتى الادمم » . كان الجواد ينخر وإحدى قوائمه تضرب في الحشب واذناه مبسوطتان على جانب رأسه . ارتفع صغير الجواد الكستنائي عالياً واضعاً . وارتفعت صرخات ونداءات من البحارة . ثم رأى الرجل الذي كان يمسك بالجواد الكستنائي يسقط على الأرض . وصار الجواد مطلق السراح !

شب الادمم على قائميه الخلفيتين ، وكان صهيله وحممته موعبتين . عرف أليك الآن انه لا يستطيع ان يمسكه . لقد انبت الحبل من يديه . اندفع الكستنائي والادمم أحدهما نحو الآخر وحوافرها المرعدة تهز الواح الحشب من تحتها . ضاقت المنافسة بين الجوادين في سرعة ، ثم اصطدما .

ارتفعا عالياً في الهواء ، على قوائمها الخلفية ، وارجلها الامامية تحببط وتضرب اسدهما الأخرى في جنون . اخذ الادمم بيمسك الكستنائي وتعلق ، حيث كان ، في وحشيه . وفي غيظ ، راحا يتضاربان ويترافسان وعزافهما يتموجان في الهواء . اقلت الكستنائي من قبة الادمم ، وللحظة تهاً . للكفاح . ثم هاجم احدهما الآخر كرمحاً خوي .

لم يطلق أليك ان ينظر - ولم يستطع ان يصرف بصره . كانت اصوات السنايك وهي تضرب الانجسام وحيصلت الزعب من الخيول الأخرى تخرج مع

حجمات الجوادين الوحشين اللذين كان يتصارعان في سبيل السيادة .

صرخ الادمم بأعلى مما سبق لأليك ان سمعه من قبل ، كانت قوته وتدريبه يغلبان الكستنائي في بطنه . اكتسحت حوافره الضاربة قوائم الجواد الكستنائي من تحته ، فقط على الرصيف . وارتفع الادمم عالياً في الهواء ثم هبطت سنايكته ، على جسد الجواد الكستنائي . اغمض أليك عينيه . وبعد لحظة ، وصل الى اذنيه صهيل الادمم .

رأى الادمم واقفاً فوق الكستنائي ، وعيناه تتوقدان وجسده ملوث بالدم والرغو الابيض . ما الذي سيفعل بعد ذلك ؟

استدار رأس الادمم صوب مجموعة الخيول المتكاثرة في الزاوية . وفي جلال خطا نحوها . صهلت الخيول في عصبية ، لكن احداً منها لم يتحرك . وفي بطنه سار من حولها ، وعيناه تجرحان الهواء في انتصار .

تبعه أليك . سمع اصواتاً ترعق به : « ابتعد ، ايها الفتى ، ابتعد حتى تهدأ » . لكنه ظل يمشي . والتفت الادمم فرآه . وقف الجواد ساكناً . واقترب أليك منه . كان الجسد الاسود الضخم ممزقاً يتصبب دماً ، لكن رأسه كان عالياً ، وعرفه يتسرح مع الريح . راقب أليك عينيه – لقد عرف الكثير من عيني الجواد . رأى قليلاً من الوحشية يتركها . توقف منخراه عن الارتجاف . وتحدث أليك اليه في رقه .

مرت دقيقة ، ثم اخرى . التقط الجبل الذي ما زال مشدوداً بلجام الادمم . سحب الارتجاء ثم جذب في لطف . استدار رأس الجواد الادمم نحوه . تردد لحظة ثم استدار نحو الخيول الأخرى . انتظر أليك صابراً بينما كانت الجواد يتفحص القطيع . ثم نظر أليك مرة اخرى . بدا لأليك كما لو انه كان يحاول أن يقر على رأي بينهما . اخذ بضع خطوات اخرى نحو الخيول – ثم استدار وسار في هدوء نحو الغلام .

وارتفعت بين البحارة صيحات الدهشة والعجب . حاول أليك ان يقود الجواد

نحو عارضة العبور . وقف الادمهم وادار رأسه مرة أخرى نحو الجيول . ظل يحدق فيها مدى دقيقة وصغرت صفارة الباخرة . فجذب إليك الجواد بأشد قليلا من ذي قبل . قال : « تعال ايها الفتى الأدهم » . مرت دقيقة أخرى ، ثم التفت الجواد مرة ثانية .

تمتد البحارة وسقطوا وهم يتقدمون . وحين بلغوا عارضة العبور ، نظر إليك وراء كتفه فرأى حشداً يتجمع حول الجواد الكستنائي الذي كان يرتفع على قنميه في بطاء . كان الرجل ير بيديه على قوائم الجواد . ثم سار به — بدأ الكستنائي وكأنه غاية ما يرام . كان إليك فرحاً — فرغم ان الكستنائي هو الذي بدأ القتال ، فلو ان الادمهم كان قد آذاه ايذاء خطيراً لكان معنى ذلك التخليف والانتظار .

صعدوا العارضة الى السفينة . ونادى إليك بحار اشجع من باقي زملائه : « اتبعني ايها الولد — من هذا الطريق » . وقاده الى حظيرة على شكل صندوق ، ثم ابتعد مسافة يكون منها في مأمن .

قاد إليك الأدهم الى لوحة العبور ، ونزع الاجام ، ثم مهد فراش الجواد . ملأ سطلا بالماء ، وجلب اليه البحار قارورة من المرهم . كان فتياً ، لا يكبر إليك الا قليلا ، وكان وجهه مليئاً بالدهشة والعجب . قال « لم ار في حياتي شيئاً كهذا » . اجاب إليك « ولا انا رأيت » . تحسس قوائم الادمهم وجانيه وقال : « سيكون فضلاً منك ان استطعت ان تأتيني ببعض الحرق النظيفة . علي ان اعنى بهذه الجراح والكدمات » .

اجاب الفتى البحار : « بالتأكيد . سنبحر خلال دقائق قليلة ، لكي سأعود بها بأسرع ما استطع » .

إلى البيت

سمع أليك الباخرة نصفر ثلاث صفرات قصيرة . جاء آخر حصان إلى العنبر وهو منكش في عصبية حين مر بحظيرة الادم . مد الجواد رأسه الضخم من على الباب ، واذناه منتصبان إلى الامام وعيناه تتجولان من حظيرة إلى حظيرة .

اضطرب الزورق حين بدأت المحركات دورانها . وانحنى أليك ليسل الخرقه التي في يده . فكر ان : « لن يطول الوقت الآن » . وفي عناية نظف جرحاً عميقاً في جانب الادم حيث ضربه الجواد الكستنائي . احس الجواد يرتجف حين دخل الماء إلى الجرح . كان الجواد ضخماً قوياً اتراه سيكون اصعب مراساً من ان يقدر عليه ؟ وماذا ستقول امه وابوه حين يريانه ؟ لقد فكر في مكان يحفظه فيه . على بعد عمارتين من بيتهم في « فلوشنغ » كانت مزرعة قديمة مخربة . كان البيت الكبير ذو اللون البني يستعمل الآن لايواء السياح . ولكن ... كانت في مؤخرته عنبر قديم ، في امس الحاجة الى تعمير ، ومساحة فدان من الارض . مكان مثالي لايواء الادم .

لو ان والديه يسمحان له بأن يحتفظ بالجواد ، فسيصلح العنبر بنفسه ، ويمجد نفسه علا بعد انتهاء وقت المدرسة ليستطيع دفع نفقات طعامه .

فرك أليك الجرح بالرم في رفق . ادار الادم رأسه ، فقال أليك : « كان

يوما عصيبا للغاية . اليس كذلك ايها الفتى ؟ » هز الجواد رأسه ، وحسبك أنه في صدر الغلام ، دافعا إياه الى الجانب . ضحك أليك والتقط السطل والحرق .

اغلبت الحظيرة دراهم . ولم تحبص من خراج الجواد وتبعت عينك أليك وهو يتراجع في بطء الى الرواء . قال أليك : « خذ الامر في يسر الآن . ايها الفتى الادم . علي ان ارى كيف هو حال فراشي ! » .

جمع الادم حين بدأ أليك يرتقي الدرج . ارتفع صوت الاصطدام عيال قيا خرقت حوافر الجواد جانب الاصطبل . عاد أليك مسرعا . قال : « هو ... ايها الفتى . هو ... » مد الادم أنفه نحوه ، فوضع يده على الجلد الرقيق . جاء السواس من الحظائر الاخرى راكضين نحوها . سأل احدهم : « أكل شيء على ما يرام ؟ » .

فاجاب أليك : « نعم ، انه متبيح قليلا .. وحسب » .
قالوا : « انه مخلوق وضع عليك ان تراقبه » .
فقال أليك : « انه لا يجب ان يترك وحيدا . ولهذا فساظل على مقربة منه .. كما اظن » .

عاد السواس الى اعمالهم . ونظر أليك الى الجواد وقال : « ايها الادم ! انت كثير المشاكل » . وسار الى جانب الحظيرة ودفع اللوحة المكسورة مميدا ارجلها الى موضعها وتلفت حواله في العنبر فلمحظ ابن السواس قد فتحوا الاسرة السيفرية . وكانوا يضعونها الى جانب الحظيرة . عثر أليك على واحد منها وفعل نفس ما فعلوا . قال : « يبدو كما لو انني سأرقد هنا اردت ذلك ام لم ارده » .

بدأ أليك يتقلب على سريره تلك الليلة ، بينا الباخرة تشتق طوقها خلخل البهارات العاجية الثقيلة . كانت كل موجة تبدو كما لو ان القدر اراد لها ان تدس حرجه من فراشه . كان الامر صعبا على الخيول ايضا ، واحال ضربها الطوافر العنبر الى دار العجائنين . كان في وسع أليك ان يسمع الادم وهو يضرب الارض في حظيرته .

كان الجو ما يزال عكرا في الصباح التالي واستمر كذلك طوال النهار .
بدأت الخيول تعرض وظل السواس في شغل دائم . مساعد القبطان الاول
وحده ، الذي قام بدور الطبيب على السفينة ، هو الذي نزل اليه وحاول ان يحمله
يعود الى قمرته لكنه ، وهو المريض ادرك انه لن يستطيع ان يترك الادمم .

بعد اصبحة ثلاثة ، قام أليك على قدميه في وهن وسار حتى اتى الجواد .
كانت السفينة قد كفت عن التارجح . قال : « هالو ايها الفتى . ارى انك نحيف
كما كنت على الدوام » . انتصبت اذا الجواد الى الامام وهز رأسه .

اقبل سائس وسأل : « كيف تشعر ايها الولد » .
اجاب أليك : « ضعيف قليلا . لكني ، فيما عدا ذلك ، على احسن ما يرام » .
وتوقف ثم سأل : « كم سيطول بنا الوقت قبل ان نصل نيويورك ؟ » .
اجاب سائس « حوالي يومين آخرين ، ما لم نصادف جواً سيئاً مرة اخرى ،
لكن ... اظن اننا قد نلنا نصيبنا من ذلك » .
قال أليك وهو يعني ما يقول : « ارجو ذلك » .

بعد يومين صغرت السفينة لدائرة الحجر الصحي ، حيث كانت
ستقتش قبل مرورها الى ميناء نيويورك . دخل مقتشو الحجر الصحي الى العنبر
وذهبوا من حظيرة الى حظيرة يفحصون الخيول . لاحظ أليك ان كل سائس يبرز
لوراقا ويربها للضابط المسؤول . ماذا سيفعل حين يأتون اليه ؟ لعل الافضل ان
يذهب اليهم ويوضح لهم انه لا يملك اية لوراق . سار أليك نحو الضابط . وفجأة
لوقفته حممة الادمم في طريقه . التفت ورأى ان واحدا من المفتشين قد عبر العنبر
وصار يفتح باب الجواد . هتف أليك « حذرك ! » ، لكن صيحته كانت بعذ
قوات الاوان .. كان الجواد قد شب على قائمته الخلفيتين وراح يضرب الرجل
بقائمته الاماميتين . فارسله طائرا حتي صدم الباب .

اندفع أليك الى الحظيرة ورمى نفسه بين الجواد وبين المفتش . لم تفارق عينا
الادمم المدعورتان الرجل المطروح على الارض . وقف المفتش ، وهو يضمغ في

غضب ، على قلمييه . فأحس أليك بمبع يراح عنه . ان كان غاضبا فلا يمكن ان يكون قد أصيب بأذى كبير . كان بنطلونه ممزقا حيث ضربه الأدهم ، لكن لم تكن ثمة دلائل أخرى على الأذى .

جاء المقتشون الآخرون راكضين ، وسأل الضابط المسؤول : « ماذا يجري هنا ؟ » .

قال الرجل : « هذا الحصان هاجني ياسيدي . انه حيوان خطر » . اقترب الضابط من الباب وسأل أليك الذي كان يمسك بزمام الأدهم بقوة « ما عندك لتقوله بشأنه ؟ »

نظر أليك الى الرجل الطويل ذي الملامح الحادة ، وتساءل في نفسه عما اذا كان يستطيع ان يمنع الأدهم من دخول البلاد . شعر بالسقم بعد هذه المخاطرة . انهم لن يستطيعوا ان يفعلوا ذلك . قابل عيني الضابط بعينييه وقال : « انا متأسف ياسيدي لما حدث واني لأعرف انه ما كان ليفعل ما فعل لو لم يدخل مقتشك الى الاصطبل بتلك الطريقة . انت ترى انه غير معتاد على الناس ياسيدي . لم يسبق لاحد ان اقترب منه عداي انا » .

تنقلت عينا الضابط على الجواد . ثم سار نحو الباب وذهب الى الداخل . شدد أليك قبضته على اللجام وقال : « لا بأس ايها الأدهم . هو ... يافق » . تحرك الجواد في قلق .

سار الضابط في ببطء من حوله وسأل : « انه جواد حقاً . اهو لك ؟ » اجاب أليك : « نعم ياسيدي » .

— « اجمع اوراقك كاملة ؟ »

— « ليست لدي اية اوراق يا سيدي ولكن الرابث أخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام . لقد غرقت سفيتنا و .. » . قال الضابط مقاطعاً : « اوه ، انت الشخص اذن . لقد تلقينا أوامر بشأنك . انك ستدخل البلد » وابتسم ثم قال : « لقد وجدت في سفرتك ما يكفيك من مشاق ولا حاجة الى جعلها أشق » .

بما هي .»

التفت إلى المفتش الذي شتم بظلمته عن ساقيه وراح يفسل جرحاً عميقاً فسأله : « كيف حال رجلك يا ساندي ؟ » اجاب : « حسنة كما أظن ياسيدي ، لكن ذلك الحصان أوحش جواد وقعت عليه عيناى هنا خلال أربعة عشر عاماً . فابتسم الضابط وقال : « أظنه أحسن ما رأيت أيضاً » . ثم التفت إلى أليك وقال : « لا بد أن لديك قصة رائعة يا ولدي — غرق السفينة ونجّانك أنت وحيوان كهذا .»

أجاب أليك : « وهو كذلك ، ياسيدي . لقد كنا كلانا على ظهر ال (دريك) حين غرقت ، ونحن ، كما استنتجت مما سمعت ، الناجيان الوحيدان » . وتوقف ثم تابع كلامه : « انها قصة طويلة للغاية يا سيدي » . والتفت الى الجواد وقال : « ما رأيك فيها ، أيها الرجل ؟ فنخر الأدهم .

بعد ان ثبتت سلامة السفينة صحيا ، غادرت منطقة الحجر الصحي ومارت خلال المضائق نحو الميناء . حذى أليك في لفة ، خلال الكوة التي في جانب — الأدهم . قصلب حلقومه حين ارتفع خط السماء من البحر . ها هو ذا يعود الى الوطن ! وبأية طريقة مختلفة عن هذه غادر البيت منذ خمسة أشهر ! لقد بدت اشبه ما تكون بخمسة المحوام !

احس أليك بأنفاس الأدهم الثقيلة على ذراعه . التفت وامر يده على المنخرين الرقيقين قال : « حسنا ، أيها الأدهم ، لقد عدنا الى الوطن ! »

اسطاع ان يرى الناجيتين الصغيرتين تدفعان الشاحنة الكبيرة دون جهد . كانت الأبنية تشمخ اعلى فأعلى نحو السماء . ومرت بهم سفينة اكبر ، تقصد المحيط . وزحفت ناقلات نفط وزوارق حل مسطحة بعربات قطار . وفي المسدى ، رأى أليك تمثال الحرية . امتلأت عيناه بالدموع . ما خطبه ؟ كان اكبر من ان يصبح عاطفياً . لكن حنجورته تصلبت وراح يتلع ريقه بصعوبة حيناً اقتربوا من رمز الحرية والوطن !

شقت عبارة كهربائية طريقها خلال الماء الى جانب السفينة وسطوحها مزدهرة

بالتاس . كانت الشمس تغرق وراء الابنية على شاطئه جرسى . راح الأدهم يشم يد أليك . فالتفت هذا وابتم ثم قال : « دقائق قليلة وحسب ، هنا الأدهم » مد يده الى جيبه واخرج قطعتين من السكر وورقة برفية . اخذ الجواد السكر من يده . فتح أليك قطعة الورق الصفراء وقرأها مرة أخرى : « ستكون على رصيف الميناء . نكاد لا نستطيع صبراً مع الحب . ماما وبابا » .

كانت الباخرة الآن مقابل بروكلين حيث سترو . دار زورقا السحب بالسفينة ثم توجهت نحو الشاطئ . كان العنبر مليئاً بالضوضاء ، وتبدأ البحارة لافراغ حولة السفينة . واصبح الأدهم قلقا .

ثم انزلت السفينة الى جانب رصيف الميناء . سمع أليك صوت احتكاك السفينة برصيف الميناء وصلصت سلسلة المرساة وهي تتحدر الى القعر . بعد دقائق قليلة فتحت ابواب العنبر .

بدأ البحارة ينزلون الخيول الى البر . ويسبب سحمة الأدهم ، تركبوه ينتظر حتي انزلت جميع الخيول الأخرى . ثم أشار احد البحارة اليه فقال (حسناً) وابتم أليك فيما رآه يتحرك بسرعة متنجحاً عن الطريق . قاد الأدهم خارج حظيرته ، ويده مشدودة على اللجام .

ارتفع رأس الجواد عالياً ، كان يعرف ان شيئاً غير عادي سيحدث . وفي خفة خطر نحو الباب . كان رصيف الميناء مزدجماً بالناس . وقد هبط الغسق واضيئت الأتوار نحر الأدهم ؛ اذ لم تسبق له رؤية شيء كهذا . شب على قائمتيه الخلفيتين ، لكن أليك انزله من شوبه . كانت ليلة باردة من ليالي الجريف . والنسيم يهب خلال الباب المشرع ، يوسط عرف الجواد . تحركت عيناه الواسعتان في عصبية ، فيما اطلق صغيراً حاداً قصيراً . هز رأسه وحجم بصوت أعلى .

هبط على رصيف الميناء سكون مفاجئ ، وانجبت العيون كلها نحو الأدهم عندما وقف بالباب . وفي يده قاده أليك نحو لوحة المور . احس يحسده الأسود يضطرب فيما اصبحت ضوضاء المدينة اعلى فأعلى ، بعد ان هذا رصيف الميناء .

وفي منتصف طريق الهبوط ارتفع الأدم عالياً في الفضاء . فأنزله إليك . وهرع ثلاثة من البحارة يرتقون لوحة العبور لمساعدته . رآهم الأدم فارتفع ثانية ، وقائمه الأماميتان تحبطان الهواء . فوقف الرجال . وتصبب العرق من جسد الجواد .

عرف إليك انه اخذ يقعد السيطرة عليه . وشدّد قبضته على اللجام بكلتا يديه . أقبلت سيارة نقل على رصيف الميناء . وضوءها الأماميان الباهران — يقتربان منهم . حمحم الأدم وانتصب مرة أخرى . ورفع إليك من الأرض وهو ما يزال قابضاً على اللجام . طوح به الجواد الى جانب فأفلتت قبضته اللجام وسقط الى لوحة العبور . وعالياً فوق جسمه رأى السبنكتين الخابطتين . ومزقت السكون صرخات من المشاهدين .

هبط الأدم ، فاستقرت قائمته الأماميتان على جانب رأس إليك ! نخر واستدار مختفياً في العنبر . ظل إليك منظرهما ساكناً ، وقد داخ للحظة . ثم احسن يدين تساعدانه على الوقوف على قدميه .

سأله احد الرجال : « أنت بخير ؟ »

اجاب إليك : « انني بخير . لقد اصبت بضعضة بسيطة . »

— « لا بد انك تريد ذلك ! انه حيوان وحشي » !

اقبل شرطي يركض وبندقية في يده . زحف الخوف على الأدم الى قلب إليك . نظر الى الضابط وقال : « لا تطلق النار عليه » !

اجاب الشرطي : « لن افعل ذلك ما لم يعرض حياة اخرى للخطر . »

عادت قوة إليك في ببطء اليه . قال : « سأخذه . »

فقال الضابط : « سأتي معك . » وتراجع الرجال الآخرون من لوحة العبور .

قال إليك : « ربما استطعت ان افعل ذلك بصورة احسن وانا وحدي ياسيدي . »

— « ربما ... لكبي سأرافقك خوفاً من ... » .

دخل إليك العنبر قبل الشرطي . رأى الحصان واقفاً الى جانب حظيره .
انجبت عيناه المذعوران الى الصي .

قال إليك : « ما الأمر ، يا قتي ؟ أنيورك أكثر مما تطيق ؟ » وفي حذر
تحرك الى أمام ووضع يده على رقبة الجواد .

تحرك الأدم بعصية فقال إليك : « طبعاً هي جديدة عليك ، ولكنها في الحق
لا بأس بها بعد أن تعود عليها » .

حكّ الجواد أنفه في صدر إليك ، فوضع إليك يده في جيبه وأخرج بعض
السكر واعطاه اياه . انتظر حتى فارقت النظرة الوحشية عيني الأدم .

ثم قبض على اللجام وقاد الأدم نحو الباب . ففتح الشرطي الى جانب . شب
الجواد على قائمته الخلفيتين مرة أخرى حين رأى الأضواء والحشد من الناس ، من
جديد . أداره إليك على عجل وعاد به الى الحظيرة .

تكلم الضابط قائلاً : « اخلع سترتك ايها الولد ، واعصب بها عينيه » . قال
إليك : « فكرة طيبة » وبسرعة خلع السترة . وقاد الجواد الى غرفة خشبية
وصعد عليها ليبلغ عينيه طوى السترة ووضعها عليها ثم شده من الخلف . حرك
الجواد رأسه وحاول ان يطوح بالسترة . وشب على قائمته الخلفيتين نصف شبة
ولكن يد إليك وصوته المطمئنين هدأ منه .

ومرة أخرى قاده نحو الباب . حين ظهرا في اطار الباب ، هتف الجمهور .
وبعناية قاد إليك الجواد وتزل به على خشبة العبور . رأى أذني الجواد تتصببان
الى امام ثم تلتصقان على جانبي رأسه . وثقل تنفسه . وهزّ رأسه وشب مرة أخرى
على قائمته الخلفيتين نصف شبة فوضع إليك كلتا يديه على اللجام ، لكنه وقد
تذكر كيف طوّح به الجواد الى الجو من قبل ، سحب يده اليسرى ووضعها على
الحبل المتصل باللجام . نظر الى تحت . ولاح له أن آلافاً من الأوجه المرفوعة
صوبه تراقبها .

في منتصف طريق المبوط ، شب الأدم مرة أخرى على قائمته الخلفيتين .

ومره أخرى أنحس إليك بتغته وقد بدأ يترك لوحه العبور .

فلت اللجام وترك الحبل ينزلق خلال يديه .

ارتفع الجواد عاليا ثم هبط . تخاشى إليك السبكتين الأماميتين . وقبض - وهو مصفر الوجه - على الحبل مرة أخرى ، ثم قاد الأدهم هابطاً به لوحه العبور . وبعد مسافة قصيرة ، أصبح على رصيف الميناء . تنحى الجمهور بسرعة ليكون بعيداً عن طريق الجواد .

كان منظر الأدهم جيلاً . فهو يتحرك بحفة على اقوائمه . هز برأسه محاولاً ان يخلص نفسه من العصابة . كان سحرفه يتموج في الريح . وسرة أليك البيضاء على عينيه تتناقض تناقضاً صارخاً وجسده الأسود الفاحم . فكر أليك : « لقد اخذتعود على الضوضاء » ، لكنه لم يرخ قبضته المسكة بلجام الجواد .

على حين غرة سمع صوت أبيه : « أليك ، أليك - هانحن هنا » فالتفت ورأى امه واباه واقفين على حافة الجمهور - كان ابوه طويلاً نحيفاً كما كان دائماً ، بينما كانت امه قصيرة متمثلة الجسم كما كانت أبداً . وجههما في مثل بياض السترة حول عيني الأدهم . تحرك أليك نحوهما ، ثم تذكر الجواد . رأى امه تقبض على ذراع أبيه . ووقف على مسافة قصيرة منها .

كان كل ما قاله : « هالو ، ماما وإبأ » رغم ان قلبه كان يستطيع ان يرى امه تبكي وجوى أليك اليها ، وهو قابض على طرف الحبل ليظل ممسكاً بالأدهم ، ورمى ذراعيه حولها معاً .

قال ابوه بعد دقائق قليلة : « انه لشيء جميل ان نراك يا أليك » . فأجاب أليك : « انه لشيء جميل ان اعود الى الوطن » . فتابست امه .

تحرك الأدهم ، في قلبي ، الى نجاته . نظر أليك اليه ، ثم الى ابويه . قال بالاحترار : « الله لي » .

قال ابوه : « لقد كنت اخشى ذلك » . اما امه فقد انعقد لسانها دهشة . رأى عيني أبيه تثخنان الجواد . لقد ركب كثيراً من الحيات في زمنه وبته تعلم

أليك ، وهو طفل صغير انه يحب الخيل . لم يقل شيئاً ، لكن أليك لم يغب عنه انه يتأمل الأدم ويقيمه . وعندها قال أليك : « سأروي لكما القصة كاملة اني مدين بحياتي له » .

وحين استعادت أمه السيطرة على نفسها ، قالت : « لكنه خطر للغاية يا بني ، لقد رماك ارضا » غير انها توقفت حائرة حين قابلت النظرة المهادنة الواثقة في عيني الفتى الممسك بالحصان . أهذا حقاً ابنها ، الفتى الذي غادرها قبل خمسة اشهر وحسب ؟! سأله ابوه قائلاً : « ما الذي ستفعل به ، وقد حصلت عليه ؟ » .

اجاب أليك : « لا ادري يا ابي ، لكنني اعرف ابن سأضمه ! » هكذا انصبت الكلمات من فمه .

كان يعلم ان عليه ان يقنع والديه الآث ، في هذه اللحظة ، بصورة نهائية ، بأن الأدم يجب ان يكون له - ليحتفظ به . قال : « هناك ذلك الحرن القديم في موضع هاليران القديم في الشارع الذي يعيش فيه آل ديلي الآن . انا واثق من انهم سيدعونني ابقيه هناك لقاء لا شيء تقريباً ، وسيكون له قذات كامل من لارض يرتع فيه ! سأعمل ، يا ابي بعد المدرسة ، لأحصل على نقود انفقها على اطعامه . دعني احتفظ به ، أليس كذلك ؟ »

قال ابوه بهدوء : « سنرى يا بني » . وابتمس لأم أليك مطمئناً واصل الكلام قائلاً : « سنأخذه الى البيت ونرى ماتكون النتيجة . تذكر وحسب يا أليك ، انك انت المسؤول عنه - من واجبك ان تعتني به وان تطعمه . على عاتقك مهمة كبيرة . سأدبر امر وصوله الى فلوشنغ ، وبعد ذلك سيوكل امره اليك ! » .

شق شاب طريقه ، بحذر ، حول الأدم واتجه اليهم . كان يحمل آلة تصوير في إحدى يديه وبالأخرى رفع قبمته كاشفاً عن شعر في مثل سواد جسم الجواد . قال لأليك : « اسمح لي . انا جو روسو من صحيفة الديلي تلغراف . اود ان التقط بضع صور واسجل قصتك . لقد علمت انك الناجي الوحيد من ركاب الـ « دريك » التي غرقت قرب ساحل البرتغال » .

أشار أليك إلى الأدهم وقال : « لقد كان هو هناك أيضاً » . غغم روسو :
« صحيح هذه قصة مجت . تعني ان ذلك الحصان كان في السفينة ، أيضاً ؟ » اجاب
أليك : « نعم . لقد كان بالتأكيد » سأل جو ، وهو مهتم بالموضوع اهتماماً
صادقاً : « ما الذي حدث حين غرقت السفينة ؟ » وكتب في سرعة ، بقلمه .
اجاب أليك : « ان ذلك اطول من ان اخبرك به الآن . وبلاضافة فهناك
الكثير مما يجب ان اعلمه ... » .

واستدار الى الأدهم الذي كانت عيناه تتحرك كان بعصية من جانب الى
جانب .

قال الصحفي الشاب جو بكل اصرار : « دعني اساعدك عليه . ستحتاج الى
سيارة نقل لتصل به الى البيت ، واعتقد انني اعرف اين اعثر على سيارة نقل .
وبعد ذلك ، تستطيع ان تعطيني القصة كاملة ! » .

قال أليك ، وهو عتق لأية مساعدة يلقاها في مشكلته المباشرة : « ايصال الأدهم
الى البيت .. حسناً » .

سابليون

بعد ساعة ، قاد أليك الأدم الى سيارة شحن صغيرة مغطاة كان جو روسو قد وقرعها لتحمله الى البيت . كانت امه قد ذهبت قبله ، تسوق سيارة العائلة . وقد قالت : « لن تجعني اركب مع ذلك الحصان »! وجلس ابوه في المقدمة مع جو روسو والسائق . ووقف أليك - وهو يخشى ان يترك الأدم وحيداً - في المؤخرة معه . نخر الجواد حين بدأت السيارة تتحرك في الشارع . وعيناه ما تزالان مصوبتين بالسترة .

كانت سيارة الأجرة تثر مارة بهم ، وأبواقها تنفخ بصوت عال . وكانت سيارات الشحن تطلق سائرة نحو السفينة لتنقل حمولتها ، كان الرجال يصرخون في الشوارع . والباعة المتجولون يصيحون بأسعارهم . ضوضاء ، ضوضاء ، ضوضاء . هكذا كان دخول الأدم الى نيويورك .

كانت يد أليك مشدودة بقوة على اللجام . ومن النافذة الصغيرة وراء ظهر السائق كان يرى الينابيع بأضوائها المتألقة . ترامت نيويورك غريبة عليه هو أيضاً ، فقد نسيها . تحرك الجواد في عدم ارتياح ، وانتفض رأسه في محاولة للتخلص من السترة . قال أليك : « هوا .. يا ولد » ربت على ظهر الجواد الأسود الناعم . وانحدروا في شوارع المدينة .

ظل والد أليك ينظر حوله ، كما لو لم يكن قادراً على انتزاع عينيه من أليك والجواد وقد ارتفع رأسه عالياً في الهواء فوق الغلام . في بطن راحته سيارة التقل تحرك داخلة في ازدحام المرور وخارجة منه . زار قطار عالٍ قريباً منهم . فصفّر الجواد وشب نصف شبة ، مشكاً ان يصطدم بسقف السيارة . وجذبه أليك الى اسفل .

خف ازدحام المرور تدريجياً وتحركوا مبتعدين عن القسم التجاري من المدينة واتجهوا نحو فلوشنغ . لقد انتهى الاسوأ الآن ، وكان الأدم هادئاً . واصبح أليك حراً بأف يفكر في بهجته حين يمتطي الجواد في ذلك الحقل الكبير قرب العنبر لو انهم سمحوا له بابقاء الجواد هناك !

ثم راحت السيارة تسير في شارع فلوشنغ الرئيسي . حقق أليك من النافذة بشوق ولهفة . كان جيلاً ان يرى المخازن والمباني المألوفة لديه ، مرة أخرى . وبعد عمارتين آخرين ، انعطفوا الى شارع فرعي . وبعد عشر دقائق أخرى رأى أليك بيته على الجهة اليمنى . التفت ابوه وابتم له من خلال النافذة . فرد أليك بابتسامة .

وتنحرجت السيارة مجتازة البيت منطلقة في الشارع الى منزل هالبران العتيق . وانعطفت السيارة الى طريق لمور السيارات مجتازة لافتة كبيرة كتب عليها « للسواح » . ووقفت امام الباب .

هبط والد أليك وسار الى جانب سيارة التقل وقال : « حسناً يا أليك . ان الأمر مو كول اليك الآن . الاحسن ان تدخل وترى ما اذا كانت المسز « ديلي ستمسح لك بابقائه في العنبر » .

اقلت أليك لجام الأدم قائلاً : « على مهلك يا فتى » . ثم قفز من السيارة وصعد عتبات المنزل وقرع جرس الباب . كاث آل ديلي قد انتقلوا الى منزل هالبران العتيق قبل ان يذهب أليك الى الهند بوقت قصير ، ولهذا لم يكن على معرفة وثيقة بالمسز ديلي التي جاءت الآن الى الباب . كانت امرأة ضخمة مريخة

للنظر متينة البنيان . قال أليك : « هلو يا مسز ديلي . تتذكريني ؟ » .

اجابت : « لم لا ؟ انت الفتى من ذلك الشارع ، لكنهم اخبروني - » وتوقفت في حيرة ظاهرة ثم استأنفت القول : « اخبروني انك غرقت حين غرقت سفينتك » .

قال أليك : « لقد نجونا . وما وصلت البيت الا الليلة » .
قالت : « لابد ان اباك وامك شاكران الله غاية الشكر . ولا ريب انك عانيت وقتاً عصياً » .

— « لقد كان عصياً يا مسز ديلي — ولكن ما رغبت في ان اراك بشأنه يا مسز ديلي هو انني ... ، قد اتيت بحصان معي نجونا معاً » .
غمغمت قائلة : « حصان ؟ »

قال أليك : « نعم . وقد اخبرني ابي انني استطيع الاحتفاظ به ، اذا وجدت مكاناً لبقائه اود ان اضعه في احدى الحظائر في عنبرك » و اضاف « سأدفع لك لقاء ذلك » .

قالت المسز ديلي : « لكن العنبر ليس في حالة جيدة يا ولدي » . وابتسمت ثم واصلت القول : « كما ان لدينا زيولاً في الحظيرة الجيدة الوحيدة » — « زيل ؟ »
نعم ، انه توني البائع المتجول ، يحتفظ بنابليون العجوز هناك الان سأل .
أليك : « نابليون ؟ هل تعنين الحصان الأشهب العجوز الذي كان عنده على الدوام ؟ » .

— « نعم ، ذلك هو — يبدو لي انه سيموت في اي يوم الآن ... وحينذاك ستصبح قادراً على استعمال حظيرته » .

قال أليك وقد بدأ يشعر بالأس : « لكنني لا اعرف اي مكان آخر استطيع ان ابقى حصاني فيه . أليس لديك حظيرة اخرى يستطيع ان يستعملها .
— اظن الزريرة التي تلي زريرة نابليون يمكن اصلاحها وتنظيفها ، لكنني لا املك

الوقت ولا المال اللازمين لذلك . فاذا اردت ان تضع حصانك هناك ، فعليك ان تنظمها بنفسك » .

قال أليك مسروراً : « بالتأكيد سأفعل ذلك يا مسز ديلي . هل تستطيع تركه هناك الليلة ؟ » .

قالت بإبتسامة : « اوه ، لا بأس . واذا اصلحت الزرية بصورة حسنة فسوف اتساهل في الايجار » .

— « ذلك كرم منك يا مسز ديلي . سأقوم بأحسن ما استطع ا » .

قالت : « سأدعو زوجي ليقترح الباب لك » . ثم صاحت بصوت عال : « هنري ! سينزل خلال دقائق قليلة ، كما اظن . تستطيع ان تسوق سيارتك حتى الباب — سأجعله يلاقيك هناك » .

قال أليك : « شكراً مرة اخرى يا مسز ديلي . شكراً مليون مرة » . واستدار وقفز هابطاً درجات العتبة .

هتف وهو يقفز على لوحة الصعود في سيارة النقل : « سوف تدعني اضعه هناك ! » .

اجاب والده : « ذلك حسن » .

وضحك جو روسو قائلاً : « انك بائع ممتاز ! » لاحظ أليك ان جو روسو كان يكتب ملاحظات على رزمة الورق بين يديه . قال والد أليك عابساً : « انتظر حتى ترى مسز ديلي ما الذي سيوضع في عنبرها ! » .

ساقوا السيارة بمجازين حاجزاً حديدياً عالياً حتى بلغوا الباب . وهناك وقفوا وراحوا ينتظرون هنري واخيراً ظهر هنري وهو رجل قصير غليظ عريض الاكتاف .

اقبل نحوهم سائراً مقوس الساقين في خطوات مرتجفة . كانت اطراف قميصه ترفرف في ريح الليل . مسح يده الضخمة بقمعه . وزجر قائلاً : « كل شيء على ما يرام » . دس مفتاحاً في القفل ثم دفع الباب الثقيل . صرّت فواصل الباب فيما

انفخرج مشرعاً . قال هنري : « ادخلوا » .

تدحرجت سيارة النقل خلال الباب واندفعت في الطريق الرمي الى العنبر .
شعت اضواء السيارة الأمامية على الباب الداخلي الواسع . وجاء هنري ورامعا
قائلاً : « سأفتح الباب الداخلي وتستطيعون ان تدخلوه » .

انزل أليك الباب الجانبي لسيارة النقل ليستطيع اخراج الجواد . قبض على
الرجام قائلاً : « انه بيتك الجديد يا فتى » ! وفي بضع قناد الحصان هابطاً به الى
الارض . هز الأدم رأسه وضرب الأرض بقائمتيه الخلفيتين .

قال أليك : « انظروا اليه . انه في حال جيدة منذ الآن » ! ورأى الرجال
يحدقون في الجواد باعجاب .

اتكأ هنري على باب العنبر . وتحركت عيناه ببطء تجسان جسم الأدم .
قال وهو يهز رأسه : « اخبرتي زوجتي ان لديك حصاناً - لكنني لم اتوقع
حصاناً كهذا ! » .

ثم غغم كما لو كان يخاطب نفسه : « رأس جيد ، صدر عريض ، أرجل قوية » .
قاد أليك الأدم الى العنبر . وفي الخطيرة الحشوية الأقرب الى الباب ، كان
نابليون ، ورأسه الأشهب العجوز متأرجح فوق باب الخطيرة . حمحم حين رأى
الأدم الى داخل الخطيرة .

سأل أليك : « أأضعه الى جوار نابليون ، هناك يا مستر ديلي ؟ اتعتقد انه
سيكون في مأمن ؟ انه يصبح عصيباً للغاية بعض الأحيان » .

— بالتأكيد . ضمه هناك . سيكون نابليون العجوز عوناً له اكثر من اي شيء
آخر — هدته » .

انجبه هنري الى زاوية من زوايا العنبر والتقط ضمة من القش عاد بها الى
الخطيرة ونثرها حوله قائلاً : « سنستعيد بعض القش من توفى كفراش للأدم . انه
لن يتكاثث » . قام هنري بسفرتين اخريين نهاباً وجيئة . قال : « الآن تستطيع ان

تدخله يا بني . هناك اشياء قليلة يجب تنظيمها لكي اظن انه سيتسع لمستطيع ان تفعل غداً خيراً مما تفعله اليوم » .

قال أليك : « شكراً » .

وسأله والده قائلاً : « ما الذي ستطعمه اللبلة يا أليك ؟ افكرت في ذلك ؟ » .

قال أليك : « صحيح ... لقد نسيت ! » .

التفت الى هنري وقال : « اين تعتقد انني استطيع ان اجد بعض العلف يا مستر

ديلي ؟ » .

— ان توني يحصل على علف من مخزن العلف في زاوية مخزن بارسون ونورترن ، لكنني انصور انه مغلق الان . لكنك تستطيع ان تستعمل شيئاً من علف توني ، ثم ترده له حين تحصل على علف لجوادك » .

اجاب أليك : « عظيم » . قاد الأدم الى الحظيرة التي تلي حظيرة نابليون . لقد كانت مدممة قليلاً ، لكنها كانت واسعة ، وكان في وسع أليك القول بأن الجواد قد احبها . كان يقف في صبر بينما رفع أليك لجامه وحك له جسمه . ثم سلم هنري الى أليك سطلا من العلف فافرغه أليك في زريبة الأدم .

مد نابليون العجوز رأسه بجذر من على اللوحة التي بين الحظيرتين . رآه الأدم ، فخطا — وراح يشم متشككاً . لم يتحرك نابليون . كان أليك يخشى ان يتقاتلا . ثم مد الأدم رأسه الى حظيرة نابليون وحجم . فأجاب نابليون بمحممة .

ضحك هنري وقال : « انظر ، ما الذي قلت لك ؟ انها صديقان منذ الان » .

غادر أليك الحظيرة ، وهو يشعر براحة فيما يخص الأدم بأكثر مما احس بها في اي وقت منذ بدأ رحلتها الطويلة عائدين الى الوطن . قال : « انني مسرور بأنه يحب نابليون . لعلمي استطيع ان اتركه الآن . عليه ان يتعلم البقاء وحيداً في حين من الأحيان » . قال ابوه : « يبدو كما لو انه سيكون على ما يرام . في الحق ،

يبدو وكأنه يجب هذا المكان . انه ليس متوحشاً للغاية ، على كل حال !» .
— « انه على مايرام يا بني ، حين يعتاد على الاشياء . انه ينقلت من الزمام حين يقلقه شيء جديد » .

— « حسناً يا بني ، دعنا نعود الى البيت ونرى امك . من الراجح انها تعلق نفسها الآن حتى الموت » .

تكلم جوروسو قائلاً : « اكره ان اكون لجوجاً مزعجاً يا مستر رامسي ، لكني لود ان احصل على قصة ابنك قبل ذهابي . انت لها كل امارات القصة الجيدة وأنا في حاجة الى قصته » .

ابتسم والد أليك وقال : « ولا بأس في ذلك . اني سعيد بالتقائي بك واليوم يوم احتفال بالنسبة لنا ، كما تعلم ! » .

تقدمهم هنري في طريق الخروج من العنبر . سمع أليك صغير الأدهم الخافت غيماً انطفأ النور . ثم حل صمت . واغلق هنري باب العنبر .

زحفت برودة هينة الى الجوف، كانت سيارة الشحن قد ذهبت . ساروا في بطة في الطريق الرمي نحو الباب . سلم هنري أليك مفتاح القفل ، وقال : « تستطيع ان تحتفظ بهذا ، يا بني . ان لدي مفتاحاً آخر في البيت ومن الراجح انك ستأتي الى هنا كثيراً الآن » .

اجاب أليك : « شكراً يا مستر دبلي . سأفعل ذلك بالتأكيد » .

— لست مضطراً الى منادائي بمستر دبلي — ادعني هنري وحسب كما يفعل كل واحد هنا . اي شيء غير ذلك يبدو مضحكاً .

— « حسناً ، يا هنري » .

تركهم هنري عند الباب . عبروا الشارع وساروا نحو البيت . رأى أليك نوراً عند الباب الأمامي فأسرع في السير . قال ابره : « على مهلك . لم اعد شاباً كما كنت من قبل ، كما تعلم » . ضحك جو قائلاً : « لا استطيع حتى مسابقة هذه

الخطوات ، وانا ما زلت شابة» .

قال أليك : (سأراك هناك) وانطلق يمشي .

بلغ البيت وارتقى درجات العتبة درجتين درجتين . ورمى نفسه على الباب . لم يكن مقفلاً ، ركض داخل ممر الصالة وصب النظر الى غرفة الجلوس ، كانت خالية . ووضع يده على دربزين السلم وبدأ يرتقي السلم . ثم سمع صوت امه من المطبخ : « الكسندر ، أهذا أنت » .

هتف قائلاً : « نعم ، ماما ، انا » . وركض الى المطبخ ورمى ذراعيه حول أمه قال : « انه لشيء حسن ان يكون المرء في بيته ! » .

تطلع الى أمه ورأى أن عينيها كانتا نديتين . سألهما : « ما الأمر يا أمي ! لماذا تبكين ؟ » .

ابتسمت المسز رامسي من خلال دموعها وقالت : « لا شيء يا بني . انني مسرورة لأنك في البيت . ذلك كل ما هناك » .

ووضع أليك ذراعيه السمرلوتين الضامرتين تحت ذراع أمه الممتلئة ، وسار معها الى غرفة الجلوس فيما دخل والده وجو روسو من الخارج .

نظر المخبر الصحفي في أرجاء الغرفة بأنوارها الخافتة المظلمة واثاثها المريح للنظر ثم الى أليك وأبيه وأمه . قال جو : « أظنك لا تستطيع أن تلومه على رغبته في العودة الى هذا » .

وافق أليك قائلاً : « صحيح ! »

جلست أمه على السرير وجلس أليك الى جانبها وذراعه ما زالت في ذراعيها . وكان أبوه يحشو غليونه في كرسية الأثير في الزاوية . قال : « حسناً يا بني - هيا اخبرنا بكل شيء » .

بدأ أليك قائلاً : « بعد أن تركت العم رالف في يومي بأيام قليلة وقمنا في ميناء عربي صغير في البحر الأحمر » .

كانت الساعة التي فوق الراديو تتك الدقائق فيما راح أليك يروي قصته . مرة أخرى ، كان على ظهر الـ (دريك) ويرى الأدم للمرة الأولى . نسي أن أمه وأباه وجوروسو كانوا يصغون إليه . كان في العاصفة يسمع زئير الأعصار وتحطم الأمواج على جانبي السفينة . سمع قفقة عالية من قفقات البرق فيما أصابت السفينة . ثم راح الأدم يسجبه خلال الماء - راحا يصارعان الأمواج في الظلام ساعات وساعات . طوّف في الجزيرة ، يكافح الجوع . اكتشف الطحلب المائي الذي انتقدهما كليهما . ركب الجواد للمرة الأولى - ذلك الركوب العنيف الذي لا ينسى ! الحريق ، ذلك الحريق الرهيب ، الذي ظهر انه رحمة متتكرة في زي نقمة . وفرحه حين رأى البحارة يسحبون زورقهم الى الساحل . رودي جانيرو الوطن ...

انتهى فصل " صمت " . كانت يد أمه تقبض على يده . راحت الساعة تتك بصوت عال . وكأنها تقول : « هوذا البيت .. هوذا البيت ... » كان غليون أبيه قد انطفأ . قطع أبوه للصمت قائلاً : « لا أدري ما أقول ، يا بني ... الا انه الله كان معك لا يد - ومعنا » . - والتفت الى المسر راسمي وقال : « نحن شاكرون الله ، اليس كذلك يا أماء ؟ » أحس أليك بضغط يدها وهي تجيب : « نعم ، ان لدينا الكثير مما يجب ان نكون شاكرين الله عليه » .

قال جوروسو : « أستطيع ان أفهم الآن كم تحبون ذلك الحصان » . قال والد أليك : « نعم يا أليك . أستطيع أن أعدك بأنه سيجد على الدوام مكاناً له هنا معنا » .

قالت أمه : « لولاه - ذلك الحيوان الوحشي غير المروض - » . وقف جوروسو قائلاً : « أود أنه أشكركم على سماحكم لي بالبقاء . ان كان ثمة شيء أستطيع القيام به » .

نهض المسر راسمي من كرسيه وقال : « ذلك امر حسن . يسرنا اننا سعدناك . طابت ليلتك . ومد يده للمصافحة . ابتسم جوروسو لأليك وامه

قائلاً : « طابت ليلتك يا سيدي . اعنوا عناية كبيرة بذلك الحصان » .

اجاب أليك : « بالتأكيد سأفعل . وشكراً لك على كل ما قمت به » .

بعد مضي وقت غير طويل على مغادرة جو روسو ، القى أليك على أبويه تحية الليل : « طابت ليلتكما » وذهب الى فراشه . ان الإنفعال من وجوده في البيت نائماً في فراشه الخاص جعله لا يستقر على حال . اضطجع يقنطان لمدة ساعة ، ثم استغرق في نوم عميق .

أيقظه ، على حين غرة ، صغير حاد ، فتح عينيه وهو ما زال نساناً . اكان يحلم أم أنه سمع صغير الأدهم حقاً ؟ كان الليل ساكناً . مرت دقيقة . ثم سمع الصغير كرة أخرى — لقد كان الأدهم .

وثب أليك من فراشه . انبأته الساعة التي على دولاب ملابسه ان الوقت بعد الثانية عشرة بقليل . كان يقظان تماماً حين ارتدى « الروب » وركض بهبط السلم بسرعة ثم يخرج من الباب . سمع الأدهم يحمم ثانية فيما دخل البوابة . كانت الأضواء تسطع في منزل هنري — ثم في البيوت القريبة منه . كان الأدهم يوقظ الجميع : اخف أليك نحو العنبر . بلغ الباب . وإذا الضوء مشعلاً .

حمم الأدهم حين رآه . ورأسه تمتد مسافة طويلة خارج الحظيرة . كان هناك صوت يتأوه من داخل حظيرة نابليون « ميو ديو — يا الهي » . لم يستطع أليك أن يرى أحداً — نابليون العجوز وحده ؟ وقد وقف مرتجفاً في الطريق البعيد من الحظيرة . اتجهت عيناه المدعورتان نحو أليك في توسل . جاء الصوت ثانية : « ميو ديو ا »

هتف أليك : « هلو ، من هناك ؟ »

خبط الأدهم بقوائمه على ارض حظيرته في عصبية . ثم رأى أليك يداً تتحرك على القسم الأعلى من باب حظيرة نابليون ثم تدفعه في حذر فينتفتح . وعلى حين غرة ، وكهجوم مفاجيء ، اندفع رجل خلال باب الحظيرة . خف الرجل مجتازاً وصار في الخارج قبل ان يستطيع الرجل ان يتبينه .

صفر الأدم كرة أخرى . هتف إليك : « هاي ، ايها الأدم . على مهلك » !
ثم ركض نحو الباب ونظر الى الليل في الخارج . رأى إليك رجلاً يقف الى جانب
هنري ، الذي كان قد وصل لتوه الى مكان الحادث . لقد كان توني البائع المتجول ،
مالك نابليون ! مسكين توني ، لعل رؤيته للأدم في الحظيرة التي تلي نابليون ، قد
اذعرتة حتى الموت !

نادى إليك فيما اخذ طريقه نحوه : « هلو ، توني » كان بعض جيرانه ، وقد
القوا بأروابهم على اجسامهم في عجل ، يقبلون في الطريق المعد لدخول السيارات .
ثم وصل صوت صفارة البوليس المعولة الى اذني إليك . وبينما دلفت سيارة البوليس
الى الطريق المعد لمرور السيارات ، سأل إليك : توني ، أنت على ما يرام ؟
اجاب هنري مكشراً : « بالتأكيد . انه على ما يرام . لقد فاجأه الأدم ...
وحسب » .

اوماً توني برأسه مؤمناً على ذلك القول . كان ما يزال اكثر ذعراً من ان
يتكلم . تجمع حشد صغير حولهم . سأل رجل بوليس فيما هبط من سيارته :
« ما القضية هنا ؟ » .

اجاب هنري : « لا شيء خطير ، ايها الضابط . انني املك هذا العنبر وقد
انزلت فيه حصاناً آخر الليلة ، دون ان يعلم توني بذلك . ولقد فاجأ احدهما الآخر
نوعاً ما — هذا كل ما هنالك » .

سأل الضابط توني : (هذا صحيح) ؟

وجد توني صوته فاجاب : « سيدي ، صحيح . كنت ذاهباً لأعالج جرحاً
اصيب به نابليون من اللجام — لقد اصاب نفعه اليوم — حين رأيت الحصان
الجديد ورائتي ، ياسيدي » نظر الى هنري ثم اعاد النظر الى رجل البوليس وواصل
الكلام قائلاً : « لقد كانت مفاجأة لي ولا ريب ! » .

ضحك الجمهور من كلام توني . قال رجل البوليس : « حسناً ، اظن كل شيء
على ما يرام هنا . من يملك الحصان ؟ » .

اجاب أليك « أنا » .

ابتسم الضابط وهو يقول : « انك احدث سنأ من ان تملك حصاناً يحمل مثل هذه المهمة الكبيرة ، اخافة الناس » .

اجاب أليك : « لقد جلبته الى نيويورك بالأمس فقط . انه ما زال عصياً للغاية ، لكنه سينقلب على ذلك » .

قال رجل البوليس : « يبدو حصاناً جيداً . اترى بأساً في انت التي عليه نظرة ؟ » .

قال أليك « يسرني ذلك » .

تحرك الجمهور الصخبر الى الامام ، دافعاً توني امامه . وقف أليك في باب العنبر . قال : « على اغلبكم ان يراقبوا من هنا . ان كثيراً من الناس سيثيرون هياجه مرة اخرى » .

صهل الأدهم صهلاً خافتاً فيما دخل هنري وأليك وتوني ورجل البوليس الحظيرة . مد نابليون رأسه من باب الحظيرة وصل حين رأى توني ، الذي رجع الى الوراء . كان الأدهم ما يزال يحبط باب حظيرته بهائمته الأماميتين . حك أليك انفه .

قال رجل البوليس : « انه جميل . لقد كان بي على الدوام خضع تجاه الخيل منذ ان قضيت عامين في قوة الحيلة . لا اظن انني برأيت جواداً كهذا » . توقف ثم قال بعد ان ظل يراقب الأدهم بضع دقائق : « نعم . يبدو كما لو ان كل شيء على ما يرام هنا - وعلي ان اعود الى المركز وداعاً ، وغادر بعد ان اخذ الجمهور معه .

مكث توني في العنبر مع أليك وهنري . وفي حضر تحرك نحو نابليون وهو يراقب الأدهم بعين حذرة . دفع الجواد راسه الى الامام وصل . قال أليك : « انه يودك ويود نابليون » .

مد هنري يدا الى بوز الأدهم ، ثم ابعدھا بسرعة حين هز الجواد رأسه .
ضحك أليك وهنري . قال توني : « انظرا . انني سأحبه ايضاً ، بعد فترة ١ » .

بعد وقت قصير ، صعد أليك مرة أخرى ، السلم الى غرفة نومه . ولحسن الحظ
كان والداه كلامهما عميقا النوم — كان الأحسن الا يعلنا بالهرج والمرج اللذين
سببها الأدهم .

صعد أليك ، في تعب ، الى فراشه . لقد كان متعباً حقاً الان . حذق الى
الساعة — الثانية والربع وهو يريد ان يكون في العنبر في وقت مبكر صباح اليوم
التالي . سقط رأسه على الوسادة وسرعان ما استغرق في النوم .



الهرب

في الصباح التالي حين فتح أليك عينيه ، رأى رايات المدرسة الثانوية واعلامها المعتادة معلقة على الجدران . ما أجل أن يكون في غرفته مرة ثانية . ثم تساءل في نفسه كيف كان الأدهم بعد عراك الليلة الماضية ! انقلب أليك على جانبه وتطلع من النافذة . كانت الشمس تشرق . لا بد انها حوالى السادسة :

لم يس تيرأ من النوم لكنه كان قد تعود على ذلك بعد الأشهر القليلة الماضية . كانت الورقات على الاشجار قد بدأت تستحيل الى حمرة الحريف الفاقمة . لقد صره ان اخبره والده انه لا ضرورة لذهابه الى المدرسة اليوم . كان قد قال : « ان يوماً واحداً لن يضر . وانه سيعطيك فرصة لتعود نفسك مرة اخرى على محيطك » . لقد عرف بأن ما كان يعنيه في الحق هو ان ذلك اليوم سيعطيه فرصة لتعويد الأدهم على محيطه الجديد !

وثب أليك من فراشه وركض الى غرفة الحمام . اخذ « دوشا » بارداً ، وارتدى ملابسه ، وسار على اطراف أصابعه هابطاً السلم . فتح الباب وخرج الى هواء الصباح المنعش .. كانت الدنيا هادئة ذلك الهدوء الذي لا يكون مثله الا للصباح الباكر . كان العشب مبتلاً بالتندى الثقيل . سار في الشارع وهو يصغر

لنفسه صغيراً خافتاً . وحين أصبح على بعد كاف من البيت بدأ يغني .

وجد البوابة مشرعة قليلاً . لا بد ان احداً كان هناك — لعله توني ! ركض في الطريق نحو العنبر وسمع صوتاً عميقاً من درجة «الباس» آتياً من الداخل : «سان — تالو — تشي — آسانتا لو — تشيا !» لا يمكن ان يكون ذلك غير توني ! كان باب العنبر مشرعاً ايضاً . رأى أليك الايطالي الصغير جالساً على كرسيه ، وعيناه مثبتتان على الحظيرتين اللتين كانت تأتي منها أصوات مضغ عميقة صاح أليك : « هلو ، توني ! »

التفت توني ، ووجهه الأسمر المجدد يتكسر الى ابتسامة عريضة ، وقال : « هلو ، انت ترى انني لم أعد اخاف منه ! » ضحك أليك قائلاً : « نعم ارى ذلك ستصبح على ما يرام معه بضي الزمن ! » .

— آه . انه حيوان عظيم — يذكركني بنابليون عندما كان فتياً ، وثاباً ، مليئاً بالحيوية . وحين رأيته اطعم نابليون ، تركني اطعمه ايضاً ! » .

— « ذلك حسن للغاية يا توني . انه في العادة لا يترك احداً يقترب منه سواي » .
قال توني : « انظر اليهما » .

كان نابليون قد دس أنفه بين القضبان وكان يحاول الوصول الى صندوق علفه الأدم . وعضضه الجواد مداعباً . سحب نابليون رأسه وراح ينظر من باب الحظيرة .

ضحك توني قائلاً : « حان وقت الذهاب الى العمل ، يا رجل ! » .

اخرجه من الحظيرة وحك يده على جلده الاشهب الملهل . وقال : « غداً سأعطيك حماماً جيداً وسيصبح ايضاً كالثلج ! » .

راقب أليك توني وهو يلجم نابليون ويسرجه . رآه يرتب ، في حنان ، لزقة مميكة على الجرح في كتف نابليون . لاحظ ان الأدم كان ايضاً متفرجاً مهمماً .

قال توني : « ساعدني يا أليك . نحن متأخران نوعاً ما هذا الصباح » . ساعد

أليك توني في ربط نابليون العجوز الى عربة البائع المتجول الصغيرة . بدت معاملة الحصان الأشهب العجوز الرفيق عبث اطفال بعد معاملة الجواد الشرس الممتلىء حمية .

سما الأدم بهمهم في الداخل . فر كض أليك الى العنبر قائلا : « ما الخطب يا أدم ؟ » .

كان الجواد الأدم الطويل ممتدأ في تساؤل الى الحظيرة التالية له . لقد افتقد نابليون . قال أليك يخاطبه : « على نابليون ان يذهب الى العمل ، يا فتى ، لكنه سيعود الليلة » . فتح أليك الباب وأمسك بلجام الحصان . وتناول جبلا من الرصاص ، من مسبار خارج الحظيرة ووصله باللجام . ثم قاد الأدم الى الخارج .

كان توني يتسلق صاعداً الى مقعد العربة . قال : « حسناً ، يا أليك ، علينا ان نذهب . اراك الليلة . هيا يا نابليون » .

رفع نابليون رأسه وصهل حين رأى الأدم . رفض ان يتحرك ؟ هز توني اعنته ردد « هيا الآن يا نابي . علينا ان نذهب ! » هز نابليون رأسه ونظر الى الأدم ، ثم سار في اذعان .

شد الأدم على الحبل . كان يريد ان يتبع نابليون . رده أليك وصدده . شب على قائمته الخلفيتين عالياً في الهواء . انتصبت اذناه الى الأمام وشخر في غضب .

ابتسم أليك وقال : « تكره ان ترى رفيقك في السكن يرحل ، أليس كذلك ؟ » .

راقبا توني ونابليون يذهبان في بطة في الطريق الرمي الى البوابة . انطلق نابليون يخب في بطة في الشارع .

حين اصبحا خارج نطاق البصر ، تحرك الأدم في دائرة حول أليك . سأل أليك : « أتشم بأنك على خير ما يرام ، أليس كذلك ؟ » جذب أليك الأدم من حبله ليفسح له في المجال . قاده نحو الحقل الواسع المحاط بمجدار حجري . قال :

« ستحب ان ترتع في هذا المكان . انظر الى العشب العالي ! » .

راح الأدم يقضم العشب الأخضر في جوع . وحين بدا انه قد نال كفايته ، ركض أليك في الحقل معه . نادى أليك فيما كان الجواد يجبّ امامه . وفي منتصف طريق الحقل وجد نفسه وقد صار متعباً وجذب الأدم حتى اوقفه .

سأل : « ما رأيك في أن اركبك الآن ، يا ادم » ؟ بحث بعينه عن مكان يرتقي الجواد منه . سحب الجواد الى جانب الجدار الحجري ، قابضاً على رسنه بكلتا يديه .

لم تسنح فرصة لركوبه منذ ان كان في الجزيرة . وقف الجواد ساكناً للحظة . ثم انطلق خيباً . استطاع أليك ان يقوده بصورة جيدة من الرسن ووجد ان الجواد ما زال يتذكر دروسه في الجزيرة .

انطلقا في الحقل ، والرياح تسوط وجه أليك ، وسكون الصباح الباكر يصدى بوقع سنابك الجواد . جعلت خطواته الطوال الجبارة الحقل يبدو صغيراً للغاية . دار به أليك حول الحافة وعاد به الى أول الحقل من جديد . راحا يسهران اصرع فأصرع . غرز أليك ركبتيه في جانبي الجواد وراح جسمه يتحرك حركة موقعة متغومة مع جسم الأدم . انطلقا مجتازين العنبر ثم عاد به أليك الى آخر الحقل ثانية . خلا يدوران الحقل مرة بعد مرة .

بعد فترة دبّر أليك أمر تخفيف مرعة الجواد قليلاً . واستمر الأدم يدور واثباً . ثم ابطأ عدوه الى خيب . لم يسبق لأليك ان كان اسعد بما كان حينذاك . لقد عاد الى الوطن اخيراً - ومع حصان كهذا ! ملكه الخاص ! دفن رأسه في عرف الأدم ومسح يده على عينيه مجففاً الدموع التي اثارها الريح فيها .

نظر أليك الى الاصطبل ، فرأى هنري دبلي متكئاً على الباب يراقبها . ركب حتى بلغه فترجل ، مسكاً برسن الأدم . قال : « صباح الخير ، يا هنري » وتحسس ظهر الأدم وقال : « حتى البلال لم يصبه .. يا له من حصان ، يا هنري ! لقد ظللنا ندور في الحقل كالريح . هل رأيتنا ؟ » .

لم يتحرك هنري من الباب . لكن أليك رأى عينيه الرماديتين تنفحصان الأدم
انشأ فإنشا . قال هنري : « بالتاكيد رأيتهما . يا بني ، لقد رأيت الكثير من
الحيول في زمني وركبت ما ركبت منها لكنني لم ار منها ما هو احسن منظراً او
حركة من هذا !

اشرق وجه أليك بالكبرياء وقال : « انه اعظم يا هنري . اليس كذلك ؟
ما زلت لا اصدق انه ملكي » . امتد جيد الجواد الطويل الى الأرض ودرس انفه
في العشب الأخضر .

قال هنري : « دعه مطلق السراح ، يا أليك . انظر كيف يجب ذلك » .
— هل تظن ان ذلك مأمون ؟

— « انه على خير ما يرام الآن . لقد عدوت به عدوا طويلا . وبالإضافة يجب
ان يعتاد على ان يترك وحيداً ، على كل حال » .

— « اظنك على صواب ، يا هنري » . حل أليك الحبل الرصاصي من اللجام .
رفع الجواد رأسه وارتجف منخراه ، وعلى حين غرة دار الجواد على نفسه وسار
في خفة يحوب الحقل .

راقبه أليك وهنري . قال هنري : « انها اول حرية ينالها منذ وقت طويل » .
فقال هنري وهو ينظر وراء الأدم في اعجاب : « وهو ملتذ بها ولا ريب » .

وقف الجواد وادار رأسه الضخم نحوها . وصفر . قال هنري وهو مستغرق
في الفكر : « يا ولد ، اتنى ان اراه في حلبة ! » .

سأل أليك : « تعني السباق ، يا هنري ؟ » .

— « نعم » .

استدار أليك ملتفتاً الى الأدم الذي كان الآن يتوالت في الحقل مرة اخرى ،
في خيب رشيق هين ، ورأسه يتجه من جانب الى جانب . قال أليك : « سيمضي
وقت طويل قبل ان يكون مأموناً في اي سباق ، يا هنري » .

— « حسنًا ، ان لدينا كثيرًا من الوقت . اليس كذلك ؟ » .

قال أليك وقد فجأه الرجل البدن القصير الى جانبه : « لدينا ؟ تعني ياهنري
اتنا — انت وانا — نستطيع ان ندخله الى السباق ! » .

لم يتحرك هنري — كانت عيناه ما تترالان تتبعان الأدم في الحقل .

قال في هدوء : « طبعًا ، نستطيع » . ثم انخفض صوته بحيث كاد أليك
لا يسمعه : « لم ارد — مسألة التقاعد هذه . لست كبيراً جداً — ما زال في الكثير
من سنوات العافية ! هذه الحياة جيدة لزوجتي — ان لديها من العمل ما يكفي
لابقائها مشغولة ، اما انا فاحتاج الى عمل وحركة . وما هما يحرفان الى حضني ! »
وعلا صوته : « اعرف اننا نستطيع ان نجعل من الأدم بطلاً » . كلف وجهه
مجدداً بالتأثر بموضات اجفانه حتى اصبحت مجرد شقوق في وجهه . القغم بالخطوط .

— « اتعني ذلك حقًا ، ياهنري — لكنني ... الآن ... » قاطعه الرجل المجوز
وتحرك للمرة الاولى : « بالتأكيد ، انا واثق يا اليكس ، وانا اعرف خيلي » . واخذ
الصبي من ذراعه وقال : تعال معي وسأريك شيئاً .

قاده هنري الى طرف العنبر الابد . ركع الى جانب صندوق عميق . اخذ
مفتاحاً من جيبه وادخله في قفل وقتحه . كان الصندوق محشواً الى حافته العليا
بتذكارات صيد واقداح فضية . نبش هنري في بطن الصندوق واخرج دفترًا للصق
الجرائد كبيراً . قال : « لقد حفظت زوجتي هذا لي على الدوام ، حتى قبل ان
نتزوج » .

قلب الورقات المصفرة الخائلة التي كانت مليئة بقصاصات الجرائد . لفت عيني
أليك عنوان بعد عنوان فيما كان يحشو الى جانب هنري : « دبلي يركب تشانغ الى
النصر في سباق سكوت التذكاري — دبلي يعمل واريور الفائز الاول بـ ... ٥٥٠٠
دولار . عالم السباق يعلن دبلي اعظم راكب في جميع الأزمان » . توقف هنري من
تقليب الورقات ، وعيناه متحدقان بثبات في صورة فوتوغرافية امامه . قال :
« هنا يا ولدي حصلت على اعظم هزة في حياتي — وقد ركبت تشانغ فغاز بالمرتبة

الأولى في سباق الخيل في كنتكي . تكاد لا تظن ان ذلك الشاب الصغير كان
انا ؟ »

نظر إليك بأمعان أكثر . رأى صيماً صغيراً ، تعلو وجهه تكشيرة وجشية ،
راكباً على جواد احمر ضخم مهيب المنظر . وحول عنق الحصان علق أكلييل
وردة الفوز المصفور على هيئة نعل حصان . لاحظ إليك يدين ضخمتين قويتين
تمسكان العنان والكتفين العريضتين القويتين . قال : « نعم . يمكنني القول انه انت »
ابتسم هنري ومد يده الى قاع الصندوق ثانية . وأخرج ما تراهي لأليك بأنه اوراق
محفوظة قديمة . ثم رأى انها كانت على هيئة نعل حصان . نظر مرة اخرى الى الصور
الفوتوغرافية .

قال هنري : « نعم انه نفس الأكلييل الذي وضعوه حول رقبة تشانغ في ذلك
اليوم . لم يبق الكثير من هذه الصور ، لكنها ما تزال تحوي الكثير من الذكريات ! »
اعاد هنري الأزهار الجافة الى الصندوق واستمر يقول : « حين اصبحت
اخيراً اكبر عمراً واهقل وزناً من ان أركب حصانا ، اخذت ادرب الخيل آنذاك .
تزوجت وكنا سعيدين زوجتي وانا . ولد لنا طفلتان . انهما الآن متزوجتان .
وبطريقة ما ، آلمني على الدوام انه لم يكن لي غلام ، غلام مثلك ، يا بني ،
يجب الخيل ويقتضي اثري ، اذ لا شيء في الحياة يثير النفس كما يثيرها ان
تصطف هناك عند علامة بدء السباق وانت على صهوة قطعة من الديناميت ذات
اربع ارجل . على كل .. لقد كنت ناجحاً للغاية كمدرّب ، وحصلت على مال
كثير . ثم جاء اليوم الذي فكرت فيه زوجتي ان قد حان الحين لنا لكي نتقاعد
ونتحنى عن الطريق . لا استطيع القول بانني الومها ، انها الحياة الوحيدة التي
عرقها بعد ان تزوجتي ، واظن انها لم تكن في دمها كما كانت في دمي . لقد
ظللتنا سنوات عديدة تنتقل من مكان الى مكان ، ثم اشترينا هذا المكان . وما نحن
هنا . مضت ستان منذ ان رأيت سباق الأخير — ستان . لا اظن انني استطيع
الصبر اكثر من هذا » .

توقف هنري مرة اخرى ، ثم قال : « انت ترى يا أليك انني اخبرك بهذا

لكي اريك انه اذا كان هناك ما اعرف شيئاً حوله فهو اذا كان حصان ما جيداً
ام غير جيد . ودعني اخبرك اننا نستطيع ان نجعل الأدم اعظم جواد متسابق
وضع حافره في اية ساحة سباق ! » .

اغلق هنري الكتاب محدثاً صوتاً حاداً واعاده الى جوف الصندوق . ثم نهض على
قدميه ووضع يده على كتف الصبي . وسأله « ماذا تقول يا بني - هل تتسابق ؟ » .
تطلع إليك الى الرجل العجوز ثم نحو الباب المشرع حيث كان يستطيع ان
ان يرى الأدم في المدى . قال : سيكون ذلك عظيماً يا هنري ! وانا اعرف انك
تستطيع ان تتسابق سباقاً رائعاً بأي حصان في العالم - اذا استطعنا فقط ان نحول
بينه وبين المراك » .

- سيكون ذلك عملاً شاقاً ، يا أليك ، ولكنه جدير بأن تراه يعدو في
ساحة السباق ؟ » .

- « ان نستطيع ان ندرسه يا هنري ؟ » .

- نستطيع ان نفعل الكثير حتى الربيع ، يا أليك - دعني فقط اعتاد عليه هنا .
تستطيع ان تمتطيه حول الحقل وسوف اعلمك جميع الحيل التي اعرفها . لن نكون
قادرين على ان نفعل الكثير بشأنه حين يقبل الشتاء . لا اظن اننا سنزعجه بلجام وسرج
منذ الآن - سننتظر حتى اوائل الربيع ، ايضاً . في ذلك الوقت لن نلقى عناء
كبيراً في وضعها عليه . ثم اظن انني استطيع ان اجد وسيلة لأرساله الى يلمونت
ليتدرب على ساحة السباق - وعندئذ يبدأ التدريب الحقيقي ! » .

- « عظيم يا هنري ! انظن اننا سنكون قادرين على امتطائه في السباق ! » .

ابتسم هنري وقال : « ما لم اكن مضطراً ، فان الحصان لن يدع شخصاً آخر
غيرنا يركبه » .

وفيا سارا نحو الباب ، ملا الفضاء أزير عالٍ من إحدى الطائرات . قال أليك :

« ذلك الرجل قريب للغاية من الأرض ! يبدو محرّكه مختلاً ، ايضاً ! » .
ركضا الى الخارج ورأيا طائرة تحلق فوق المنبر . تقطعت حركة محرّكها
ثم اعتدلت مرة اخرى معكرة هدوء الصباح الباكر بزئير يصم الاذنان . قال
هنري : « لقد اعتدل ! » .

لكن أليك لم يكن يراقب الطائرة الآن . فقد سمع شيئاً طغى على ازير
« الطائرة . صغير الأدم الحاد الجارح ! رأى أليك الجواد يرتفع على قائميه الخلفيتين
ويستدير في الجو ، راكضاً بسرعة تقطع الانفاس في الحقل . هتف أليك :
« انظر ، يا هنري ! الأدم ! » . كان الجواد يقترب من نهاية الحقل وخطوه لا
يقتد ، ولبدته السوداء الطويلة تهاوج وراه كموجات من الدخان .

قال هنري : « يا لله ! لقد أذعرت الطائرة ! سيقتل نفسه على تلك
الصخور ! » .

— « لن يقف يا هنري » .

ثم رأيا الأدم يجمع نفسه ، وكنابض جبار مشدود ارخي لثوه ، انطلق خلال الجو
وعلى السياج . غنم هنري : « سبعة اقدام بالضبط ! » واندفعا معاً في الحقل .
رأيا الأدم في المدى ، ثم غاب عن النظر . وقف هنري على حين غرة وقال :
« سأعود واجلب السيارة يا أليك . ابق انت راكضاً خلفه ! » .

صاح أليك من وراء كتفه : « حسناً . انه ميمم نحو المنتزه » . وبسرعة تسلق
السياج وركض بأسرع ما يستطيع في الاتجاه الذي سلكه الجواد . ومرعان ما لحق
يه هنري في السارة . وقال : « اصعد يا بني » . ولم يكن للأدم من اثر .

البحث

ظل أليك وهنري يبحثان عن الأدم لمدة نصف ساعة في جنون . انطلقا ، في سيارة هنري ، بذرعان الشوارع طولاً وعرضاً .

قال هنري : « من حسن الحظ ان هذا قد حدث في الصباح الباكر والناس في الشوارع قلائل » . سأل أليك دون ان يحول عينيه عن الطريق امامه : « ما الوقت الآن ؟ » سحب هنري ساعته الفضية الضخمة من جيب صدره وغنم : « الساعة السابعة » .

فاعلن الصي : « علينا ان نجده يا هنري - قبل ان يكون الأوان قد فات ! » سأل هنري : « ما الذي تعني - الأوان قد فات ؟ » .

- اخشى ان يطلق بعض الشرطة عليه النار . ان ذلك سيكون فظيماً ! انحنى هنري برأسه ودفع قدمه على المجلل باشد مما كان يدفعها . فانطلقت السيارة قدماً . « استدر الى هذا الشارع ، يا هنري ، ان المنتزه امامنا . لعله هناك » .

رأى أليك رجلين في إحدى زوايا الشارع . « قف هناك يا هنري . سنمألها عما اذا كنا قد رأياه . يبدوان متجهين بسرعة بشأن شيء ما ! » اطل أليك من جانب السيارة وهتف : « قل ، ايها السيد . هل رأيت

حصاناً يجري هنا ؟ » .

اجاب احدهما قائلاً : « بالتأكيد رأيتاه . لقد انطلق ماراً بنا كأنه وميض البرق ، قبل عشر دقائق ! من اين جاء بحق الشيطان ؟ » .

قال أليك : « شكراً » دون ان يجيب على سؤال الرجل . انطلقت السيارة قدماً فيما داس هنري على البنزين .

قال هنري في عبوس : « نحن في الطريق الصحيح على كل حال يا أليك . بعد بضع دقائق دخلا المنتزه . خفف هنري من سرعة السيارة وقال : « انظر هناك امه ! »
القي . وسأهت انا هذا الجانب » .

قال أليك بعزيمة مشبطة : « انه منتزه واسع للغاية » .
قال هنري مكشراً : « ذلك احسن . ليس هناك كبير احتمال في ايذاء احد من الناس اذن ! »

تدحرجت السيارة في الطريق المحفوفة بالأشجار . اطل هنري وأليك كلاهما من جانبي السيارة ، وبعد اميال قليلة بلغا ساحة لعب الكولف المفروشة بالشب الأخضر المتموج .

قال أليك : « لعله ذهب الى هناك يا هنري . هناك الكثير من التلال وهذا بالضبط ما يبحث عنه » .

قال هنري : فيما اوقف السيارة : « دعنا نوقف للسيارة هنا ونلقي نظرة ، يا أليك » .

كان على أليك ان يهرول ليلحق بخطوات هنري القصيرة ، المملوءة حيوية مع ذلك ، عبر جادة النهر . كان الهواء بارداً ، لكنه بدأ يدفأ بفعل الشمس التي كانت ترتفع اعلى فأعلى في السماء الزرقاء الصاحية . كانت احذيتها تحدث اصواتاً شاخبة عميقة في ندى الصباح الباكر .

غنم هنري دون ان يتخفف من سرعة خطاه : « سيكون يوماً حاراً » .

وتباطأ أليك وراعه . قال : « أمل ان نجده قبل ان يبدأ لاعبوا الكولف في الصباح الباكر في الخروج » .

حين بلغا منتصف جادة النهر ، توقف هنري وقال : « الأحسن ان تذهب في اتجاه تلك الغابة هناك . وسأذهب انا في جادة النهر هذه — قليلا نحو ذلك التل . اذا وجده ابي منا ، فليهتف » .

قال أليك : « حسناً يا هنري » . وانطلق في اتجاه الغابة . كانت قدماه مبتلتين . توقف وبدأ يخلع حذائييه ، وحين فكر ثانية في الأمر ، قوم ظهره وواصل السير بخطى سريعة . انحدر الى اخدود واسع . وفي القصد استدار وتبع الاخدود . فيما كان يتعرج يمينا ويساراً عبر الطريق وممران ما دخل الغابة . ارتقى الى قمة الاخدود وراح ينظر حواليه . كان التدى على العشب الأخضر يلتمع في المدى . والهواء ساكن وبارد ، في ظل الأشجار الضخمة . كان أليك يعلم ان هناك جادة نهر اخرى على الجانب الآخر من الغابة . امرع نحوها متتبعا الممر الذي كان قد سار فيه مرات عديدة كخادم للاعب الكولف خلال شهور في الماضي . بلغ الجانب الآخر ونظر عبر بساط العشب الأخضر الممتد امامه .

لم يكن للأدم من اثر . صفر أليك ، لكنه لم يتلق من جواب . بدأ السير عبر جادة النهر وفكر : « ما زالت امامي مسافة طويلة اقطعها . من الممكن ان يكون في اي مكان » .

ولمدة ما تراعت وكانها ساعات ، درج أليك يصعد التلال التي في طريقه ويهبطها باحثاً عن الأدم . وقد ارتفعت الشمس الآن واشتدت حرارتها . اما هو فقد ازداد قنوطاً حين لم ير أثراً للجواد . خلع السترة البيضاء ورمائها على ذراعه . بلغ قمة تل عال ونظر تحته . وفي المدى ، استطاع ان يرى بعض الرجال يلعبون الكولف .

قال لنفسه في أمل : « لعل هنري قد وجده » . لقد قطع اكثر من نصف الطريق ومن المؤكد ان الأدم ليس هنا . صفر أليك مرة ثانية . اذا كان الأدم

في مدى سماع الصوت ، فانه لا شك سيميز صغيره . لكنه لم يلق جواباً لصغيره .

لعل الجواد لم يدخل المنتزه مطلقاً . لعله ما زال في مكان ما ، في الشوارع . لكن أليك أحس بأن الجواد اقل ذكاء من ان يفعل ذلك . ان غريزته الطبيعية ستقوده الى المساحات المكشوفة هنا ، في المنتزه . لا بد اذن ان يكون في هذه الانحاء ! بدأ أليك يهبط التل نحو جادة النهر . لقد فتش منطقته تفتيشاً دقيقاً . ثم توقف . انه لم يذهب الى « الثقب » حيث اعتاد هو وبقية الصبية على التعاب على الدوام ، للسياحة بعد يوم كامل من خدمة لاعبي الجولف . لقد كان خارج طريقه لكن هناك احتمالاً في ان غريزة الجواد قد قادتته الى الماء .

عليه ان يلقى نظرة هناك — عليه الا يغفل عن اي احتمال مهما كان طفيفاً . استدار أليك في مسيره — ونهب على طول جانب التل . آلمته رجلاه ، ولم تكن قدماه المبتلتان تساعده في شيء . سار مسافة ميل قبل ان يأتي الى غابة اخرى . سلك طريقاً لا يبين منحلاً فيه ، الى منخفض ثم صعد كرة اخرى . كانت « الثقب » على مسافة قصيرة امامه الآن . حيث الجو على الاقل لطيف وأرد . وحث أليك خطاه مسرعاً . بلغ قمة التل وتطلع الى ما تحته . كانت الماء يتلامح في الاسفل . لم تكن البركة واسعة ، ولو ان الأدم هناك ، لسوف يراه بالتأكيد . لكن لم يكن هناك من أثر له .

كانت الغابة ساكنة الا من نقرات نقار الحشب تذكره بالسكنات في الموسيقى وهو دائب على النقر في شجرة قريبة . ثلاثى الأمل في قلب أليك — لقد رمى سهمه الأخير . كان المكان الطبيعي الذي يجب ان يكون الأدم فيه — بركة الماء الوحيدة خلال أميال حول هذا المكان . القى نظرة اخيرة حتى الظلال على جانب البركة ، التي كانت قادرة على حجب الجواد . انه لم يكن هناك ... وكفى . وتسلق متعباً ليعود الى حيث اتى . ما الذي حدث لحصانه ؟ تحيل الأدم ينطرح ميتاً في الشارع ، وقد قتله سيارة او رصاصة من رجال البوليس . لا يمكن لذلك ان يكون — لا يمكن ان ينتهي الأمر على تلك الصورة !

لعل هنري قد وجده الآن .

مزق السكون صوت مقرقع حاد . عاد ادراجه بسرعة . لقد جاء الصوت من ناحية البركة . اسرع عائداً والقي نظرة من عل . كان شيء ما يشق طريقه ، على الجانب الآخر ، خلال الدغل الكثيف قادماً في اتجاه الماء ! وقف أليك ساكناً ، وهو لا يكاد يحرك على ان يأمل ! ليس هنالك اي مرمها كانت ذلك الشيء ، فقد كان يشق طريقه خلال الشجيرات . ازداد الصوت علواً . ثم ظهر ، على حين غرة رأس اسود ضخم . إنه الأدم ! رآه أليك يدي رقبته الطويلة ويفغر انفه في الماء البارد .

شله الشعور بالارتياح لمدة لحظة . ثم صفر في لطف . رفع الأدم رأسه ، والماء ما زال يقطر من شدة وتطلع . صفر أليك مرة ثانية وركض هابطاً المنحدر ، نحو البركة . وآه الجواد فhez رأسه وصفر . فخفف أليك عدوّه الى مشي اعتيادي . وفي حذر ، قطع المسافة فيما حول البركة وبلغ الأدم . وسأله قائلاً : « ما الأمر يا رجل ؟ خائف ؟ »

هزّ الجواد رأسه وتقدم نحوه . كان جسمه الأسود متسخاً وكانت لبدته الطويلة مغطاة بالعقد . ربت أليك البوز الناطف ماء . وقال وهو يمرّ يده على رقبة الجواد يسمح التقذارة عنها : « لاقيت وقتاً عصيباً ليس كذلك يا ولد !؟ ما أطيب ان أراك ! »

دس الجواد ، مرة اخرى انفه ، في الماء البارد وشرب طويلاً . حين انتهى من الشرب ، قبض أليك اللجام الذي كان ما يزال حول رأسه وقال : « تعال ، يا ولد ، لنذهب الى البيت » .

رفض الأدم ان يتحرك . تحدث أليك بلطف اليه ومسح يده على رقبته ، لكن الجواد وقف ثابتاً في مكانه . شد أليك اللجام كره اخرى . لحت عيننا الأدم تحتاحان ما حولها ثم استقرت على الصبي . فhez رأسه وسار وراه في ببطء .

قاده أليك مصعداً في الممر الذي يخترق الغابة . وحين بلغ جادة النهر وقف ونظر الى الحصان وسأله : « الا تحملني على ظهرك ، يا سيد ؟ » تحرك الأدم بخفة

الى جانب ، وعيناه متجهتان الى جادة النهر المنفتحة أمامه .

قال أليك : « انتي في الحق متعب للغاية يا ادم — لقد كان طرادا ما سببته لي ، كما تعلم . » قاد الأدم الى جذمور شجرة ، وخطا على الجذمور ثم رمى نفسه على ظهر الجواد .

قال أليك : « هيا ، يا فتى . لنذهب . »

سار الأدم بسرعة منطلقاً الى الطريق ، ثم طفق يعدو خيبا . اداره أليك نحو البقعة التي فارق هنري فيها . فكر : « الأحسن ان اخلص من هذا الطريق بسرعة ، والا أثاروا ضجة علينا ، لاننا اقلعنا الأرض ! »

بعد ان ركب أليك لحوالي الدقائق الخمس ، رأى هنري عن بعد وهو يسير نحوهما . قال هنري حين بلغه أليك : « كدت أياأس . »

قال أليك : « كدت أياأس انا ايضا . لقد وجدته هناك عند « الحفرة » .

— « يبدو كما لو أنه يتمرغ في الوحل والقدر . »

فأجاب أليك : لقد قضى وقتاً كما يشتهي . انظر الى المقد التي على جسمه — لا بد انه اخترق كثيراً من الشجيرات الكثيفة . »

فقال هنري وهو يلح ساعته بعينه : « نستطيع التخلص من هذا كله . اما الآن ، فعلينا ان نعود — الساعة التاسعة تقريباً . »

ولأول مرة ادرك اليك انه لم يتناول طعام الفطور وأن والديه لا يعرفان اين هو . فقال : « ستسأله امي عما حدث لي . » لقد تأخر عن أول فطور له في البيت !

قال هنري في كآبة : « وزوجتي لن ترحب بي بذراعين متلهفتين وعدتها بأن اذهب للسوق هذا الصباح لكن الوقت قد فات » وثب أليك من على ظهر الأدم وسار الى جانب هنري ، ممسكا بلباس الأدم . ولما بلغا السيارة . قال هنري : « الأحسن ان نذهب عن طريق الشارع الذهبي ، لتتحاشى زحام المرور . أظن

أن عليك أن تقوده — تلك هي الطريقة الوحيدة .

قال أليك : « سق السيارة امامي على مهل ، يا هنري ، لمنني احتاج اليك » .
مشت السيارة خارجة من المنتزه وتبعها أليك والأدهم . بعد عشرين دقيقة ،
لم تصادفهم فيها المراقيل ، قاربوا الأسطبل . وانتصبت أذنا الجواد حين رأى
العنبر . هتف أليك : « لا بد لي من تلبية هذا السياج » ..

فأجاب هنري : « اخشى ان الأمر كذلك ، والا فستقضي نصف وقتنا
نطارده هذا الحصان ! »

ساق هنري السيارة الى الأسطبل ، وتبعه أليك بالأدهم . قال : « سأضعه في
حظيرته الى بقية النهار ، يا هنري ! » اجاب هنري : « فكرة حسنة ، لقد نال ،
رياضة ، تكفيه ليوم واحد ، وكذلك انا » .

أجاب أليك : « وانا ايضا سأضعه ثم اذهب الى البيت لا كل . سأعود فيما
بعد وانظفه » .

— « حسناً يا بني . ربما رأيته » وضحك ثم قال : « اذا خرجت ! »
واستدار وسار نحو البيت .

وضع أليك الأدهم في حظيرته وامر خرقة على جسمه ، ووضع بعض التبن في
معلف الجواد . وقال : « هاك ، سيمسك هذا حتى اعود . اعقل الآن وخذ
الأمر على مهلك . اليس كذلك ؟ »

خبط الجواد الأرض بقائمه الأمامية وهز رأسه ، فضحك أليك وقال :
« الأحسن ان تكون عاقلاً . لقد سبيت من الازعاج ما يكفي ليوم واحد » .
اغلق باب العنبر واخذ طريقه الى البيت .

سمع أليك الساعة في غرفة الجلوس تفرع النصف بعد التاسعة ، عندما دخل البيت .
وجاءه صوت أمه قلقاً من المطبخ : « اهذا انت ، يا أليك ؟ »

اجاب وهو يدخل الغرفة : « نعم ، ماما . ابي ذهب الى العمل ؟ » تجعد انفه

حين تنشق رائحة الكمك والسوسج المشوية .

اجابت امه : « نعم ، اراد ان يراك ، لكنه لم يستطع الانتظار . اين كنت كل هذا الوقت بحق السماء ؟ وانظر الى نفسك !! »

أجاب أليك : « كنت أدرب الأدهم يا اماء . لم يكن يعرف أكان ينبغي له ان يخبرها عن حرب الأدهم . لقد قرر خلاف ذلك — لانه انما يزيد في قلقها وحسب ، والآن ، وقد عاد الجواد فكل شيء على ما يرام .

قالت امه : « انك تنفق كثيراً من الوقت مع ذلك الحيوان . لا ادري ما الذي ستفعل حين ينبغي عليك الذهاب الى المدرسة .

سار أليك الى مائدة المطبخ وجلس . احس بالماء ينزل من حذائه . قال : « اوه ، سأفريق مبكرا كل صباح يا اماء واطعمه واحسه قبل ان انهب الى المدرسة . تحسن سيور حذائه تحت المائدة ، محاولاً ان يخلع حذاءه دون ان تلاحظ امه ذلك .

استمر قائلاً : « حين يكون الطقس لطيفاً ، فأنتي سأتركه خارجاً ليرعى خلال الصباح . سأكون في الدورة المبكرة في المدرسة هذا الفصل واسير في دروسي حسب الأصول واخرج في النصف بعد الثانية عشرة . سيفر لي ذلك كثيراً من الوقت فيما بعد الظهر لكي اكون معه .

خلع أليك حذائه وجواربه ولف قدميه حول رجلي الكرسي .

قالت امه : « لا اريدك ان تهمل دراستك يا أليك . اذا رأيتك تفعل ذلك ، فسيكون لزاماً علي ان اخبر اباك ، وسيكون علينا ان نفعل شيئاً بشأن الأدهم .

أجاب أليك : « لن اخل بدروسي يا أماء . أجاوب بذلك فيما كان يضع الزبدة ودبس الأسفندان ، على الكمك الذي وضعته امه أمامه . لقد جعلت الحياة تستقر على شكلها الطبيعي المألوف مرة أخرى — كأحسن ما يمكن ان تكون مع الأدهم .

الشركيان

مرت بقية النهار بسرعة بالنسبة لأليك . فبعد الفطور أنسل الى الطابق الأعلى بينما كانت امه في غرفة الجلوس ولبس حذائين غير مبيلين وجوارب غير مبيلة . حين نزل ، مر على امه واشركها في شذرات من تجاربه على الجزيرة واخبرها عن عمه رالف والأنس الذي نالاه معاً في الهند . وبعد الظهر حس الأدم حتى اخذ جسم الجواد الاسود يلع ، وارتحى عرفه الطويل على جيده ناعماً .

جاء هنري الى الاسطبل . غغم قائلاً : « كنت انظف غرف الخزن » . كان يحمل تحت ذراعه رزمة كبيرة ملفوفة بورق الجرائد ، فوضع الرزمة على الأرض وقال لأليك : « تعال هنا وانظر ما وجدت » .

بدأ يحل الرزمة وقد ركم أليك الى جانبه . تمزقت الاوراق ، وقد اصغرت لطول العهد ، وتناثرت فيما راح ينزعها . كانت في داخلها سرج للسباق وزمام . رفعها هنري برفق ونظر اليها . لم يقل شيئاً . مرت دقيقة ثم مد يده مرة اخرى . وفيما يشبه المعاقبة اخرج قبعة جو كي وقيصاً كلاهما اخضر لامع . نظر أليك الى الرزمة ورأى زوجين ناصلي اللون من بنطالونات الركوب والحزم السود .

ارتفعت عينا هنري وتكلم على هون : « كل شيء هنا حتى رقي » . امسك

القميص بيده . حول الكم ، كانت الرقم ٣ ما يزال معلقاً . قال هنري « يبدو وكأنه امس وحسب انني ارتديتها في آخر سباق ركبت فيه » .

توقف هنري . ولم يتكلم أليك — كان يستطيع القول ، من وجهة هنري ، بأنه كان يحيا ذلك السباق من جديد ككرة أخرى .

قال الرجل الصغير كما لو كان يحدث نفسه : « ذهبنا الى نقطة البدء . وقد تجمع اكبر جمهور رأى « البريكس » قط . وراحوا جميعاً يراهنون على تشانغ ، فقد كان اعظم حصان في ذلك اليوم . كيف ضجوا بالهتاف المدوي حين اصطقنا . كانت الخيول الاخرى تأبى ان تقف ساكنة . لكن لم يكن من شيء يزعج تشانغ — فقد ترك التملل للآخر من الخيول . لقد وقف ، في هدوء ، ينتظر ارتفاع الحاجز .

« لم أر الخيول الاخرى في ذلك السباق . قفز تشانغ أمامها في البدء ، وقد تركته على هواه — وربما بأن سبقنا الآخرين » . ومرة هنري ييده على عينيه وواصل الكلام قائلاً : « ولم يكن الا حين وقف انه اضطرب على حين غرة ، وتعثّر ، وحاول عبثاً ان يظل واقفاً على اقدامه ، ثم هوى الى الأرض ميتاً . لم يعرف الدكتور ابداً ما الذي قتله في حقيقة الأمر — لقد قال أخيراً ان ما قتله كانت تخنراً في الدم او شيئاً شبه ذلك . ولم اعرف مطلقاً ما الذي ينبغي أن اصدقه .

فالشئ الوحيد الذي همي هو ان تشانغ قد ذهب — لكن الرقم القياسي الذي سجله ذلك اليوم ما زال محتفظاً بقيمته هناك ، اسرع ما ركض جواد في اي سباق » .

توقف هنري وتوجّهت نظراته الى الأدم ثم قال : « ولم افكر ابداً انني سأرى حصاناً يستطيع ان يحطم ذلك الرقم القياسي — حتى رأيته الآن » . امتد جيد الأدم الطويل من فوق باب الحظيرة وهز رأسه وحجم .

وفي عناية اعاد هنري القميص الى الرزمة ونهض واقفاً على قدميه ، وحملها الى زلوية الجرن ووضعها داخل الصندوق . ثم استدار وواجه الغلام وقال : « هناك

شيء واحد وحسب يقف في طريق وضعنا الادم في سباق : يا أليك .

— « تعني لأنه وحشي للغاية ، يا هنري ؟ » .

— « كلا ، لا اعني ذلك . حتى يحين الربيع سيكون قد هدا قليلا . لكنني أقرأ في الجريدة ، الآن ، عن كيف حصلت على الادم . انك لم تخبرني هذا الصباح . »

— « كنت سأخبرك يا هنري ، ولكن لم ، يقف ذلك في طريقه ؟ »

— « لا شيء سوى انك لا تغلک سجلا بمن كان أبوه وأمه وان حصاناً ما ، يا أليك ، يجب ان يكون نسبه مسجلا ليشارك في سباق . »

أحس أليك بما يشبه المرض في معدته — لم يكن قد ادرك من قبل كم بالغ في تصور المستقبل ليرى الادم يجري في سباق . قال : « تعني ، يا هنري ، ان علينا ان نكشف ذلك قبل ان نستطيع وضع الادم في حلبة للسباق ؟ » .

أجاب هنري : « أخشى ذلك ، يا بني » . كان في وسع أليك ان يرى انه كان خائب الأمل بمقدار ما كانت هو خائبه ، سأل الرجل الصغير : « أليس هناك من طريقة تتمكن بها من الحصول على تلك المعلومات . »

— « لا أرى كيف يكون ذلك ، يا هنري . انني اعرف اسم الميناء في جزيرة العرب حيث كان ، لكن هذا كل ما هناك . كل من كان على السفينة غرق ، وهكذا فليس هناك من سجلات نستطيع الحصول عليها . »

فكر هنري لمدة دقيقة . ثم قال : « سأرسل سطرًا الى صديق لي في نادي السباق . لعله يستطيع ان يساعدنا بطريقة ما . »

— « عظيم يا هنري ، آمل ذلك ! »

قال هنري : « لدينا الشتاء كله لنجرب ونكشف . لعلهم يستطيعون ان يتبعوا نسبه من المدينة لو شيئاً ما . انه يبدو كجواد أثمن من ألا يسجل في في مكان ما ! وسار نحو الباب ثم واصل الكلام وقال : « علي ان اعود الآن وإلا

فان زوجتي ستأتي اليّ » .

توقف ووضع يده في جيبه . اخرج قطعة من الورق . وقال : « سجلتُ ما الذي تحتاجه ليأكل الأدهم ، يا أليك . بعد ان تكون قد انتهت ، تستطيع الذهاب الى مخزن العلف للحصول عليها . لا نستطيع ان ندع الولد الكبير يأكل كل علف نابليون ، كما تعلم » . توقف وامتدت يده ككرة اخرى في جيبه وقال : « اني وقد رأيت اننا سنعمل معاً ، فانه لمن العدل ان اشارك في بعض النفقات ، يا أليك ، وهكذا اريد ان ادفع غن هذا » .

— « لست ملازماً بأن تفعل ذلك يا هنري . سيعطيني ابي علاوة منتظمة لقاء العمل الذي اقوم به حول البيت » .

ابتسم هنري وردّ قائلاً : « بالتأكيد . وسنحتاج كل النقود التي نستطيع الحصول عليها — انه لا أمر يكلف مالاً ان تخلق بطلاً ، كما تعلم . ولا نستطيع ان نقترّ على طعام الأدهم . لهذا ينبغي ان نعمل معاً كشريكين . هيا الآن ، وخذ هذه النقود واذهب بها الى المخزن » . ودس هنري النقود في يد الغلام .

تطلع أليك من الركبدار العجوز الى الجواد . وقال مبتسماً : « حسناً ، ايها الشريك » .

في الصباح التالي عاد أليك الى المدرسة . هبط هوف سامبل وبل لي الى جانبه فيما كان يغادر البناية في النصف بعد الثانية عشرة .

سأل هوف في هياج : « ما كل هذا الذي عنك من انك كنت في سفينة غارقة وغير ذلك ؟ » وختم بل سؤال هوف قائلاً : « نعم ، قرأنا ذلك في الجريدة صباح امس ، ولقد عدت الى البيت بمحضان » .

اجاب أليك : « انها الحقيقة . واذا لم تصدقاني ، فتعالا وسأريكما اياه . انني ذاهب الى الاسطبل الآن » .

اجاباً معاً : « بالتأكيد سنأتي » .

حين بلغوا الجرن ، رأى أليك هنري . هتف : « هاو » ! .

— « وهكذا فقد جلبت بعض المتفرجين ، ها يا أليك » ؟

كانت عيون هوف وبيل متجهة نحو الحقل الذي كان الأدم يرتع في زاوية منه . قالوا : « عظيم .. وزرز .. »

رفع الأدم رأسه حين سمع صوت أليك . انتصبت اذناه الى امام وصفر . فأجابه أليك بصفرة . اندفع الجواد ، على حين غرة نحوهم . بقي هوف وبيل في مكانهما مع هنري فيما سار أليك نحو السياج .

تردد الأدم حين رأى القادمين الجدد . حمحم وخب من حيث جاء منحدرأ في الحقل . لم يضطر هنري الى حث هوف وبيل على الابتعاد من وجهه . لقد ركضا داخلين الى الجرين — وعيونهما متسعة من شدة الاثارة . قال بل بنفس مبهور : « هل رأيته ؟ » !

اجاب هوف : « يا الله ، انه اكبر حصان رأيته في حياتي !! ولكن ما الامة !! » وراحا يراقبان من الشباك .

وانطلق الأدم بخطوات طويلة مزدهية وجرى نحو أليك ، فيما كان يسير داخلا في الحقل . فهتف هنري : (الأحسن ان تعود ، يا أليك . اذا لم يخف من صرعه فسوف يضربك) .

انقض الجواد على الغلام مرعداً . وعلى بعد خمس ياردات منه انحرف ، بعد ان كاد يصيبه . ركض الى السياج واستدار ثم جرى نحوه كرة اخرى . انحرف كما فعل من قبل . حذر هنري أليك قائلاً : (الأحسن ان تخرج من هناك ، يا أليك) .

هتف أليك من وراء كتفه : (انه يريد ان يلعب لا أكثر ، يا هنري . لقد كنا نفعل كهذا طوال الوقت على الجزيرة لكبكا) .

هتف هنري : « نعم ... بعد الآنس ! » راح يراقب فيما كان أليك يركض

وراء الأدم حتى حاده الى زاوية . شب الجواد على قائمته الخلفيتين وخط الارض
وركض الى جانب ثم الى آخر . سار إليك اليه في ببطء . وكلتا يديه منشورتان
منفرذتان . شخر الأدم وعرفه الطويل ساقط على عينيه ، وعلى حين
غرة ركض إليك نحوه . دار الجواد على نفسه وانطلق الى جانب . بلغه إليك
ولطمه على قوائمه فركض الأدم الى وسط الحقل ثم استدار ونظر وراه ، هازأ
رأسه . قال هنري لنفسه : « يا لهما من اثنين ! »

كرر الجواد على الغلام ، منحرفاً مرة ثانية حين أوشك ان يسحقه . ظل
هنري ، لمدة عشر دقائق ، يراقب اغرب لعبة شهداها في حياته ، وفي ببطء بدأ
يفهم التفاهم الغريب الذي نما بين الجواد الوحشي والغلام .

بعد دقائق قليلة جاء إليك اليه . كان قبضه مبتلا بالعرق وعيناه الزرقاوان
تلتمعان بالتهيج والآثارة . غغم قائلاً : « هل ترى يا هنري ؟ لقد اراد ان يلعب
وحسب ! انظر اليه يا هنري - هل رأيت شيئاً عظيماً كهذا في كل حياتك ؟ »

انطلق الأدم يعضو خبياً ، وكان يجري حول الحقل . كان عرقه يتطاير الى
الراء في الريح ، وفيما اقترب منها هزت خطواته القوية الأرض هزاً .

مرق بجزأاً ايهاها . ولم يقل هنري شيئاً حتى توقف الجواد في الطريق الآخر
من الحقل ، وسعى دار على نفسه ووقف ينظر اليها . كانت عينا هنري متألفتين
ايضاً . وقال : « كلا ، لم أر أي شيء مثله - ولا حتى تشانغ » . وواصل الكلام
قائلاً ، بعد لحظة من الصمت : « كسبت الى صديقي في نادي السباق اشرح
الوضع واسأله عما اذا كانت هناك طريقة ما نستطيع بها ان نتثبت من نسبة
الادهم . انه أصيل اذا صح حكمي ، ولا بد انه مسجل في مكان ما » .

— « كم سيمضي من الوقت قبل ان يحبك يا هنري ؟ »

— « لا بد انه سيجيب في وقت ما من هذا الأسبوع ، ليخبرنا ما نفعل ،
على اية حال » .

قال إليك : « آمل ذلك ، لا يمكن ان يكون ذلك كثير التفكير بالنسبة لي » .

— ولا لي .. اظن ان من الاحسن ان نجلبه الآن . لقد مضى عليه ، في الخارج ، وقت كاف . ثم سنجعل السياج اعلى قليلا في بعض المناطق ، بحيث لا تضطر الى مطاردته خلال المنتزه ، كما فعلنا امس .

صفر الغلام للادم راكضاً نحوه . قبض أليك عليه من لجامه وحك انفه .. وكان يقوده نحو العنبر حين سمع شخصاً ما يتف : « هاي ، أليك ، ابتعد ! لا تجلبه هنا . نحن هنا » . وشخر الجواد .

قال أليك : اتعرف يا هنري ؟ لقد نسيت امر هويف وبل . انها ما زالوا في العنبر .. اخرجوا يا رجلان . سابقي الأدم هنا .

خرج الغلامان ، وهما خجلان قليلا .

قال هويف : « اظن ان من الأحسن ان نذهب الى البيت للغداء » . واسرعا منحدرين في طريق العربات فيما كان الجواد يحمم في خفوت .

قال أليك ، مكشراً : « اظن انها يصدقاني الآن » .

بعد العشاء في تلك الليلة ذاتها ، عاد أليك الى العنبر . كانت توني قد ادخل نابليون العجوز الى الأصطبل ليقتضي الليل . رآه أليك يدس انفه الابيض في حظيرة الأدم ليسرق شيئاً من دخنه . عضضه الأدم مداعباً فسحب نابليون رأسه بسرعة . لم يستطع أليك ان يتغلب على ولع الأدم بنابليون . لم يعد خائفاً من تركه وحيداً الآن ، فها دام الحصان الأشهب موجوداً ، فقد كان الجواد هادئاً . بعد قليل ، فرش أليك اسطبل الأدم واطفاً الأنوار وذهب الى البيت

مرت الأيام والأسابيع والشهور . واصبحت حياة أليك من اللحظة التي توقظه ساعته المنبهة فيها في الخامسة كل صباح حتى يغلق كتبه في الليل ، منتظمة كسير الساعة .

كان من عادته ، دائماً ، في الصباح قبل المدرسة ان يطعم الأدم ويحسه ويركبه حول الحقل . واذا كان الطقس لطيفاً ، تركه في الخارج ، فهو يعلم بأن هنري قريب منه ، ليرعاه . لم يعد لديه وقت للعب ، بعد المدرسة ، مع الزملاء كما كان لديه . ان امامه اشياء كثيرة للغاية عليه القيام بها . كان يندفع الى البيت

في النصف بعد الثانية عشرة ، حالما ينتهي درسه الأخير ، ويتناول غداءه ثم يذهب كرة اخرى الى الاسطبل حيث كان هنري ، في العادة ، ينتظره .

كان هنري قد تلقى جواباً من صديقه في نادي السباق ، يذكر فيه عنواث مكتبهم في اوروبا . كتب يقول : « انه من المشكوك فيه للغاية ما اذا كان في وسعهم ان يساعدوك ، بما ان ليس لديك الا القليل من المعلومات للاستناد اليها . وعلى كل حال ، انا واثق من انهم سيبدلون اقصى ما في وسعهم » .

كتب هنري اليهم . وأخبر أليك : « كل ما نستطيع الآن ان نفعله هو ان نتنظر ونأمل . سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً . لكن ذلك لا يمنعنا من تدريب الأدهم . اريد ان افرض رقابة على الجواد - حتى لو لم تكن قادرين على ادخاله السباق ! » .

لم يحاولوا ان يضعوا السرج او اللجام على الأدهم بعد . اراد هنري ان ينتظر حتى الربيع . لقد اصبح الطقس بارداً والارض صلبة . اخبر هنري أليك قائلاً : « ان عملنا الحقيقي يبدأ في الربيع ، سنسير الآن بالامور على مهلنا ! » اصبحت مهارة أليك في الركوب اعظم فأعظم ، تحت ارشاد هنري وخبرته ، حتى اوماً هنري برأسه علامة الموافقة والرضى . قال لنفسه فيما كان يراقب الغلام وهو يركب عالياً على عتق الجواد الذي راح يحجب به في الحقل : « مزيج عظيم ! » .

بعد انتهائه من العمل ، كان أليك في العادة يقضي بقية ما بعد الظهر يؤدي اعمالاً متعددة حول البيت ، اعطاه والده اياها . قال له والده : « عليك ان تكسب منحتك المالية » .

وكان والده قد وجد كثيراً من الاشياء له ، ليقوم بها ، ايضاً . لم يكن أليك يعرف من قبل ان هناك مثل هذه الكثرة من الاعمال للقيام بها حول بيت ما - ولم ينس والده شيئاً .

صار المدخلان الامامي والخلفي يلعبان بالطلاء . واصبحت ابواب الجاراج تتفتح بسهولة الآن ، وتبقى مفتوحة . وشع السرداب بالنظافة . ولم يكن أليك يعرف من قبل ان من الممكن ان تسقط مثل هذه الكثرة من الاوراق ، من

الاشجار . في يوم واحد كان يحرق ويحرق مئات منها . وفي اليوم التالي تغطي الساحة بها كرة اخرى . ومع مجيء الطقس البارد ، كان هناك النار التي يجب ابقاؤها موقدة والأومدة التي يجب رميها الى الشارع . ومن حسن الحظ ، ان الثلج لم يسقط حتى الآن ، رغم انهم كانوا في شهر كانون الثاني . فلم يكن لزما ازالة الثلج عن المماهي والممرات .

كان الأدهم يرقب الثلج ، ايضا . كانت عيناه متسعيتين من الدهشة ، وأذناه متصبتين الى أمام قال أليك : « هنري ! انظر الى الأدهم . هذه اول مرة يرى فيها الثلج ! » .

غمغم هنري : « ذلك صحيح ! ليس لديهم من ثلج في المكان الذي جاء منه ! »
— « اني لأتساءل ما الذي سيكون رد فعله الآن ؟ » .

اجاب هنري : « يجب الا نزعه بالمرة » . خبط الأدهم بأقدامه ارض العنبر .
قال أليك : « يبدو تأثير الأعصاب للغاية » .

اجاب هنري : وهو غارق في التفكير : « نعم ، ولكن ذلك لأنه لم يخرج »
خلال نصف الساعة القادمة ظل هنري وأليك يراقبان الثلج المتساقط . قال أليك :
« يبدو انه اخذ يتوقف الآن » .

بعد دقائق قليلة برزت الشمس من الغيوم . قال هنري فيما كان هو وأليك يراقبان اشعة الشمس تلتمع على الثلج الأبيض « ما اجمل الجو هناك في الخارج
الآن » .

استدار الغلام نحو الأدهم وسأل : « هل تظن اننا نجرو على اخراجه يا
هنري ؟ » .

نظر هنري الى الجواد الذي كان ما يزال يذرع حظيره وقال : « انه ولا
ربب يحتاج الى الهواء يا أليك . من الصعب ابقاء حصان ، له طبيعة هذا الأدهم ،
محتجزاً حتى لمدة يوم . هل تظن انك تستطيع تدبير امره معه ؟ » .

ابتسم إليك واجاب : « لست اخاف من اي شيء مع الأدهم يا هنري - انت تعرف ذلك » .

كشر هنري وقال فيما هو يسير نحو العنبر .

« حسناً ، اخرج به ! » .

حالما فتح هنري باب العنبر ، شق الأدهم طريقه الى الامام . قبض عليك على لجامه وقال : « هوا ... يا ولد ! » .

تحرك هنري نحو باب العنبر وقال فيما كان يسحب الباب الى الوراء : « الأحسن ان تقوده قليلاً حتى يتعود على الجو » . احجم الأدهم فشدد عليك قبضته على اللجام . وفي حذر قاد الجواد خارج العنبر .

كان الهواء بارداً ، ساكناً . غطست حوافر الأدهم في الثلج . تحرك في حذر حول الغلام ، دون ان يدع اقدامه تبقى لأكثر من جزء من الدقيقة في بقعة واحدة . كان الثلج يتطاير في كل اتجاه . وفي بطنه قاد عليك الأدهم طائفاً به الساحة امام العنبر . ظل الجواد يهز رأسه ، وكان نفسه يندفع منطلقاً من منخريه بقوة ، مرسلاً جولين من البخار الكثيف الى الهواء .

ربط عليك جبل الرصاص الى اللجام ، فأعطاه مجالاً أكثر للركض والجري . رسم الجواد دائرة حوله . وعلى حين غرة توقف - وفي حذر خفض نفسه الى الأرض ثم تدحرج على ظهره . وخبطت ارجله متموجة من فوقه .

هتف عليك بهنري : « انظر اليه ! انه يجب هذا ! » .

بعد دقائق قليلة ، نهض الأدهم على اقدامه ، وأمسك عليك به من اللجام . ثم سأله : « هل تحب ذلك ، يا ولد ؟ » فhez الجواد رأسه . ضحك عليك وازال الثلج عن ظهر الجواد . وسأل : « اركبه ، يا هنري ؟ » اجاب هنري « بالتأكيد » . وسار حتى اصبح الى جانب الأدهم ووضع يديه معاً . خطا اليك عليهما وامتطى الجواد .

حذر هنري عليك فيما قاد هذا الأدهم الى الحقل : « تذكر ، كن على مهلك معه

قدر ما تستطيع . سار أليك يشي سريعاً وقوائم الجواد تقوص اعنق فأعنق في الثلج .
انحنى أليك وربت على عنق الأدهم . وسأله مرة أخرى : انحب هذا يا ولد ؟
فانحرف الأدهم قليلاً وانطلق في خيب بطيء . تركه أليك يذهب ثم أعاده الى
السير كرة أخرى وقال : « على مهلك يا غلام » .

ترك أليك ، الآن ، الأدهم يذهب حيث أراد . كان يعلم ان الجواد كان
مسروراً بالثلج . اتجه نحو المنخفض في الطرف الآخر من الحقل . كان الثلج اعنق
قليلاً هناك . وراح الجواد يخطو خطوات عالية ، وارتفع ذات مرة على قائمته
الخلفيتين . أخرجه أليك من المنخفض . وانطلق الأدهم يعدو خيباً وتركه أليك
يذهب ، لكنه شد على اللجام بدأ قوية . هبت الريح الباردة في وجهه وراح الثلج
يتطاير ، حين بلغا نهاية الحقل ، جذب لجام الجواد فاوقفه .

بعد ساعة من الركوب ، رأى هنري يلوح له بيده ان عُدْ . أدار الأدهم نحو
العنبر . وقال حين وصل الى هنري : « لقد أحب الثلج » . غغم هنري :
« لم يكن في مثل السوء الذي ظننته سيكون فيه ! » .

نزل أليك من على ظهر الجواد وقال : « انه يتصرف كسيد مهذب أكثر
فاكثر كل يوم » .

قال هنري : « نعم . وحين يأتي الربيع ، سيكون جاهزاً لنسا لنبدأ
العمل معه » .

رجع أليك : « الربيع . ما هو بعيد ، يا هنري — مجرد شهور قليلة قصيرة » .
نظر الرجل والغلام كلاهما الى الآخر — وكلاهما يفكر في الشيء ذاته . وتحولت
نظرة هنري الى الأدهم وقال : « لعل ذلك سيكون حوالي أوّل نيسان ، اذا
سار كل شيء على ما يرام » .

التدريب يبدأ

راحت قدما أليك تتحركان تحت رحلته . تملل والقلم الرصاص في يده . كانت الورقة امامه بيضاء ليس فيها من كتابة . لم يكن يستطيع التفكير في الهندسة ، في وقت كهذا . اتجهت عيناه كرة اخرى الى الساعة التي على جانب الجدار - ١٢،٣٠ . بعد خمس عشرة دقيقة سيكون في طريقه ! تحولت عيناه الى التقويم الضخم المعلق فوق السبورة - أول نيسان ! لقد ظل ينتظر هذا التاريخ طويلا ، وها هو قد حل الآن . واليوم ، بعد أشهر من الاستعداد والتهيؤ ، سوف يضعان السرج واللجام على الأدهم ويبدأن تدريبه تدريبا حقيقيا ، رغم انه لم تصلها حتى الآن كلفة من اوروبا بخصوص نسب الجواد . وقد كتب هنري رسالتين أخيرين في الأشهر القلائل الاخيرة .

ورأى أليك المعلم ينظر اليه ، ولهذا انحطت نظرتة على الورقة امامه . وراحت الدقائق تترحف بطيئة ببطء شهور الانتظار كلها . لم يستطع احتمال كل هذا اطول ، احتمل - ان عليه ان يذهب وحسب ! وعلى حين غرة قرع الجرس ، وكحصان سابق لمسافات قصيرة وهو ينطلق قفز أليك الى الباب . وفتحته واصبح في العمر قبل ان يبدأ بقية تلاميذ الصف في التحرك . ركض في الصالة ، وسمع صوتا آمرا يخبره بأن يقف ، لكنه استمر يركض . ولم يقف الا حين بلغ الشارع . ظل

يركض حتى اصبح اكثر تعباً من ان يذهب ابعد مما ذهب ، ثم تحول ركضه الى مشي سريع .

اندفع الى البيت ورمى كنبه على الكنبه . كانت امه قد هيات طعام الغداء . جلس لياكل ، لكنه كان متفعلاً جداً . تطلع الى امه وقال : « انا آسف يا اماه ، لكنني لست جائعاً اليوم » . تطلعت امه اليه . رأت جرة الأنفعال تلهب وجهه . سألت : « اهنالك شيء هام سيحدث ؟ »

اجاب أليك فيما انتهى من شرب قدح من اللبن :

« نوعاً ما ، يا اماه . لن اعود الى البيت حتى موعد العشاء . وسأتناول طعامي حينذاك » . ركض خارج البيت . ووقفت امه في عتبة الباب وراحت تراقبه فيما شق طريقه منحدرأ الى الشارع .

وجد أليك هنري يسير في عصىة جيئة وذهاباً امام العنبر . هتف به : « هلو يا هنري ! »

اجاب هنري وهو يخرج الغليون من فمه : « هلو يا بني . يوم دافىء لطيف يصلح للتدريب » وتطلع الى الشمس عالية في الأفق فوق رأسه .

رأى أليك الجواد في الحقل فسأل : « كيف يشعر اليوم ؟ »

اجاب هنري : « كان دائم الحركة طوال الصباح . أظن ان الجو الدافىء يجعله هو ايضاً يشعر بالقوة والنشاط »

راحا يراقبان الأدهم لدقائق قليلة . ثم قال هنري : « حسناً يا بني يحسن بنا أن نبدأ . أتشعر بأنك على ما يرام ؟ »

— « طبعاً . ما الفرق بين ركوب الأدهم وهو مسرج او ركوبه دون مسرج ؟ »

نفض هنري الرماد من غليونه وقال : « كل شيء يعتمد على الحصان ، ولكن دعنا نذهب . لقد عثرت على مرج ثقيل في مخزن للأغراض المستعملة في نيويورك امس . ومع انه ليس كما ينبغي ، لكنه سيفي بالغرض حتى ندخله الى السباق

وحينذاك نستطيع استعمال السرج الخفيف . وسار هنري نحو العنبر . صفر إليك
فرقع الأدهم رأسه وجاء ، متوثباً ، إليه .

صم الأدهم انفه في جيب إليك الجانبي . نحاه إليك ، معاتباً ، واخرج من
جيبه قطعتين من السكر . وسأل الجواد : « أتريد بعض السكر يا فتى ؟ » مد
الجواد لسانه القرمزي الطويل الى يد إليك ، واختفى السكر .

جاء هنري نحوهما حاملاً اللجام والسرج وقال : « دعنا نذهب الى وسط الحقل
حيث سيكون لدينا متسع من المكان » .

اجاب إليك : « حسناً » . راح الأدهم ينقل خطواته متواثباً الى جانب إليك .
حين اصبحا في وسط الحقل وضع هنري العنان والسرج على الأرض وقال :
« سنجرب السرج اولاً . لا ادري ما الذي سيحدث » .

وقف إليك عند رأس الأدهم ، وقد شد قبضته على الزمام . واخذ هنري
السرج في ذراعيه واستدار الى الجانب الأيسر من الجواد . رأى إليك عيني الأدهم
تتجهان نحو هنري . استشعر بأن شيئاً ما سيحدث وتحرك في قلق . ربهته إليك
وتكلم في اذنه .

قال هنري : « امسكه الآن يا بني » .

شدد إليك قبضته على الزمام . ورفع هنري السرج الى ظهر الأدهم ووضعه على
الجواد في رفق . لم تنح له الفرصة لكي يقبض على البزيم . فارتفعت قوائم الجواد
الخلفية في الهواء وانقذف السرج ارضاً . ودار الجواد عصياً ، في دائرة ، وأشغل إليك
يديه في محاولة للتشبث به . التقط هنري السرج واتجه به نحو الأدهم مرة ثانية . قال
من خلال اسنانه التي شدد عليها : « لن يكون هذا سهلاً . امسكه مرة اخرى
يا إليك ! » .

ومرة اخرى وضع هنري السرج على الجواد ، ومرة اخرى طار في الجو .
وقال فيما التقطه : « انه لا يعطيني فرصة لشد البزيم » .

مرت خمس عشرة دقيقة ولم ينجحاً في وضع السرج على الأدهم . كان هنري

وأليك متعبين كلاهما، لكن الجواد لم يكن متعباً الى الحد الذي توقمه أليك ، وقال هنري : « انه يماند وحسب » .

لم يكن الأدهم يسمح للسرّج بالبقاء على ظهره مدة تكفي هنري لأدخال شرائط الشد خلال الأباذيم . قال : « لو انني استطعت فقط ادخال الشرائط بطريقة ما وشدت ذلك السرّج عليه ا » .

فكر أليك لمدة دقيقة وقال : « لعلنا نستطيع ان نفعل ذلك يا هنري . هات قطعتين من ذلك الحبل القوي من العنبر ، واربط كل قطعة الى شرائط الشد . وحينذاك سأمسك بالسرّج من فوقه ولكن ليس عليه ، وتستطيع ان تسحب الحبل خلال الأباذيم الى الحد الذي تستطيع .

ثم ، حين تقول الكلمة استطيع ان اخفض للسرّج وفي الوقت نفسه ، تسحب للشرائط خلال الأباذيم . سيكون عليك ان تعمل بسرعة .. »

قال هنري : « قد تنجح وكل شيء يستأهل التجربة الآن » . ذهب الى العنبر وعاد بالحبل . أشغل نفسه بالحبل والشرائط بضع دقائق . وقال اخيراً : « حسناً » . اقترب أليك من جانب الجواد اكثر . ربّت عنقه ثم تناول السرّج الذي اعطاه هنري اياه وأمسك به فوق الجواد . وتساقطت الشرائط والحبل على الجانب الأيمن من الجواد . ورأى أليك ، من زاوية عينيه ، هنري يسحب الحبل تحت الأدهم ويحذبه خلال الأباذيم . والأدهم يتحرك في عصبية حول نفسه . وقال أليك : « هوا .. يا ولد » . خفض السرّج كأقرب ما يكون من ظهر الجواد ، بحيث استطاع هنري ان يوصل الشرائط الى أقرب ما يستطيع من الأباذيم .

سأل أليك : « كل شيء مرتّب ، يا هنري » .

جاء الجواب : « ثانية واحدة وحسب » .

كان الأدهم ينظر الى الامام حتى نهاية الحقل . قال هنري بصوت خفيض : « حسناً ، الآن » .

وبسرعة وضع أليك السرّج على ظهر الأدهم . شب الجواد على قائميه الخلفيتين

ووثب إليك الى جانب . كان هنري قريباً من الأدهم بصورة خطيرة ، وكانت يدها تجذبان ، بشكل محموم ، الشرائط خلال الأباذيم .

رآه إليك يسحب سحرة نهائية ، ثم رمى نفسه مبتعداً عن سنايك الأدهم الحاططة . هتف : « فعلتها ابتعد عن طريقه ! »

شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين مرة أخرى ، ثم انطلق راكضاً في الحقل حائداً ورامياً قائمتيه الخلفيتين في الهواء . حاول محاولة الئس ان يتخلص من السرج . راقبه إليك وهنري فيما راح يضرب دائراً حول الحقل . شب الأدهم ، على حين غرة ، شوباً عالياً على قائمتيه الخلفيتين ، ثم وقع على ظهره . سمعا السرج ينكسر .

قال إليك : « ها هوذا يذهب ! » .

أجاب هنري : « اذا لم يتخلص منه ، فإن ذلك يستأهل العناء ! » .

وقف الأدهم ، أخيراً ، على اقدامه . كان السرج ممزقاً محطماً لكنه ما زال على ظهره . مرة أخرى انطلق الجواد يعدو في الحقل ، وعيناه المتوهجتان تتحركان من جهة الى أخرى . فيما اقترب منها ، صفر إليك . مرّ الجواد يبتازهما خاطفاً . صفر إليك مرة أخرى . فوقف الأدهم على حين غرة ، وشب على قائمتيه الخلفيتين نصف شبّة ، ثم استدار راجعاً .

انتصبت اذناه الى امام ووقف ساكناً لبضع دقائق . ثم انطلق مرة أخرى ، منحدرأً في الحقل ، ينحرف من جهة الى أخرى ويرفس .

قال إليك : « كانت حسناً انك استطعت ان تحكم شد السرج يا هنري »
اجاب هنري ، وعيناه ما زالتا تتبعان الأدهم : « نعم »

صفر إليك كرة أخرى حين عاد الجواد الى الحقل . وقف الأدهم على بعد حوالي ثلاثين قدماً منها . سار إليك ، في حذر ، نحوه .

قال : « ما القضية يا ولد ؟ مدعور من السرج على ظهرك ؟ »

استدار الجواد وظن أليك انه سيمدو في الحقل ككرة الخرى . لكنه ، بدلا من ذلك ، دار على نفسه ثم وقف ساكنا . وضع أليك يده في جيبيه وأخرج بعض السكر . مدّها نحو الأدم قائلا : « هاك : يا ولد » . وفي بطة سار اليه واعطاه الفئزر . ربت على العنق الطويل النحيف وقال : ستمود عليه يا رجل .

وأى ان السرج كان متلفا الى حد كبير لكنه ما يزال صالحا للاستعمال . هتف هنري : « سر به لبضع دقائق ، يا أليك » .

قبض أليك على زمام الأدم وبدأ يسير به في الحقل . راح الجواد بخطو بخفة وهو يرمي ، بين الحين والآخر ، قائتيه الخلفيتين في الهواء . بعد عشر دقائق ، قاده اليك عائداً به الى هنري . قال : « انه ليس في حالة سيئة الآن » .

قال هنري : « أقفز عليه اذن ، ودعنا نرى ما يحدث » .

اجاب أليك وهو يتحرك نحو الجانب الايسر من الجواد : « حسناً »

ساعد هنري الغلام على الارتقاء ، بيده ، فاستقر هذا على السرج . وبعد أقل من ثانية وجد نفسه يظير في الهواء . اندفعت الأرض مرتفعة نحوه وكأنها تتلقاه . استطاع أليك ان يحمل قدميه تحته فأفسد سقطته . اضطلع ساكناً للحظة من الزمن وجسده يتوجع . اندفع هنري نحوه وجثا الى جانبه وسأله بلهفة وقلق : « أأوذيت ، يا بني ؟ »

— « أظن أن لا يا هنري . لكني مزعزع قليلا وحسب » .

أمر هنري انامه على رجلي أليك وقال : « حاول ان تنهض على قدميك » . تحامل أليك على نفسه تأمضا . كان غير ثابت في وقته للحظة من الزمن ، ثم بدأ رأسه يضطو . رأى الأدم على بعد اقدام قليلة منه . نظر الجواد اليه ثم تقدم نحوه ودفع انفه الى جيب أليك الجاني . قال أليك : « يبدو كما كان في السابق على الجزيرة »

والتفت الى هنري قائلا : « لماذا يا هنري ، بحق الشيطان ، يرميني للجود ان هناك سرجا على ظهره ؟ » .

أجاب هنري : « اظن ان ذلك مجرد شيء من تلك الأشياء ، يا أليك . انك لا تعرف كيف يتصرف حصان كهذا ! انه لما يتعود على السرج ولا اعتقد انه كان يعرف انك على ظهره . كل ما كان يستطيع الاحساس به هو ذلك الثقل الاضافي . والآن تحدث اليه كما اعتدت دائماً من قبل : دعه يعلم انك ستمطيه _ اظن اننا تسلفنا اليه نوعاً ما . دعه يحس بذراعيك ورجليك » .

قال أليك : « حسناً » . ومرة أخرى اتجه أليك نحو الجانب الأيسر من الأدهم .

سأله هنري : « أمتأكد أنك تشعر بأنك على ما يرام ؟ أتريد ان تنتظر بضع دقائق ؟ » .

أجاب أليك : « كلا » . نظر الى الجواد وأمسك بالزمام بيديه كليهما وقال مخاطب الجواد : « والآن ، اصنع يا رجل . على مهلك ! » هز الجواد رأسه فكاد يقتلع أليك من على قدميه » .

خطأ أليك الى ذراعي هنري الممدودتين . وظل يتكلم في أذني الأدهم ، بينما راحت يده تمر على عنق الجواد جيئة وذهاباً . ثم كان في السرج . شب الأدهم على قائميه الخلفيتين ، لكن أليك كان متهيئاً هذه المرة . ارتفع مع الجواد عالياً في الهواء وإحدى يديه تثبتت يعرف الأدهم والآخرى باللجام . هبط الجواد واندفع عبر الحقل . انكأ أليك الى الأمام وظل يتحدث اليه . لم تخف سرعة الجواد وظن أليك انه كان يركبه ركوباً آخر كالذي حدث على الجزيرة . وعلى حين غرة وجد انه كان قادراً على ان يقود الجواد - لقد سيطر عليه . استدار به بعيداً عن الحاجز وصعد في الحقل كرة أخرى . اجتاز هنري بسرعة وهتف أليك : « عظيم ! » . لم يكن لدى الجواد مجال كاف ليركض كأمرع ما يريد . وبعد فترة قصيرة استطاع أليك ان يخفف من سرعته حتى اوقفه قرب هنري .

قال هنري : « جولة لطيفة ، يا أليك » ، وقبض على زمام الأدهم وواصل الكلام : « سنضع اللجام عليه في هذه اللحظة » .

— « لكن الا تظن انه متعب نوعاً ما ، يا هنري ؟ » .

أجاب هنري : « ذلك احد الاسباب التي تجعلني اقوم بذلك الآن . وفوق ذلك ، لا اظن انه سيكثر بمقدار ما اكثرت للسر . انت فيه قطعة خفيفة الاتزلاق ، وهو ليس اكثر من الزمام الموضوع عليه الآن » .

قال أليك : « انت الرئيس يا هنري . كيف سنقوم بذلك ؟ » .

— « ابق انت على ظهره وسأفتح انا فمه ثم تستطيع انت سحب اللجام على رأسه » .

قال أليك فيما تحرك هنري امام الادهم : « حسناً » .

أولجت يدا هنري الخبيرتان العليكة في فم الادهم خلال بضع دقائق . وبسرعة جذبها أليك فوق اذني الجواد ودفع الشريط خلل الابرص . هز الادهم رأسه وتحرك في قلق دائراً حول نفسه . تركه اليك وشأنه ، لمدة خمس عشرة دقيقة ترك الادهم يتعود على العليكة ، ثم قاده منحدرأ في الحقل . وفي عناية وفي نفس الطريقة التي كان يتبعها على الجزيرة ، علم اليك الادهم ان يستدير ميئاً وشمالاً بمجرد لمسة لطيفة من العنان على رقبته . لم يكن هناك كبير فرق بين طريقة اليك القديمة وبين استعمال الاعنة ، وقد تعلمها الادهم بسرعة .

عاد اليك ، راكباً ، الى هنري وترجل ابتسم هنري وقال : « ذلك يا اليك هو ما ادعوه عملاً موقفاً ليوم واحد ! » .

اجاب اليك : « بالتأكيد ، يا هنري » . حك اليك انف الادهم . وقال مزهواً : « انك في تقدم ، يا ولد » .

كانت الشمس تحتفي وراء ناطحات سحاب مانهاتن في المدى البعيد فيما اخذ الرجل والفلام والحصان طريقهم الى العنبر .

ركوب في الليل

لمح اليك ساعته اليموية بعينه وهو يسرع بمفادرة البيت الذي ما يزال مظلماً ، وامه وابوه نائمان . الساعة الواحدة . لقد مضى اسبوعان منذ ان ذلّل مع هنري الادهم باللجام والسرج . كان البدر عالياً في السماء . وكانت النجوم متناثرة . وهبت على وجهه نسمة دافئة من نسائم الربيع . ان هنري في انتظاره .

بلغ البوابة ثم دخل . كانت سيارة الشحن التي استعارها هنري تقف الى جانب العنبر . وكان هنري يتكئ عليها ،

همس اليك : « أكل شيء على ما يرام ، يا هنري ؟ » .

وجاه الجواب الهادئ : « كل شيء على ما يرام » . فتح باب العنبر في حذر ، لئلا يصدر عنه اي ضدى . وقال من وراء كتفه ، وقته تبعه اليك الى الداخل : « لا تضيء النور » .

صهل الادهم حين سمعها . مدّ نابليون العجوز رأسه من الحظيرة وصهل ايضاً .

قال اليك وهنري معاً : « ش ش ش » .

قال هنري : « اذهب الى هناك وهدئه . سأجلب الاغراض » .

وضع اليك يدأ على كل انف من انفيها وقال : « على مهلكما ايها الغلامان .
لا نريد ان نوقظ احداً ، كما تعلمان » .

ميزه الحصان الآن في ضوء القمر . هز الحصان رأسه برفق ، ولف نابليون
تسلفه الطويل حول يد الفتى .

عاد هنري حاملاً اللجام والسرج . قال : « حسناً . اخرجته » . قاد اليك
الادهم خارج الحظيرة ، دون ان يزعج دثاره . خطا الجواد في تهب ، وسنابكه
تهز ارض العنبر هزاً .

واصل هنري الكلام قائلاً : « يا اليك ، حاول ان توقفه ساكناً . سيوقظ
زوجتي بكل تأكيد ! » .

اجاب الفتى : « سأحاول ، يا هنري . يبدو تأثير الاعصاب للغاية ، اظن انه
غير معتاد على ان يوقظ في منتصف الليل ! » تلفت الادهم وراه الى نابليون
وحجم فيما قاده اليك نحو باب العنبر ، ثم اغلق هنري الباب وراهما .

صهل نابليون داخل العنبر على حين غرة — اعلى مما يسمع اي منها صهلاً منه
قبل هذا .

قال هنري فيما ركض نحو العنبر : « يا الهي ! لن نخرج من هنا دون ان
نوقظ احداً ! » .

رفع الادهم رأسه عالياً في الهواء ، واذناه منتصبان الى الامام ، واجاب نداء
نابليون . نظر اليك اليه ثم الى العنبر .

قال : « هنري » .

— « نعم » .

— « لدي فكرة . لماذا لا نأخذ نابليون مبيتاً ، ان سيارة الشبح تسبح لكليهما
وانت لدي شعوراً بأن ذلك سيحصل الادهم اسهل كثيراً لذي تدلوله ،
بالاضافة الى جملة اعداء كثيراً » .

نظر هنري نظرة تفكير الى الجواد القلق . قال اخيراً : « حسناً . انه امر يستأهل التجربة » . بعد دقيقة قاد نابليون نحو سيارة الشحن .

صل الادم برفق حين رآه ، ولم يعان اليك مشقة في ايصاله الى داخل سيارة الشحن عن طريق المعارضة الحشوية . وتبعه هنري يقود نابليون . قال هنري : « والآن ، ليس علينا ان نعيد هذه للسيارة الى الشاب الذي استعرتها منه قبل السادسة وحسب ، وانما علينا ان نعيد نابليون الى توني كذلك ! » .

قال اليك : « انها الواحدة والنصف الآن » .

قال هنري : « علينا ان نكون هناك في الثانية » . وتسلق هنري الى مقعد السائق وجلس اليك الى جانبه . بعد دقيقة كانت سيارة الشحن تتحرك هابطة في الطريق المعد للعربات . وكان لا يأتي من مؤخرة سيارة الشحن سوى صوت سنابك الجواد .

ساق هنري الجواد بسرعة خلال الشوارع الممتعة ، وبعد نصف ساعة وقفا امام بوابة حديدية عالية . لس الزمار لمسة خفيفة مرتين . وعلى الباب قرأ اليك الاسم « بلونت » . واجتذبت عينيه لمحة من البياض . قبضت على القضبان يدان ، واطل من خلالها راس مجلل بشعر ابيض كالثلج . وسأل صوت عالي النبرة عجوز : « أهذا انت يا هنري ؟ » .

استند هنري على جانب السيارة وقد اخرج جسمه . اجاب برفق : « نعم يا جاك - انه انا . أكل شيء على ما يرام ؟ » .

جاء الجواب « على ما يرام » .

سمع اليك جلجلة المفاتيح ، ثم دوران القفل . بعد لحظة انفتحت البوابة مشرعة .

حرك هنري السيارة وساقها خلال البوابة . وأغلقت البوابة خلفه . ولم يقف هنري ، ساق كما لو كان يعرف طريقه .

سأل اليك : « من كان ذلك يا هنري ؟ » .

ابقى هنري عينيه على الطريق المعبد امامه ، لكن اليك لاحظ ابتسامة طفيفة على شفتيه حين اجاب : « ذلك جاك . لقد كنا زميلين منذ عهد بعيد » . ثم غغم مكشراً : « الحق ان جاك علمني ان اركب الخيل . كنت مجرد فتى صغير يجب الخيول ويريد ان يركبها ، لكنني لم يسبق لي ان كنت على ظهر حصان . كان من عادتي ان اذهب لمشاهدة اعمال التدريب في الصباح الباكر ، وانا احلم باليوم الذي سأخرج فيه هناك على صهوة جواد اصيل . وكان جاك خيالا معروفاً آنذاك . واظن اني كنت اعتبره مثلاً اعلى نوعاً ما ، ولكن جميع الصبية كانوا يفعلون ذلك . على كل حال ، علمني كل ما اعرفه الآن تقريباً . واذا كنت ناجحاً ، فهو سبب ذلك النجاح . انتقل جاك ، فيما بعد ، الى تدريب الخيول وهو الآن في حال طيبة نوعاً ما ، متقاعد ، كما اظن ان في الوسع تسميته » .

توقف هنري عن الكلام وانحرف الى زاوية ، في عناية ومهل . ثم استمر قائلاً : « اتعلم ، يا اليك ، ان الخيول مثل البحر نوعاً ما ، ستكشف ذلك حالما تتعود عليها وتعلم ان تحبها . فلن تستطيع التخلي عنها . هكذا جاك وهكذا انا . ان جاك مجرد حارس هنا الآن ، لكنه يحب عمله . هناك خيول تتدرب هنا ، معظم اوقات السنة ، وسيفتح السباق قريباً جداً ولهذا فهو راضٍ قانع » .
اوقف هنري سيارة الشحن بجانب ساحة السباق . سأل اليك : « أأنت متأكد من انه لا يوجد احد هنا ، يا هنري ؟ » .

اجاب هنري : « بالتأكيد . ليس هنا الا خيول قليلة تتدرب ، وجاك يحرسها ، وهكذا فالمكان ، في الواقع ، تحت تصرفنا » .

كان هنري قد وقف الى جانب رصيف لتفريغ الشحن . قفزا من السيارة وانجها نحو الباب الخلفي ليمتصاه . حمم الحصانان فيما تسلك اليك داخلاً الى جانبيها . رمى الجواد رأسه الى الوراء وقطع الجبل المشدود الى سيارة الشحن .

قبض عليه اليك من الزمام وقال : « هوا ، يا ولد ، على مهلك » . صار وراءه الأديم ودفعه حتى أخرجه الى الرصيف ثم انزله الى الارض .

وتبعه هنري بنابليون . قال : « سيكون امرأ حسنًا ان نبقي فابليون بحيث يستطيع الأدم ان يراه . والآث ، الأحسن ان تمشي بالأدم حيتة وذهابا مرات قليلة لتبصر رجليه من الجلاوس » .
قال أليك : « حسنًا » .

بعد دقائق قليلة ، حين سار بالأدم عائداً به نحو سيارة الشحن ، سمع صوت جاك العجوز ذا النبرة العالية مرة ثانية ورأى الرجل ذا الشعر الأبيض يتحدث الى هنري : « بحق السماء ، يا هنري ، لا تخبرني بأن ذلك الجواد المزيف الواقف هناك هو البطل الذي اجازف بعقلي من أجله ! » .

ضحك هنري وقال : « بحق السماء عليك يا جاك . لا تقفز الى الاستنتاجات بهذه السرعة . لم تر الشيطان الأشهب يركض ، بعد » .

اجاب جاك : « لقد مضى عليّ من الزمن وانا أعلم هنا ، يا ولدي ، أكثر من ان تجعلني أعتقد بأن هذا العجوز يستطيع ان يفعل غير ان يقطع ساحة السباق ماشياً . وحق السماء ! » .

لم يستطع أليك ان يمنع نفسه من الضحك . سمعه جاك فالتفت . ثم رأى الأدم فانفتح فمه واسمعا وفي يده سار نحو الجواد . شب الأدم على قائميه الخلفيتين قليلاً ، لكن أليك هدأه فبط . دار جاك حوله وعيناه تنفضان كل شبر من «الأدم» .

جاء هنري اليه وقال بعد دقيقة مهي الصمت : « حسناً ، يا جياك ، ماذا تنظن به ؟ » .

تطلع جاك اليه وقال : « لقد كنت على صواب بالتأكيد ، يا هنري . امين قديك حصاناً حقيقياً هنا » .

« يا هنري مونتيسا : « يستأهل المجازفة ببطلك من أجله ؟ » .

اجاب العجوز مؤمناً على قوله برأسه : « يستأهل المجازفة بعقلي من

أجله . واستمر يقول : « لم أر حساناً مثله ، منذ تشانغ » .

قال هنري : « هذا بالضبط هو ما أخبرتك به » وغمز لأليك ثم قال : « اقدم
تلك صاحب هذا الجواد الأدهم ، أليك رامسي - أليك هذا جاك » .

صافح أليك يد العجوز مصافحة حارة ، ودهش من القوة التي في أصابع جاك .
قال جاك : « مسرور بمعرفتك ، يا بني » .

اجاب أليك : انا سعيد بأن اعرفك ، يا سيدي . كان لطيفاً منك للغاية ان
تدعنا ندخل هنا . هنري وانا نقدر ذلك بالتأكيد » .

اجاب جاك : « يسرني ان افعل ذلك . اظن ان هنري يعرف نقطة ضعفي .
حين قال ان لديك جوادا بطلا ؛ كان لا بد لي من ان ارى بنفسني » .

ضحك هنري قائلاً : « انك لن تتغير ، يا جاك » .

غمغم العجوز بكشراً : « اخشى ذلك » .

طوح الادم برأسه وبعر نسيم الليل عرفه ، قال أليك : « انه يتلف للانطلاق » .

قال هنري : « حسناً ، مأجلب السرج » . وتحرك نحو سيارة الشحن وقال من
وراء كفه : « البت قريباً يا جاك وسترى اسرع شيء يجري على اربع أرجل » .

اجاب جاك : « لا تقلق لست ذاهباً » . والتفت الى أليك وقال : « تعال
يا بني ، سنزل به قرب البوابة » .

بعد دقائق قليلة جاء هنري ورمي السرج فوق الادم . تحظر الجواد في سهولة ،
ثم شق على قوائم الخيلتين قليلاً حين شد هنري الرباط ووضع هنري وجاك
الليجام عليه .

قال هنري : « حسبي اتعباً » : « كل شيء تم » . والتفت الى أليك وقبلت :
« والان ... الذكرة الملهمة ، يا ولد ، هي ان نعود على ساحة السباق . بلسن الحظ
في هناك بدلاً بحيث انها ليست مظلمة هناك ، ولا اظن ان الروية ستكون صعبة » .

أبقه مسيطراً عليه غاية ما تستطيع . جرب الا تدعه يتصرف وفق هواه حتى يأتي الى الطريق المفضي الى البيت ، حينذاك سيكون كل شيء على ما يرام ، دعه يخرج لمسافة بضع مئات من الياردات . لقد مضت عليّ مدة طويلة وأنا انتظر هذا ! قبل ان تبدأ مر به جيئةً وذهاباً . فهمت ؟ » .

أجاب أليك : « نعم » .

كان جاك مستنداً الى الحاجز ، ورأسه الأبيض متكئاً الى الدريزين ، وعيناه على الجواد . تحرك قليلاً ورأى أليك ومضة فضية في يده . فعرف ان جاك كان يمسك بساعة للسباق . رفع هنري أليك الى ظهر الأدم وسوّى ركاب السرج . وصلت ركبتاه الى ذقنه فيما جلس القرفصاء على مرج السباق الصغير كفارس محنك . تحرك الجواد في قلق . قاده هنري الى ساحة السباق .

قال : « حسناً يا بني . مر به جيئةً وذهاباً أولاً » .

خطا الأدم بسرعة على التراب اللين ، ورأسه مرتفع ، وعيناه تلحاحن من جانب الى جانب . مدّ أليك يده وربت عنقه . وغمغم : « على مهلك يا رجل » .

اراد الجواد ان يركض فانشغلت يدا أليك في ابقائه يسير سيراً . ذهب به الى أول عطفة ثم عاد به . كان الليل دافئاً . وفيما بلغنا هنري خلع أليك السترة ورمى بها الى هنري قائلاً : « احفظ هذه حتى اعود » . وسار بالأدم بضع ياردات مجتازاً ايهاها .

قال فيما استدار بالأدم رأساً على عقب : « ها هوذا يذهب » ،

شب الجواد على قائمته الخلفيتين فتشبت الغلام بعنقه ، وقبضه الأبيض يلوح بحبوية ازاء جسم الأدم ، ثم اندفع الجواد الى أمام . شد أليك الأعنة وكبح من جراح الجواد . انحدر في ساحة السباق ، وخطوات الجواد المعلاقة تبتلع الياردات واحدة بعد الاخرى . كان أليك ، وهو عال في الزكاب ، يتعلق واطناً الى جانب عنق الأدم . كانت الريح تهب في وجهه ، وتدفقت الدموع منحدرة على خديه . استدارا حول العطفة الأولى وصارا في الامتداد الخلفي . ابقاه أليك قريباً من السياج

الأبيض . ما زال كايحاً لجاح الأدهم ، لكنه لم يسبق له ان انطلق سريعاً كهذه السرعة ، الا على الجزيرة .

احب الجواد ذلك وكافح ليحرر رأسه من شدة العنان . حاول أليك في جنون ان يحده لكن الجواد ، في منتصف الطريق الى الامتداد الخلفي ، اخذ المليك في اسنانه واختطف الأعنة من سيطرة الغلام عليها . مرة اخرى كان متوحشاً وحرأ . جذب أليك الأعنة المرتخية بكل قوة ، لكن الأدهم راح يحزي امرع فأمرع . لم يستطع أليك ان يرى شيئاً بعد . كانت الريح تسوطه كأنها اعصار ، فزقت قبضه الى شرائط .

فما دارا حول العطفة البعيدة ، اعتدل الغلام في السرج . وبحكم الغريزة تشبث بعرف الأدهم الطويل وظل كذلك ، متشبثاً بالحياة العزيزة . ارعد الجواد بجوافره ودخل في الطريق المغضي الى البيت . كانت أرجله تحبب في العشب . خطفاً يجتازين هنري وجاك ثم دارا حول العطفة الأولى كرتة اخرى ثم الى الامتداد الخلفي من جديد .

كان أليك يكاد يكون غير واع . حاول ان يفكر . عليه ان يوقف الأدهم . شد على الأعنة في يأس ، لكنها مرّاً بهنري يجتازانه بأسرع من ذي قبل . كان الجواد ، مرة اخرى ، سيد نفسه ، جارياً كما ولد ليجري .

لم يحس أليك بالأدهم يبطيء قليلاً وحسب ، الا حيناً كانا في منتصف الامتداد الخلفي مرة اخرى . تكلم أليك في أذنه . وأرخى يداً من العرف وفرك عنق الجواد . عندئذ راحت سرعته تقل تدريجياً . وحين اجتازا هنري للمرة الثالثة ، كان أليك قد أوشك ان يسيطر عليه . استطاع ان يخفف سرعته بعد العطفة الأولى ، وفي الامتداد الخلفي كان أليك قد لوقفه أخيراً .

اداره رأساً على عقب . صفر الأدهم وهز رأسه . كان يتنفس في ثقل ، وكانت رغبة بيضاء تكسو جسمه الأسود .

راح يخطو بحفة في ساحة السباق متجهاً نحو هنري . بعد دقائق قليلة ركض

هنري وجأك اليه ، وهبط إليك ، في ضعف ، من السرج . أخذ هنري الأعنة
كانت متصلة رطبة بالدم .

نظر الى يدي أليك الداميتين ، واعطى الأعنة لجأك ووضع ذراعه حول الغلام
ليسند . وقال : « على مهلك يا بني » .

قال أليك : « انني في خير حال ، يا هنري . انني مجرد دائع قليل » .

قال هنري : « لا بد ان تكون كذلك ، بعد ذلك الركوب » .

وقال جاك : « لن يكون احد قادراً على السيطرة على هذا الحصان حالما
يصبح سيد نفسه . فالشيء الوحيد هو ان تفعل ما فعلت ، ان تثبت به وتتغلب
حتى يتعب » .

قال أليك في عزم وتصميم : « سأسيطر عليه - في يوم من الأيام » .

صار يحس بأنه أحسن ، الآن . كانت القوة قد أخذت تعود الى جسمه وبدأت
الأرض تستقر في عينيه . أدار الجواد رأسه نحوه ، وأذناه منتصبان الى الأمام ،
وصهل على مهل . دس أنفه في جسم الغلام .

وضع أليك يداً ملفوفة في مندبل ، على البوز الناعم . وقال : « لا يمكنك ان
تلومه يا هنري . انه اول مرج حقيقي يناله خلال وقت بعيد جداً . ان عليّ ان
اتعلم البقاء على ظهره والتمتع معه بالركوب . ذلك كل شيء ! » .

ماروا خارجين من ساحة السباق وأليك يعود الأدهم . لم يتكلم احد مرة
اخرى حتى بلغوا سيطرة الحصان . كان فابليون يهف هناك مربوطاً الى جانب
السيارة . رفع رأسه العجوز الأشهب في حذر . قاد أليك الأدهم اليه ووضع
رأسها معاً ، والجواد يخفض رأسه طائماً .

التفت هنري الى جاك وقال : « لن نملك ان نقرر بأن ليس هناك من حصان في
البلد يستطيع الاقتراب منه » .

نظر جاك الى الساحة في يده وأجاب : « كلا . لم أسمع بأي حصان يفعل ما

فعله اللية . واريدى ، وسيلون قد يتسابقان معه ، لكنه سيتطلب عليها اذا وكضى .

سأله هنري : « ماذا تعني - اذا ركض ؟ » .

أوما جاك برأسه نحو الأدهم وقال : « لو انه درج على نفس ساحة السباق مع تلك الخيول ، فلن يكون ثمة اى سباق . ذلك الحصان سيريد ان يثاقل ، لا ان يركض . فهو يتوحش حين تأتى . من اين حصلت عليه ، يا بني ؟ » .

نظر أليك الى هنري ، الذي أوما برأسه . اخبر أليك جاك باختصار كيف حصل على الأدهم .

وحين انتهى قال جاك : « قصة عجيبة ، يا بني » . ثم التفت الى هنري وسأله : « كيف تعرف انه أصيل ؟ أنت تعرف ، كما أعرف ، انه لا يستطيع ان يدخل في السباقات دون ان يسجل ! » .

اجاب هنري ، نسم اعرف . اننا نأمل ان يكون مسجلاً في سجل انساب الخيل العربي . لقد ظلت اكتب لهم لكنهم لم يحيبوا أظنهم ما استطاعوا ان يحدوا شيئاً حتى الآن » .

نظر جاك الى الأدهم وقال : لقد ولد هذا الحصان متوحشاً ، يا هنري ، اذا كان حكيمى صواباً - لن تجده قد سجل » .

قال هنري : اخشى انك على صواب ، يا جاك . لكنك لن تستطيع ان تعلم قد يظهر شيء ما نستطيع ان نسايق به الزمن ونجعله يحطم بضعة ارقام قياسية - حينذاك سيكون عليهم ان يلاحظوه ! » .

أوما جاك برأسه وقال : « ليست فكرة سيئة ، كثير من الناس سيحلون ذراعمهم اليمنى ليروا ما رأيت انا اللية ! » .

سار أليك بالأدهم جيتة وذهاباً لمدة من الزمن ثم فاده الى سيارة الشعبين بجانب نابليون . بعد ان ربط الحصانين في امان ، قفز من السيارة وفهّب الى حيث كان

هنري وجاك يتحدثان . كان هنري يقول : « لن نكون هنا غداً في الليل - أعطي الغلام راحة ، ولكننا سنفعلها في الليلة التالية . فكن عند البوابة في الساعة الثانية » .

اجاب جاك : « حسناً » .

صعد أليك وهنري الى المقعد الأمامي . ووقف جاك على الرفوف . نظر أليك الى ساعته وقال فيما بدأت سيارة الشحن تتدحرج : « الثالثة والنصف . آمل الا يكون أهلي قد افتقدوني » .

غمغم هنري : « نعم . وانا آمل الا تكون المسز قد افتقدتي والا فسيكون هناك الكثير من الايضاح والتفسير حين اعود الى البيت ! » .

ضحك جاك ومد رأسه الأبيض خلال النافذة وقال : « وهكذا فهي ما تزال تلبس البنطلون في البيت ، ها ، يا هنري ؟ » .

قال هنري وهو يدور حول زاوية بصورة حادة : « كلا . ليس هو الأمر . انه مجرد انها اصابته كفايتها من الحيول وهي تتوقع مني ان انتهي من الحيول انا ايضاً » .

كشر جاك مغمغماً : « اذن ، فهي ما تزال لا تعرفك . أليس كذلك ؟ » . وواصل كلامه قائلاً : « انت مثلي ، يا هنري . فما دام هناك نفس باق في جسدك ، فأنت تريد ان تبقى قريباً من الحيول . ولا شيء في هذا العالم يمنعك عنها » .

وكان ثمة صمت حتى تدحرجت السيارة الى البوابة . قفز جاك من الرفوف وفتح البوابة . وفيها اغلقت وراهما ، لوحا بأيديهما يودعان العجوز .

سأل هنري : « حسناً ، يا بني ، لاقيت وقتاً اصعب مما توقع كلانا ، أليس كذلك ؟ » .

اجاب أليك : « اظن ذلك يا هنري . على اية حال ، انه لأمر مثير للغاية ركوب الأدم كما فعلت الليلة ، في ساحة سباق » .

«نعم» ، ويجب ان اقول انك والأدم قتما بعمل جيد للغاية جعلتما رقم السباق
القياسي يبدو وكأن حصاناً خشبياً كان قد سجله ! » .

بعد خمس عشرة دقيقة وقفا امام العنبر . قاد أليك الأدم الى الحظيرة ، ووضع
هنري نابليون في الاسطبل ثم تبع أليك الى حظيرة الأدم . وراح الغلام والرجل
معاً يحكانه . بعد بضع دقائق غادرا العنبر المظلم . قال أليك : « ليلة سعيدة ، يا
هنري . أراك غداً » .

— « ليلة سعيدة ، يا أليك » .

كان منزل آل رامسي ما يزال مظلماً . فتح أليك الباب بحذر وصعد الدرج
الى غرفة نومه . كان كل شيء هادئاً الا شخيراً ، بين الحين والحين ، من والده .

وفي تعب خلع ملابسه وصعد الى مربره . وجسده يوجعه . بعد ساعات قليلة ،
خرج الجرم من ساعة التنبيه في أذنه . وفي نصف وعي مد يده اليها واسكتها .
طرده ألم حاد في يده كل النوم عنه . نهض جالساً ونظر الى المنديل الملطخ بالدم
الذي ما زال ملفوفاً حول يده . ترك يده تسقط على الوسادة : اذن لم يكن ذلك
حلماً ! لقد ركب ، في الحق ، الأدم في الليلة الماضية . استقرت عيناه على
الكرسي الذي في جانب مربره حيث كان قد رمى ملابسه . كان قبضه معلقاً على
خراع الكرسي وقد مزق الى شرائط . كان جسده ما يزال يؤلمه في كل مكان فيما
رمى الأغطية عنه ونزل من مربره . وبسرعة لبس ملابسه ووضع القميص الممزق
تحت ذراعه — سيرميه قبل ان تراه أمه . ذهب الى الحمام واغتسل واعتنى بيديه
« الجريحتين » . شدت على أسنانه عندما أراق الأودين عليها — لكن رأسه كان محمواً
من التهييج ، فمرة اخرى استعادت الحياة الدروة العالية التي صار يحبها .

الإعصار وغازي الشمس

بعد ليلتين ركب أليك الأدهم في ميدان السباق مرة أخرى . كأن الجواد يجذب الأعنة وأليك يسير به . اتكأ هنري وجاك على السياج ووقف نابليون إلى جانبيها ، وعيناه على الأدهم .

كان أليك يلبس سترة سوداء تشد جسمه . وكان يغطي يديه الجريحتين قفازان اسودان . وقد شد منديلته حول رأسه ليمنع شعره من السقوط على عينيه . شبع الجواد على قائمتيه الخلفيتين نصف شبة - لقد كان يريد ان يجري في الخلق أليك وقبع قرفياً من عنق الأدهم ، وقلبه يخفق بشدة ، لأنه هو أيضاً ، كان يريد ان يحس بالريح تتثال في وجهه مرة أخرى ويحس بالجواد الجبار وهو يؤدي عمله .

أرعى الأعنة ، على حين غرة ، فاندفع الجواد . وحاز على قوة الدقع في وثبات جبارة وانطلق أسرع فأسرغ حتى أصبحت مناظر الأرض ، مرة أخرى ، مطموسة في عينيه ، ولم يكن هناك سوى الخط الذي لا ينتهي من السياج الأبيض ليقودهما . لم يحاول أليك ان يحد الجواد لو يوقفه . كان يتف : « أركض ، ايها الشيطان » . لكن الريح المعزقة اعادت كلماته الى حنجرتة .

اندفعا يدوران في ميدان السباق ، ودفع هنري وجاك ساقي ساعتيهما لضبط

الوقت فيما خطف الأدهم الى جانبها . وبلهفة نظرا الى الساعتين يستطلعان الوقت
ثم نظر أحدهما الى الآخر قال جاك : « ان ذلك لم يكن ممكناً ابداً » .

اتجهت اعينها كرة اخري الى الكتلة السوداء غير الواضحة التي كانت تدور
العطفة . غمغم جاك : « انظر الى ذلك الحصان وهو يركض ! » .

هتف هنري : « نعم — وانظر الى الغلام وهو راكب ! » .

استقر رأس جاك على يديه المسندتين الى السياج وقال : « لم اعرف ابداً انه
حصاناً يمكن ان يكون له مثل هذا التحمل الشديد ، يا هنري ! » .

— « تذكر انه جواد عربي » .

— « ولكنه ليس عربياً خالصاً ، مع ذلك ، يا هنري — انه ضخم للغاية ، سريع
ل للغاية . ان دماء كثير من الخيول الجيدة ، تجري في عروقه . نعم ، وما ابقاه على
ميدان السباق ، الآن ، سوى حبه للغلام » .

كان أليك ، وهو عال في الركاب يتشبث بمنق الأدهم وكأنه الطيراث .
كانت الدموع تنحدر ، بفعل الريح ، على خديه في دفق لا يفتحي . وعلى حين
غرة وفيما بلغا هنري وجاك ، رأى أليك شبح نابليون الأشهب يقفز الى ميدان
السباق . مرا به خاطفين . لكن الأدهم كان قد رأى نابليون ، ايضاً ، فخفت
مرعته .

نظر أليك من على كتفه ورأى الحصان الأشهب المجوز يجري نحوها . خففه
الأدهم مرعته تدريجياً — وبدون ان ينتظر اشارة من أليك — استدار بسرعة
رأساً على عقب نحو نابليون المتهادي — . حمحم الحصان المجوز عندما جاء اليه ،
لكنه ابقى رأسه عالياً . مدّ أنفه الى أنف الأدهم ، ثم انطلق يمشي خيباً ويمشط
العطفة . استدار الجواد بسرعة — وبعد ثلاث قفزات جبارة كان الى جانبه .
وخطا نابليون ثلاث خطوات مقابل خطوة من الأدهم . ودارا حول العطفة ممأ .
راح نابليون ينحب وهو واجم كأنه يفكر ، وعيناه على الميدان أمامه . هز الجواد
رأسه وعضض الحصان الأشهب معابناً وحين قطع نابليون ثلاثة ارباع الطريق

حول العطفة ، خفف مرعة سيره الى خبيب بطيء للغاية .

حين بلغا جاك وهنري كان نابليون منهكاً ، لكن عينيهِ كانتا متسعيتين من الهياج والانفعال . قفز إليك من ظهر الجواد وضحك قائلاً : « الآن لدينا جوادان للسباق » .

قال هنري : « لا ادري ما الذي طرأ عليه . لقد قطع الجبل وقفز الى الميدان هناك حين رأى الأدهم مقبلاً ! » .

مسح جاك يده على جسد نابليون وقال : « اظن انه لا بأس به مطلقاً ولم يؤثر الجري عليه » .

رمى هنري الدثار على الأدهم وقال : « لعل توني سيتسائل لماذا اصبح سهل للقيادة في جولاته عليه غداً » .

ضحك إليك وقال : « سيكون لديه أنشط منه في أي وقت مضى . سيكون توني حسن الحظ اذا استطاع كبحه والسيطرة عليه ! »

قال هنري : « الأحسن ان تسير بها في ميدان السباق ، يا بني » .

قاد إليك الحصانين وذهب بها ، رفع نابليون رأسه الى الأعلى ما يستطيع ، مقلداً الأدهم . وفي عناية رفع أرجله المضطربة اعلى وحاول محاولة اليأس ان يشب على قائمتيه الخلفيتين ، بالرغم من قبضة إليك الثابتة على زمامه .

كان هنري وجاك واقفين امام سيارة النقل حين عاد إليك بالحصانين . نظر الرجلان الى الجواد وقال هنري : « انني لأعطي الكثير مقابل ان اكون قادراً على الانطلاق به في سباق كبير . يا ولد ، اي منظر عظيم سيكون ذلك ! » .

نظر إليك الى هنري وقال : « لن نقصد الأمل بعد ، يا هنري ، اليس كذلك ؟ » .

اكتسح هنري الجواد بعينيهِ ثم اكتسح إليك بها . وقال : « كلا ، يا سيدي ، يا غلام ، سيرون هذا الحصان يركض حتى لو كان عليّ ان اقيم سباقاً بنفسي ! » .

أشعل هنري غليونيه . وفي ومض عود الثعالب المشعل ، رأى أليك العزم مسطوراً على وجهه . كان لغداه يرتفعان وينخفضان فيما كان يصم الغليون والدخان الكثيف يرتفع في الهواء ثم يطفو على نسيم الربيع الدافئ ، مبتعداً . رفع هنري الغليون من فمه ، والتفت الى جاك قائلاً : « أليديك اية اقتراحات عن اي شيء نستطيع القيام به يا جاك ؟ » .

فكر المجوز لحظة . ثم قال : « كلا ، يا هنري . أظن ان خير شيء نفعله هو ان نسايق به الزمن لبعض الوقت ونجعل الناس يتحدثون عنه . ولكني ، قبل ذلك ، سأنتظر جواب رسالتك » .

انتصبت أذنا الجواد الى امام فبا وصل اليهم صهيل جواد من احد الاصطبلات في البعد . نظر أليك الى الأدم في اشتاء . وقال : « هذا ما اشعر به انا ايضاً ، بشأن ذلك يا هنري » .

سنتظر ، لكنه ينتمي الى خير الخيول وعلينا ان نري كل الناس بطريقة ما ، انه كذلك ، سواء اكان سليل أصل كريم أم لم يكن ! » .

مرت الأسابيع وأليك وهنري يدربان الأدم في وعي .

انتظرا جواباً على رسالة هنري ، بلهفة . مرت الأيام وبدأ يقندان الأمل شيئاً فشيئاً . وفي ذات يوم جاء الجواب . اندفع هنري الى العنبر بالمظروف الطويل غير المفتوح ، في يده . كان أليك يحس الأدم .

وهتف في هياج ، ملوحاً بالرسالة : « أليك ، ها هوذا ! » . وفي انفعال وعنف فتحتها يده . وسقط المظروف الى الأرض .

رأى أليك عينيه تطيران على للسطور ، ثم ظهرت الحنية في وجهه . سلم الرسالة الى أليك . كانت قصيرة ، مجرد اسطر قليلة . وحتى تلك اللحظة ، لم يقرأها أليك كلها . كانت الجملة الأولى كافية : « ليس هناك من حصان مسجل بحيث يطابق الوصف الذي ارسلتموه لنا . وقد قمنا ببحث واسع ... » . أعاد أليك الرسالة الى هنري ، الذي كورها بيده ورماها على الأرض .

في الأيام التي تلت اظهر أليك خيئته بوضوح . كان ركوبه الليلي على الجواد ما يزال مثيراً كما كان ، لكنه كان مشتاقاً الى المسابقة بالأدهم إزاء خيول السباق العظيمة في ذلك الحين - خيول مثل غازي الشمس والاعصار اللذين كانا الآن يصنعان تاريخاً لميدان السباق .

كان يقرأ كل كلمة تنشرها الجرائد حولها، ويصغي الى كل سباق عظيم ينقل في الاذاعة .

كان يتصارع على مراتب الشرف العليا ، في المقدمة ، الحصانان العظيم - كما قال الخبراء - اللذان شهدتهما ساحات السباق منذ كانت : غازي الشمس والاعصار . كان غازي الشمس بطل الساحل الغربي ، والفائز بجائزة الـ « سانتا » والـ « انيتا » هنديكاب ، وأضخم وأسرع حصان في السباق ، كما قالت الأنباء من الساحل . اما الاعصار فقد كان مفخرة الشرق ، وقد ولد وتربى في كنتكي ، وفاز بسباقات الـ « دربي » والـ « بريكنس » والـ « واينر فيوتري » - لم يحارهِ حصان ليرى ما الذي يستطيع ان يفعله حقاً . قال اتباعه ، حين يأتي وقت كذلك ، فإن سرعة اعصار ستذهل عالم السباق .

وكتب معلقو الألعاب الرياضية مقالات طويلة عن الحصانين ، متنبئين بما سيحدث اذا صادف - البطلين ان التقيا . كتب المحبسون الصحفيون من الشرق يقولون : « لو جاء غازي الشمس الى الشرق ، فانه سيدفع اعصار الى رقم قياسي عالمي جديد » . بينما قال المحبسون الصحفيون من الغرب : « لو صدف لغازي الشمس ان ذهب الى الشرق ، فانه سيجعل اعصار يبدو وكأنه نسمة صيف هينة رقيقة ! » .

مر سباق بعد سباق في تاريخ الميدان . وكان غازي الشمس واعصار الاممين المترددين على شفتي كل شخص . وراح الرجال والنساء اللذين لم يشهدوا سباقاً يتجادلون حول مزايا الحصانين ، واي منهما سيكسب السباق ، اذا قدر لها ان يلتقيا . وكان هنري وأليك طوال الوقت ينظران الى الأدهم ويتسائم ابتسامة مبهمة ، لأنها يعرفان ان لديها حصاناً سيتغلب عليها معاً ! .

وفي صباح يوم سبت بعد اسابيع قليلة ، اندفع إليك الى الصبر وفي يده جريدة .
وسمعه الادم الذي كان في الطرف الأقصى من الحقل ، قخب راكضاً اليه مجتازاً
هنري . حياه أليك فيما ارعدت سنابك الجواد رهو يقف ويدس أنفه في جسمه :
« هلو يا ولد » . ثم سلم أليك الجريدة لهنري وقال : « اقرأ عمود جيم نيفيل » .

اخذ هنري الجريدة وراح يقرأ عمود مخبر الرياضة الشهير . قرأ : « لا حاجة
الى القول ان اعظم اثرة في ميدان الرياضة اليوم بسببها أمرع حصانين وضعا قدماً
في ميدان السباق ، اعصار وغازي الشمس . لقد كتبت آلاف الكلمات عن هذين
البطلين خلال العام الماضي ، وخيضت آلاف المصارك « خارج ميدان السباق »
لإثبات ايها الأحسن . والسخرية التي في كل ذلك هي ان الأرجح هو ان هذين
الحصانين لن يلتقيا ، ان المستر سي . في . فولنس ، صاحب غازي الشمس ، لن
يرسل حصانه الى الشرق هذا الصيف لأي سباق هنا ؛ كما ان المستر اي . ايل .
هرست ، صاحب اعصار ، لن يرسل حصانه الى الغرب . ويدلوي ان المستر
فولنس والمستر هرست كليهما فاشلان في واجبيها كرياضيين امريكيين حقيقيين .
لأن هناك سباقاً يطالب به الشعب كله ، وايا كانت الاسباب الشخصية لدى هذين
البلدين لعدم رغبتها في الجمع بين هذين الحصانين فإنها يجب ان تطرح جانباً ، في
سبيل صالح السباق الأميركي .

وهكذا فإني اقترح ان تعقد مسابقة بين غازي الشمس واعصار في شيكاغو في
منتصف الشهر القادم . انني سأرسل رسالتين للمالكين الاثنين اليوم . ليست هناك
مسابقات كبيرة في ذلك الوقت الذي يجري فيه السباق بين الحصانين . سيكون على
كلا الحصانين ان يسافرا المسافة نفسها الى السباق ، وهكذا فلن يكون لأي منها
امتياز او تفوق على الآخر .

وستحل ، حللاً نهائياً ، مسألة أي الحصانين أمرع ... « تطلع هنري من
للصحيفة وقال : « سيكون سباقاً عظيماً اذا تركوها يجريان » .

كان الجواد يقف ساكناً الى جانب أليك ، وأسناؤه الضخمة تقضم السكر الذي
اعطاه الغلام اياه لتوه .

بعد يومين فيما كانت أليك يسير عائداً الى البيت من المدرسة مرةً بكشك لبيع الصحف . وقفز العنوان الرئيسي لصحيفة صباحية الى عينيه : « اعصار وغازي الشمس سيتأبقان في ٢٦ حزيران ... » ذاك ما قرأه . وبلهفة اشترى جريدة وراح يقرأ عمود جيم نيفيل . لقد قبل مالكا الجوادين عرضه - وسيتم السباق .

كتب جيم نيفيل : « كان مستر فولنس ومستر هرست اكرم بما توقعتم . لقد عرضا ان يعطيا حصتها من بيع بطاقات الدخول الى مؤسسة خيرية تستحق المساعدة ! انني مدين لهما ، كليهما بالاعتذار فانهما رياضيان حقيقيات بكل معنى الكلمة » .

لم يستطع أليك ان يصل الى البيت وينتهي من الغداء بسرعة كافية لأن يسمع ماذا كان رأي هنري في ذلك . حين بلغ العنبر رأى ان هنري كانت لديه جريدة وكان يقرأها . تطلع الى أليك فيما تقدم اليه . قال : « حسناً ، لقد ذهبا وفعلناها ! » . اجاب أليك : « يا ولد ، اني لأعطي الكثير مقابل ان أرى ذلك السباق ! » .

انحرف الى طريق دخول السيارات سيارة مكشوفة فسأل هنري : « اني لأتساءل من يكون هذا ! » . غغم أليك فيما اقتربت السيارة منها : « انه جو روسو لم أره منذ ان اخذ مني ذلك الحديث في اليوم الذي وصلنا الى البيت ! » .

قفز جو خارجاً من السيارة وهتف : « هلو أليك . هلو مستر دبلي . كنت ماراً من هذا الطريق لكتابة قصة وفكرت بأن أمر وأرى كيف حالك مع جوادك الوحشي » .

غغم أليك مزهواً : « انه في خير الآن » .

قال هنري : « انه ما زال ييقينا على أطراف اصابعنا ، مع ذاك . هنالك هو الآن ، خارجاً في الحقل » .

صفر أليك وقال : « سأريك اياه عن كذب يا جو » .

ركض الجواد نحوهم . وشب على قائمتيه الخلفيتين حين رأى جو . واندفع

منحدرأ في الحقل كرة أخرى . ضحك جو قائلاً : « اظن انه قد نسيني » .
صفر أليك مرة أخرى واستدار الأدم بسرعة وعاد . قبض عليه أليك من
الزمام .

قال جو وهو يصفر اعجاباً : « يا ولد ! علمت انني لم اكن ارى جيداً تلك
الليلة . انه بالتأكيد أضخم حصان رأيته » .

قال أليك مزهواً : « واسرع جواد رأيته ، ايضاً » .
قال جو معاتباً : « أسرع من غازي الشمس واعصار » .
قال هنري : « يقهرهما كليهما » .

ضحك جو وقال : « اقول ، تبهران ايها الرجلان جديدين . فالتاس في طول
البلاد وعرضها — يتجادلون حول ايها أسرع جواد في البلاد — غازي الشمس أم
اعصار ، وانما تقولان ان حصانكما يستطيع ان يقهرهما كليهما . الأحسن الا تدعا
احداً يسمعكما تقولان ذلك ! » .

قال أليك : « انها الحقيقة ، يا جو . لقد كنا نسابق ... » وتوقف ونظر الى
هنري .

قال هنري : « لا بأس يا أليك . اظن انه لن يفيدا لو يضيرنا ان نخبر احداً
بذلك فنحن نستطيع ان نتسابق به ، على اي حال » .

نظر جو من أليك الى هنري وقال : « تقصدان ان تخبراني انكما كنتما
تسابقان به ؟ » .

اجاب أليك : « الى حد ما . لقد كنا نأخذنه الى بلونت في الليل وندربه بعض
التدريب » .

وقاطعه هنري قائلاً : « ودعني اخبرك ، يا سيدي . لم يمر اي حصان في ذلك
الميدان كما جرى هذا الحصان . لقد حسبنا له الوقت . ولم يكن ذلك مجرد
تخمين » .

قال أليك : « انت ترى اتنا نوينا وصمنا على ان ندخله في بعض السباقات الكبرى . كنت انا سأركبه - لكننا لم نستطع الحصول على سلة نسه . كتبنا الى بلاد العرب محاولين الحصول عليها لكن ذلك كان مستحيلا . اتنا لا نعرف كثيراً عنه . لا نعرف غير الميناء الذي نزل منه الى المركب . وانت لا تستطيع ان تدخل حصانا في سباق دون ان يسجل على انه اصيل النسب » .

غمغم جو : « نعم ، ذلك صحيح . وبينما يبدو الأدهم وكأنه أصيل النسب ، فإنه بالتأكيد اكثر وحشية من ان يكون قد ربي كجواد أصيل النسب ! » .

قال هنري : « أظن ان ذلك يبعدنا عن السباقات الى حد كبير ، لكننا ما تزال نعلم انه أمرع حصان في هذا الجوار ! » .

حك جورأسه وسأل : « أأننا متأكدات من انه سريع كما تقولان انه كذلك ؟ » .

اجاب هنري : « بالتأكيد ، انا متأكد . لماذا ؟ » .

— « حصنا اعرف سباقا لا يحتاج اوراقا للدخول فيه » .

ضحك هنري وقال : « سباقا في أقليم ؟ »

— « كلا - السباق بين غازي الشمس واعصار ! » .

قال هنري : « لكن ذلك مستحيل » .

فقال جو : « لا مستحيل هذه الأيام . ولكن نستطيع ان ندخله ام لا ، فلن يكون افتقاره الى الاوراق هو الذي يحول دون دخوله . اتنا تريان ان ذلك سباق خاص - انه لن يعقد في اية حفلة من حفلات السباق . فهو يشبه تماماً مسابقي اياك التي أينا أمرع ركضاً » .

انهم يستأجرون ميدان السباق ، ويحلبون الحصانين ثم يذهبون كل ما عليك ان تقعه هو ان تجعل المالكين الآخرين يدعائك تجري الأدهم في السباق ! » .

قال هنري : « نعم . ذلك كل شيء » . ومع ذلك ما ازال أقول انه مستحيل

علياً ! » .

قال أليك بلهفة : « هناك فرصة ضعيفة ، مع ذلك يا هنري » .

غمغم جو : « لقد قلتها يا غلام . وحيث هناك حياة فهناك أمل ! » .

سأل هنري : « كيف تظن اننا نستطيع ان نفعلها ، يا جو ؟ » .

— لا ادري انني اعمل في نفس الجريدة مع جيم نيفيل ، وهو الشخص الذي
بدأ ذلك كله . قد يساعدنا بطريقة ما » .

اقترح أليك : « ربما اذا أخبرته عن الأدم ... » .

اجاب جو : « ربما . انه مجنون بالخيول ، ولا يظن ان هناك حصاناً في العالم
يستطيع ان يقهر اعصار ، حتى ولا غازي الشمس . من الراجح انه سيظنني أهرف
اذا أخبرته بأنني اعرف حصاناً — يستطيع ان يقهرها كليهما » . وتوقف ثم واصل
تلكلام قائلاً : « انتما واثقان ان الأدم يستطيع ذلك ؟ » .

ابتسم هنري وقال : « نعم ، يا جو ، انا واثق . ولكن بما انني ارى انك شاك
نوعاً ما ، فلماذا لا تأتي ذات ليلة حين نجربه ؟ واجلب جسيم نيفيل معك ايضاً .
حينذاك سيكون لديه شيء يكتب عنه ! » .

اجاب جو : « نظرتك لا بأس بها ، يا هنري . سأقتل جيم بعد هذا الظهر .
حتى ستجربان الأدم كرة أخرى ؟ » .

اجاب أليك : « غداً في الليل » .

قال هنري « اذا استطعت ان تفعلها ، فانك تستطيع ان تقابلنا عند البوابة
الرئيسية في الساعة الثانية » .

قال جو فيما سار نحو سيارته : « روايتنا أشبه بالروايات البوليسية . لكني
سأكون هناك ، ولدي شعور بأن جيم سيكون هناك ايضاً ! الى اللقاء ! » .

هتف هنري وأليك : « الى اللقاء » . ورفع الجواد رأسه وحجم فيما تدهرجت
السيارة متجهة نحو البوابة .

أجواد الغامض

في الليلة التالية حين ساق أليك وهنري سيارتهما الى بوابة بلونت الرئيسية شاهدها سيارة جو واقفة هناك . وفيها رجلان . قال أليك في أمل : « ذلك الرجل الذي معه لا بد ان يكون جيم نيفيل » .

أوقف هنري السيارة ومس الزمور مسة خفيفة . نادى على جو برفق : « اقفز على سيارة الشحن - ليس امامنا الا مسافة قصيرة » .

هبط الرجل من السيارة وقفز على رفوف سيارة الشحن . ادار هنري السيارة فيما رأى جاك يفتح البوابة . فمس جو رأسه في النافذة المفتوحة قريب هنري . وغغم « فطمتها » ثم رفع اصبعاً الى شقيقه ووسوس : « ش ش » القموض . يزداد عمقاً . الى اين تذهب من هنا ؟ » .

قال هنري : « امسك جيداً . سوف ترى » .

بعد خمس دقائق جلسوا الى جانب ساحة السباق . وهبط هنري وأليك من السيارة بعد وقوفها .

كان رجل طويل عريض الكتفين يقف الى جانب جو . كانت قبعته مائلة الى

الوراء ورأى أليك خيوطاً من الشعر الأبيض تتخلل شعره الأسود. بدا جيم نيفيل، بطريقة ما . كما تخيله أليك . قدمها جو احدهما الى الآخر .

بعد التقديم ، قال جيم : « بصراحة ... لم يخرجني هنا هذه الليلة سوى رجل الصحافة في نفسي ، لأنه على شدة ما لي من ثقة بصديقي جو هذا ، لا استطيع ان أتخيل حصاناً - في الوقت الحاضر ، على كل حال - يستطيع ان ينافس اعصاراً وغازي الشمس في السباق ! » .

ابتسم هنري وقال : « بالتأكيد . واني كنت اقول نفس الشيء لو لم ار الأدم يجري ! » .

نظر جيم نيفيل الى هنري متسائلاً وقال : « ألسنت ، انت نفس هنري ديبل الذي كان يركب تشانغ الى النصر في تلك السباقات كلها التي كانت تقام قبل عشرين عاماً ؟ » .

قال أليك مزهواً : « انه هو بعينه » .

فمسح جيم نيفيل قبعته على جبهته . واستطاع أليك أن يرى مرة أخرى انه كان مخبراً صحفياً - يتشمم سبيله الى قصة . قال جيم في جد : « وانت تعتقد ان لديك حصاناً يستطيع ان يقهر غازي الشمس أو - اعصار ؟ » .

اجاب هنري : « نعم . انه حصان أليك . انني أساعده في تدريبيه وحسب » .
تكلم جو روسو قائلاً : « لماذا لا تتره الأدم يا هنري ، وحينذاك سنتركه يستنتج ما يريد ؟ » .

قال أليك وهو يسير نحو مؤخرة سيارة الشحن : « فكرة طيبة » .

قاد الأدم من السيارة الى الرصيف . وسمع جيم يغمغم : « الله ، انه حصان عملاق ! » هز الجواد رأسه . كان مليئاً بالحياة الليلة ، لأنه يعلم جيداً انه سيجري . استدار برأسه الصغير الجميل جالاً وحشياً ، نحو مجموعة الرجال التي هي دونه . وجّع جسمه ، وبذل مجهوداً طفيفاً ليقفز فصده أليك ، ثم وقف مرتجماً بينما راح الغلام يحادثه ملاطفاً ويربته .

جاء جاك فقدمه هنري الى جو وجيم .
وسار جيم بعناية حول الجواد . ولكن أليك حذره قائلاً : « اتبه . فقد يرفسك
إذا اقتربت منه كثيراً أنه لا يعرفك » .

قال جيم : « لا تقلق . لن اقترب كثيراً من هذا الحصان . بدأت أرى ما
الذي تعنون ، إذا كان يستطيع ان يركض جيداً كما يبدو منه » .

اختفى هنري داخل سيارة الشحن وخرج يقود نابليون . رمى جيم رأسه الى
الوراء وزعق : « هاي ... ما الذي لديكم هنا — بطل آخر ؟ »

غغم هنري : « هذا نابليون » .

فوضح أليك الأمر قائلاً : « ان له نوعاً من الأثر المهدىء على الأدم ، ولهذا
نجلبه معنا دائماً » .

راح جيم نيفيل يراقب ، فيما مدت نابليون أنفه الى انف الجواد . قال : لعلها
ليست فكرة رديئة ، على كل حال » .

بعد دقائق قليلة رفعوا أليك الى السرج . خبط الأدم الأرض بجوافره .
واقترب جيم نيفيل كثيراً واختطفته اسنان الأدم فيما حاول ان يصل اليه . مسجه
هنري الى الوراء . كان واضحاً انه لم يعتد على رؤية هذا العدد الكبير من الناس
حوله في وقت واحد . طوح برأسه الى الأعلى والأسفل ، وعرفه الثقل يتساقط
على جبهته . على حين غرة رفع قائمته الخلفيتين ، منتزعاً اللجام من قبضة هنري .
وراح يضرب الهواء برجليه ، فأصاب هنري في ذراعه .

جذب أليك الأتعة بقوة وحرفه الى جانب . قال : « أدم ! ابط ! » تراجع
الرجال بسرعة الى مسافة امينة . كان جاك يشمر عن ساعد هنري ، الذي كان
كم قبضة مبتلا بالدم .

سأل أليك : « هل أصابك بسوء ، يا هنري ؟ »

كان جاك وهنري يتفحصان الجرح . اجاب جاك : « لم يكسر شيئاً . مجرد

جرح غير خطير . سنذهب الى البيت ونضمده !
قال هنري : « كلا ، لن نذهب . لقد جئت هنا لأشاهد هذا التدريب وسوف أراه . سأغنى بهذا فيما بعد - لا بد أن تصاب بأكثر من جرح في هذا العمل » .
هتف جيم نيفيل من جانب الأدم الآخر : انه شيطان ولا ريب !
أجاب هنري : « لقد هيجناه . هذا كل ما هناك . لأول مرة يفعل ذلك معي » .

مرة أخرى شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين فجعله أليك يهبط . هتف جاك :
« أخرجته من ساحة السباق ، يا ولد »

قفز الأدم في عصبية ، عندما ساروا به خلال البوابة . ومرة أخرى أحس أليك بحمسه يحترق بفعل الهياج . ربت العرف على عنق الجواد . قال : « انتهينا يا ولد » . تلفت أليك الى المجموعة الصغيرة من الرجال وراه .

كانوا جميعاً ، مستندين الى السياج ، يراقبون بلهفة . حل الهواء صوت جو روسو اليه وهو يقول : « ان ذلك الغلام غير خارج في نزهة »

قبض أليك على الأعنة بأشد مما كان يقبض واتكأ عليها حتى لامس رأسه رأس الجواد . كان يعلم جيداً الخطر الذي يتعرض اليه كلما ركب الأدم ، خاصة حين يطلق له العنان في ساحة السباق . ان الجواد لن يؤذيه وهو عالم ، لكنه اذا انطلق على هواه ذات مرة ، لم يعد الأدم الذي يعرفه أليك - بل انه يعود مرة أخرى ، جواداً وحشياً لم يذلل تماماً ، ولن يذلل .

على حين غرة ، اندفع الأدم ، وازدادت سرعته بصورة مذهشة ، فبإراحتة أرجله الجيابة تكسح الأرض . وسمع أليك زفيراً مقعقماً في أذنيه ، من ضربات الجوافر السريعة . أصبحت مرعة الجواد أعظم فأعظم . وأصبح جسد أليك خادراً ، وجعلت السرعة المربعة من الصعب عليه ان يتنفس . ومرة أخرى أصبح الطريق مطموساً لا يبين مجلاء ، ولم يكن ليعي غير السياج الأبيض ينزلق دوث انتهاء . قبضت أصابعه على عرف الجواد وانخفض رأسه وظل الى جانب عنق

الجواد . كانت الفكرة الوحيدة التي تجول في رأسه هو ان يبقى على ظهر الأدهم وان يبقى محتفظاً بوعيه . أصبح نفسه شقات قصيرة ، وتلاشى السياج الأبيض من بصره . وفي يأس حاول ان يفتح عينيه ، لكن أجفانه بدت وكأنها مشدودة الى الأسفل بأثقال - وبدأت أجراس ما ، تقرع في أذنيه . اشتد قبض أصابع أليك على عرف الأدهم لقد فقد كل احساس بالوقت - حينذاك بدأ العالم ينقلب عاليه سافله .

بدا ، بعد ساعات ، انه احس بذراعين تلتفان حول خصره . وكأف الشيء التالي الذي عرفه انه وجد نفسه مطروحاً على ظهره بجانب سيارة الشحن . تطلع الى الرجال المجتمعين حوله . كان هنري يركع بجانبه ، ومندله الأبيض ملطخ ببقع داكنة كبيرة متفتحة حول ذراعه . وقعت عينا أليك على يديه هو ذاته .

كانت شعرات سود طويلة مقبوضاً عليها بين قبضتيه المضمومتين . فتحما ونظر الى كتل الشعر الاسود . وفي تساؤل تطلع الى هنري . وابتدأ الكلام قائلاً « كيف ... ؟ »

« لا بأس ، يا غلام . كنت متشبثاً . اتشعر بأنك على ما يرام ؟ »

اجاب أليك : « دائع قليلا . اين الأدهم ؟ »

« انه في خير - وضعناه في سيارة الشحن مع نابليون ؟ »

سأل أليك : « هل وقعت منه ، يا هنري ؟ »

بلغ صوت جاك ذو التبرات العالية اذني أليك . سأل : « وقعت ؟ يا ولد ، لو ان ذلك الحصان ظل يجري ، لكنت ما تزال عليه . كان الأمر محتاجاً الى سكين لاقتلاعك من ظهره حين وقف ، وكان هنري آنذاك الوحيد بيننا الذي استطاع الاقتراب منه . »

قال أليك : « انت تعلم يا هنري اننا لم نر ذلك الحصان يركض بأقصى سرعته ، حتى الآن . لم اكن لأستطيع ان اتنفس آنذاك . »

اجاب هنري : « لا بد من الشجاعة ، لركوبه يا غلام . انني فضور بك للغاية ، لكن دعنا نحاول انهاضك على قدميك . انه خير لك لو استطعت ان تسير . »

ترنح أليك قليلاً فبما رفعه هنري وجاكَ الى اعلى ، لكن الأرض وقفت عن الدوران بالتدريج وصفاً ذهنه . وتنشق هواء الليل عميقاً .

جاء جيم نيفيل وقال : « يا ولد . لقد رأيت كثيراً من الركوب في زمانى ، لكنني لم ار ركوباً مساوياً لذلك » . ثم التفت جيم الى هنري وقال : « لقد كنت على صواب يا مستر ديلى — انه اسرع جواد رأيناه في حياتنا . اكاد لا اصدق ما رأيته بعيني ، لكن — » وعرض جيم وجهه ساعة لضبط الوقت امام هنري مواصل الكلام قائلاً : « لكن لا استطيع ان انكر هذه ! » ثم التفت في فظاظة الى جوروسو وقال : « والآن يا جو ، ان اماننا كلنا غاية نسعى اليها ، فدعنا نذهب » .

— « حسنًا يا جيم » .

قال هنري يحضه : « تعال هنا مرة اخرى — في اى وقت تشاء وسندعك ترى أجمل حيوان ذي اربع يجرى حتى دون تحويل بالجري » .

لومضت عينا جيم نيفيل وقال : « كثير من الناس سيرون ذلك الحصان وهو يجري ، ان كان لدي ما اقله عنه ! » .

أحس أليك بالأرض تتور به ومن حوله ، كرة اخرى . قال « قل الحق يا جيم . اتظن اننا نستطيع ؟ » .

اجاب جيم : « لا اعد بشيء » ، يا غلام . لكنني سأبدأ شيئاً ما وإلا افقدت حسي . انظر الى العمود الذي اكته ، غداً . والآن علينا ان نذهب . تعال يا جو » .

قال جاك : « سأذهب معكما واقتح لكما البوابة » .

يبدو ان ذهبوا ، وضع هنري ذراعه في ذراع أليك وساراجيته وذهبا حتى

عاد الدم يدور خلال رجلي الغلام كرة اخرى ، فقال : « اشعر انني بخير الآن »
يا هنري .

صعدا الى سيارة الشحن . نظر إليك وراءه من النافذة الصغيرة ، فرأى الجواد
يحذف في قلق اليه ، قال : « نعم يا سيدي . لقد كان ركوبا بحق ا » .

قال هنري : « حسنا يا إليك . آمل انه مهما سيفعل جيم نيفيل ، فسيدخل في
ذلك السباق » .

— « لست اكثر املا مني ا » .

كان اليوم التالي يوم سبت . أُنذِفَ إليك الى العنبر مباشرة بعد الفطور . كان هنري
يقرأ عمود جيم نيفيل . بالضبط !! كان جالسا في الخارج يقرأ فيها جاء إليك اليه .
سأل الغلام بلهفة : « ماذا يقول ؟ » .

وغمق هنري فيما ناوله الجريدة : « اقرأه بنفسك » .

انسابت عننا إليك على العنوان — من هو الحصان الغامض الذي يستطيع ان
يقهر اعصار وغازي الشمس كليهما ؟ وكتب جيم نيفيل بعد ذلك « نعم ، انا اعرف .
انا الرجل الذي قال ان لم يكن ثمة حصان في العالم يستطيع ان يقهر تلك الحزمة
اخفيفة من الديناميت اعصار حتى ولا غازي الشمس . نعم انا الرجل الذي كتب
الى السيدين فولنس وهرست ، مالكي ذينك الجوادين الاصيلين ، مقترحا المباراة
التي ستجري بين حصانيتها في السادس والعشرين من حزيران — بعد اسبوعين ، لا
اكتر .

كان هذا السباق في رأيي وفي رأي الجمهور الأميركي جميعا كما اتصور —
سيقرر شيئا واحداً : ان ترى من هو أسرع حصان في البلاد ! ان اعصار وغازي
الشمس كليهما قد قهرا كل ما لاقياه في حلبة السباق ، ولم يكن الا طبعيا ، اذن ،
ان يلتقيا ليحلا هذه المسألة ، في السيادة في حلبة السباق .

لكن هذا السباق ، الآن — في رأيي — لن يثبت من هو أسرع حصان على

اربع ارجل ، لأنني رأيت حصاناً يستطيع ان يقهرها كلها . هذا شيء علي ان
انفضه من صدري ، لأنكم يا هواة السباق ستتوجون الفائز بسباق شيكاغو كأسرع
حصان في العالم - وليس ذلك صحيحاً ، ما زال هناك حصان آخر - حصان عظيم
يستطيع ان يقهر ايا منها .

« انه لمن العدل ان اخبركم ان هذا الحصان لم يسبق له ان تسابق في حلبة ولعله
لن يتسابق في حلبة - لأنه يقتصر الى اوراق التسجيل الضرورية . والآن اجد انني قد
أشرفت على نهاية عمودي ، ولهذا فسوف اختتمه بهذا التذكير : بينا انتم اياها الناس
تصفقون للفائز في السباق الآتي بين اعصار وغازي الشمس باعتباره بطل اليوم ،
فانني اعرف حصاناً - حصاناً غامضاً هو هنا في نيويورك ، من الراجح انه يستطيع
ان يجعلها كلها ياكلان غباره ١ » .

قال أليك : « أقول ، تلك بداية لأمر خطير » .

- « لقد قلتها يا بني . سيجعل كل فرد يهاجه قبل ان ينتهي هذا النهار ١ » .

قال أليك : « ومع ذلك لم يصرح ويقترح اشراك الأدهم في سباق المباراة ، يا
هنري ١ » .

- « كلا - لكنه ترك الباب مفتوحاً وتستطيع ان تراهن بأث شخصاً ما
سيقترح ذلك » .

- « آمل ان ينجح ذلك . انني افكر وحسب : الأدهم ضد اعصار وغازي
الشمس . يا ولد ! يا له من سباق ١ » .

- وافقه هنري قائلاً : « لقد قلتها ١ » . ثم توقف دقيقة وعاد الى الكلام
قائلاً : « أقول ، يا أليك ، لو اننا نجحنا في ادخال الأدهم الى السباق - كيف
تصور أهلك يتلقون ذلك ؟ أعني ركوبك اياه ؟ » .

التفت عينا أليك بعيني هنري وقال : « ان عليهم ان يدعوني اركب -
سيفهمون ، انا واثق ، خاصة بعد ان نجبرهم كيف كنت اركب الأدهم في يلمونت -
شيء مضحك ، يا هنري - قررت امي البارحة ان تسافر الى شيكاغو في منتصف

الاسبوع القادم لتزور خالتي لمدة اسبوعين . ستكون هناك في نفس الوقت الذي يجري فيه سباق المباراة ١ » .

قال هنري : « آه ! عظيم !! » .

— « امي ليست مولعة بالسباق ، الأرجح انها لن تذهب حتى لرؤية السباق : انت تعلم ، يا هنري ، ما دمنا لا نعرف ما اذا كان الأدم سيشارك في السباق ، فلن اذكره حتى مجرد ذكر لأمي . اذا اشترك الأدم — فسأتحدث في الأمر كله مع أبي ، وسيفهم » .

اجاب هنري : « انشاء الله »

حينلقى أليك نظرة على صفح المساء تلك الليلة ، رأى ان هنري كان على صواب ، في قوله عن وثوب كل شخص على عتق جيم نيفيل . كانت صفحات السباق مليئة بالمقالات التي كانت تسخر بفكرة جيم « الجنونية » وتهزأ منها ومن فكرته بأن هناك حصاناً في امريكا ، نعم وفي نيويورك ، يستطيع ان يقهر البطلين كليها !

ولأن عمود جيم نيفيل قد نقل في الصحف من الساحل الشرقي الى الساحل الغربي ، ولانه خير من ابرز الخبراء في الرياضة في البلاد ، اثارت مقالاته عن الحصان الغامض مزيداً من الفضول مع كل يوم يمر . وبالرغم من النقد الذي كان يلقاه ، لم يكن جيم ليترك الجمهور ينسى حصانه الغامض . كان في كل يوم وفي عموده ، ينقل صورة فوتوغرافية له . وفي كل ليلة كان يذكره كرة اخرى ، في برنامج الرياضة الذي يقدمه في الراديو .

كتب احد كتاب الرياضة يقول : « لم يكن بوسع احد غير شخص كجيم نيفيل ان يخلق مثل هذه الضجة التي يثيرها الآن حول مواهب جواد غامض يدعي جيم نيفيل انه قادر على قهر غازي الشمس واعصار كليها ! »

مر اسبوع ، واستمرت كرة الثلج التي بدأ جيم يدحرجها تزداد مرعة وحجماً . « اراد جمهور المتسابقين ان يعرف : « من هو الحصان الغامض ؟ »

كان جواب جيم الوحيد انه كان قد وعد بأن يبقى اسمه مكتوماً ، لكنه يستطيع الحصول على الجواد خلال برهة قصيرة .

استدعى هنري وأليك على التليفون . اخبرها قائلاً : « لا تجروه في بيلوننت بعد الآن . لقد اتسمت المسألة بأكثر مما املت ان تتسع . سيدخل الأدم في ذلك السباق بعد ! »

مر اسبوع آخر . غادرت ام أليك بيتها لتزور اختها في شيكاغو . كان سباق المباراة سيجري بعد اسبوع واحد وحسب .

احس أليك بقليل من الحية فيما اخذ طريقه نحو العنبر في ساعة باكرة ذات صباح ليدرب الأدم قليلاً قبل ان يذهب الى المدرسة . كان الوقت يضيق — لو ان لديهم اسبوعين آخرين وحسب . التقى بتوني خارجاً من العنبر بنابليون .

قال : « هلو ، ايها الشاب . آه ، هذه هي الحياة » دق ذراعيه القصيرتين النحيقتين على صدره وتشق هواء الصباح الباكر .

قال أليك : « أي والله ، يا توني . »

اردف توني نابليون بعربته وبدأ يلجمه ويشده اليها . قال : « ما القضية ، ايها الشاب . انك تبدو وكأنك هابط في بئر من الكآبة . »

اجاب أليك : « انني على ما يرام يا توني . اظن انني كنت افكر وحسب » . فقال توني في تعقل ، فيما صعد الى مقعده : « ان كثيراً من التفكير لا ينفع » .

— « اظنك على صواب ، يا توني ، اراك فيما بعد » .

جاءه الجواب : « الى اللقاء » .

قاد أليك الأدم خارج حظيرته ومسح جسمه بقطعة قماش خفيف . ثم شدّ جبل الرصاص الطويل على زمامه وقاده الى الخارج في ضوء شمس الصباح الباكر . راح الجواد يركض حول الغلام . قارعاً كمويه عالياً في الهواء . ثم اقترب وحاول في معابثة ان يعضض أليك . سأل أليك : « تشعر بأنك جيد جداً هذا الصباح . أليس كذلك ؟ »

بعد بضع دقائق رمى السرج عليه وركبه الى الحقل . كان بشكل ما يشعر على الدوام بشعور مختلف حين يكون على ظهر الادمم . كان كأنه في عالم خاص به . كان ينسى مشاكله والمدينة من حوله — كما لو انه يطير في السحاب .

بعد نصف ساعة انزلت من ظهر الجواد وقاده عائداً به الى العنبر . وكان قد اتهر لتوه من اطعامه حين دخل هنري . قال أليك : « لقد فات وقت المدرسة او كاد . اترى بأساً في ان أمسحه بقطعة القماش ؟ » وتوقف فيما رأى تكشيرة عريضة على وجه هنري .

قال هنري : « بالتأكيد . ولكن اقرأ هذا قبل ان تذهب ، يا غلام ! » وناول أليك جريدة . فتحها أليك بسرعة على عمود جيم — بدأ قلبه وكأنه وقف حين قرأ العنوان : « الجواد الغامض سيجري في سباق المباراة بشيكاغو » امتلأت نفسه غروراً ولم يستطع ان يرى لمدة دقيقة — ثم اتضحت امام عينيه كرة اخرى .

كتب جيم نيفيل : « بالأمس استلمت رسالة من امتع ما سبق ان كان لي شرف استلامها كانت من المستر في . ايل . هرست صاحب إعصار . كانت رسالته قصيرة واضحة الهدف . لقد اقترح فيها انه ما دام سباق المباراة الذي سيقام في شيكاغو في الأسبوع المقبل ، انما سيقام لغرض المسابقة الخالصة ، وجميع ارباحه ستذهب الى الجمعيات الخيرية ، فلم ير من سبب يحول دون ان يجري الادمم ضد جواده ضد غازي الشمس ، وقال المستر هرست انه يعتقد مخلصاً بأن اعصار لم يدفع قط الى الركض بالسرعة التي يستطيعها . واذا كان مالك الجواد الغامض يعتقد بأن حصانه يستطيع ان يقهر اعصار ، فلن يعارض في ان يحاول ما دام المستر سي . تي . فولنس مالك غازي الشمس راضياً ايضاً .

« وحالما استلمت رسالة المستر هرست ، تلغنت الى المستر فولنس في لوس انجيلوس وقرأتها له . سألته اذا كان يشعر بالشيء ذاته ، فقال : « نعم بالضبط » . وذهب الى اكثر من ذلك . الى حد قوله انه ما دامت البلاد تتحدث بهذه الكثرة عن الجواد الغامض ، فان ذلك سيوفر عليها الاشتراك في سباق منافسة آخر في

الشهر القادم . قال : « من الخير صيد عصفورين بجحر واحد . اعصار وحماسة نيفيل » .

قال أليك فيما انتهى من المقال : « حماسة نيفيل ، يا مستر فولنس انتظر وحسب ، وستراه وهو يحري ! »

تطلع أليك من الجريدة الى هنري . وفي بضع انتشارت ابتسامة في وجهه ، وبدلا من ان يشعر بالثبوت من الهياج كما كان يتوقع ، احس بالبرودة وضبط الأعصاب .

قال : « لقد اشترك ، يا هنري . لقد اشترك ! » . نظر الرجل والقلام احدهما الى الآخر ، ثم استدارا وسارا نحو الجواد الذي كان قد مد رأسه من باب الحظيرة لينظر اليهما في فضول .

التحضير

لم يعرف أليك كيف انتهى بقية ذلك النهار في المدرسة . كل ما كان يستطيع ان يفكر به هو انه بعد اسبوع من اليوم سيابق بالأدهم اعصار وغازي الشمس ! وبطريقة ما ، ما زال لا يستطيع ان يصدق ، بأن هذا يحدث له هو - أليك رامسي . في تلك الليلة ، بعد العشاء ، سار الى غرفة الجلوس حيث كان والده يقرأ . جلس في كرسي وراح يقلب صفحات مجلة في عصبية . تطلع اليه والده من جريدته وقال :

« استلمت رسالة من امك اليوم يا أليك ، انها تتمتع بوقتها في شيكاغو وترى خالتك كرة اخرى . تقول انه اذا كان كل شيء على ما يرام هنا فستبقى ثلاثة اسابيع ؟ ايلانك هذا ؟ »

ابتسم اليك وقال : « بالتأكيد يا بابا . أنت طباح ماهر ! » .
ضحك ابوه وقال : « ستبدأ الامتحانات في المدرسة قريباً ، اليس كذلك ، يا بني ؟ »

— « الأحد » .

لوقد ابوه غليونه ثم التقط الجريدة كرة اخرى . اتجه الى قسم الالصاب الرياضية وسأل : « مستعد لها ؟ »

— « اظن ذلك » .

اصبحت الغرفة ساكنة . قلب أليك مزيداً من صفحات مجلته ، ثم تطلع الى أبيه الذي كان وجهه خفياً وراء الجريدة المنشورة . كان الدخان الكثيف يتلوى صاعداً نحو السقف .

تتحنن أليك ثم كان على وشك ان يتكلم حين حطم صوت ابيه الصمت !
« كل ما يستطيع المرء ان يقرأه في قسم الألعاب الرياضية هذه الأيام أخبار سباق الخيل الذي سيقام في شيكاغو يوم الجمعة القادمة . ترى ما هو هذا الجواد الفامض الذي ادخله جيم نيفيل الى السباق ؟ »

ازدادت سرعة نبض أليك وقال : « ابي »

— « نعم ، يا بني ؟ »

— « ابي ، ذلك هو ما اردت ان اتحدث اليك عنه . انت ترى .. »

كرة اخرى ، ترك ابيه الجريدة تسقط في حضنه وتطلع اليه .

لم يستطيع أليك ان يمنع صوته من الارتجاف حين قال متلعثماً : « الجواد الفامض — الجواد الفامض هو الادهم » .

تطلع الأب الى ابنه في دهشة . كانت الغرفة ساكنة . وسأله ابيه : « تعني ، يا أليك ، ان الادهم هو الحصان الذي يتحدث كل الناس عنه — انه هو الحصان الفامض ؟ »

قال أليك : « ذلك صحيح يا ابي » . ونهض من كرسيه وذهب الى النافذة . سحب الستارة الى جانب ثم تركها تسقط كرة اخرى .

سأل المستر رامسي : « لكن من الذي سيركبه في سباق مثل ذلك ؟ »
حاول أليك ان يلع ريقه ، لكن لم يكن ثمة ما يعلمه واجاب بهدوء : « انا ! »

قرع جرس الباب . قال أليك في ارتياح « سأذهب انا وارى ، يا ابي » . كان

يعرف ان الطارق هنري جاء مجيئاً لشارته من النافذة .

دخل هنري وخلق قبعته البنية العتيقة . حدج أليك بنظرة عارفة . وقال كما لو كان يقرر حقيقة واقعة : « مساء الخير ، يا مستر رامسي » .

اجاب والد أليك : « هلو ، هنري . مسرور بأنك هنا . لا بد ان لك ايضاً يداً في هذا الأمر . والآن اخبرني اي شيطان يسير بينكما وبين الادم ؟ كنت احس بأن شيئاً ما كان يحدث لكنني لم احلم بشيء مدهش كهذا ! »

قال هنري : « انها قصة طويلة للغاية » . ثم راح ، طوال نصف الساعة التالية ، يحدثه عن تدريب الادم وركوب أليك في منتصف كل ليلة له في بيلمونت . راقب أليك والده فيما كان يصغي في انتباه الى هنري : كيف سيتقبل الأمر - كان يجب الخيول نفسه ، لكن هل سيدهه يركب ؟ كان شيئاً حسناً ان امه لم تكن هنا ! حين انتهى هنري ، التفت ابوه اليه وقال : « اتركنا وحدنا بضع دقائق ، يا أليك ، من فضلك ! »

لوماً أليك برأسه وصعد الدرج الى غرفته . تطلع هنري الى المستر رامسي وقال : « عليك ان تدعه يركب في ذلك السباق ، ان قلبه وروحه متدبجان فيه : ليس أليك نفس الغلام الذي ارسلته الى الهند في الصيف الماضي . انت تعرف ذلك كما اعرفه انا . لكن رجل احسن مما كان بحيث يصلح لها ! »

— « ولكن ، يا هنري ، انه سباق خطر عليه ان يشترك فيه — على ذلك الحصان الوحشي ! »

— « ليس اكثر خطراً مما واجه عدة مرات منذ ان غرقت الباخرة في المحيط . لقد اصبحت اعرف غلامك جيداً خلال الأشهر القليلة الماضية ، واستطيع ان اقول صادقاً انه يختلف عن اي واحد منا . لقد وجد شيئاً لن نجده ، لأننا لن نرب بالتجربة التي كان عليه ان يربها » . توقف هنري لحظات قليلة ثم استمر قائلاً :

« وفضلاً عن ذلك ، سأكون فضولاً للغاية ان يكون لي غلام يستطيع ان

مركب ذلك الجواد الأدهم - وهو شيء لا يستطيع غيره في العالم ان يفعله
كما انا واثق ا

نهض المستر رامسي وسار عبر الغرفة . ولم يقل شيئاً مدى لحظات قليلة . ثم
حار كرة اخرى نحو الدرج وقال : « حسنا ، يا هنري . سأخبر أليك بأنه
يستطيع ان يركب ا »

✱ ✱ ✱

تلفن جيم نيفيل الى هنري صباح اليوم التالي ليخبره بأن كل شيء قد رتب
للأدهم . وستدفع نفقات شحن الخيول الثلاثة الى شيكاغو من ارباح السباق ، شأن
حقبة النفقات الأخرى من ميدان السباق واليه . كان اعصار وغازي الشمس
سيفادران مكانهما يوم الاثنين او الثلاثاء ، فيستطيعان بذلك ان يحصلوا على يومين
من التدريب قبل السباق .

لم يستطيع هنري ان يخبره متى سيكون الأدهم مهياً للسفر ، فعليه أن يسأل
أليك أولاً عن ذلك .

قال جيم : « مهما فعلت فلا تجره في يلمون بعد الآن انني احاول ان ابقي
هوية الحصان الغامض سرّاً ، لأنها اذا ما انكشفت فسيحتاجكم طوفان من المحررين
الصحفيين وسيجعل ذلك الأيام الأخيرة القليلة اياماً محمومة اكثر مما هي . ستكون
للأدهم اثارة كافية حتى والأمور على ما هي عليه الآن ا » توقف جيم ثم واصل
الكلام سائلاً : « أأنت واثق من انه في حال جيدة يا هنري ؟ »

يا ولد ، لقد اولعت به ودهشت . انني لأتساءل عما اذا كنت في حلم مما حدث
خلك الليلة - ذلك سبب تطلعي الدائم الى ساعة التوقيع في جراز منضدتي ،
ذلك هو الشيء الوحيد الذي يحدد ثقتي . »

ضحك هنري وقال : « بالتأكيد ، انه في احسن حال . »

بعد بضع دقائق من مفارقة جيم دخل أليك الى العنبر .

قال هنري : « لقد مر جيم قبل هنية ، كل شيء جاهز لشحن الأدمع واعداده اصطلبل له هناك - لن تكون هناك اية نققات مطلقاً ! » نظر هنري الى الجواد في الحفل وقال : « حتي نستطيع ان نغادر يا أليك ؟ ان اعصار وغازي الشمس سيغادران غداً على أبعد تقدير . ذلك يعني انها سيكون لديها ايام قليلة للاعتياد على ميدان السباق » .

اجاب أليك : « لقد تحدثت في الامر مع ابي كرة اخرى . انه يسمح لي بالركوب ، على شرط واحد ان ابقى حتى انهي امتحاناتي » .

— « كم سيأخذ ذلك ؟ »

— « سأبدأها غداً واجتاز آخرها صباح الخميس » .

قال هنري : « هاي . والسباق يوم السبت » .

— « نعم ، لكن ابي خابر المحطة فوجد ان هناك قطاراً يغادر بعد ظهر يوم الخميس ويصل الى شيكاغو في الصباح الباكر من يوم الجمعة . انه الشيء المناسب الوحيد الذي نستطيع عمله ، يا هنري ، وهو تمتليء النفس فخرأ بالامر كله »

— « انت على صواب ، يا بني . وليس ذلك بالامر السيء - سنصل هناك قبل الميعاد بيوم . لعل من الاحسن اننا لا نصل الى هناك مبكرين للغاية ، لان الادمع هو الذي سنسابق به » .

✱ ✱ ✱

التي أليك قلعه من يده . ها هو امتحانه الاخير قد انتهى ! نشف ورقته بعناية وتطلع الى الساعة كان الوقت ظهراً تقريباً . عليه ان يسرع اذا كانا سينهبا في قطار الساعة الثالثة . سلم ورقته الى المعلم وسار خارجاً من الغرفة .

وفي القاعة التقى بهوف وبيل . سأله بيل : « كيف كانت ؟ »

اجاب أليك ، وهو ينطلق ذاهباً : « لا بأس »

وجاريه في مشيه ، وسأله هوف : « قيم السرعة ؟ »

اجاب أليك : « علي الذهاب الى البيت — عمل ما اقوم به » . سيكون ثمة كثير من العمل قبل ان يضموا الادمم في القطار .

سأل هويف : « كيف حالك مع الادمم ؟ »

— « حسن . لماذا لم يعد يراكما احد بعد ؟ »

اجاب هويف : ارجوك ، لا أريد مزيداً من رؤية ذلك الحصان — انه يبدو خطراً للغاية ! »

ووافقه بيل قائلاً : « وانا كذلك . وبمناسبة الحديث عن الخيول ، أستصني الى السباق الكبير بعد غد ؟ » هز أليك كتفيه .

قال بيل : « سيكون عظيماً ولا ريب . ترى من هو الجواد الفاسم الذي سيرجي ؟ من سيكون ؟ » قال هويف متضحكاً : « لعله لقام ما . سيكون اعصار هو الفائز » .

قال بيل : « لن يفوز وغازي الشمس في السباق ؟ من تظن انه سيرجيا أليك ؟ » ابتسم أليك وقال : « حسن ان الجواد الوحيد الذي تركناه لي هو الحصان الفاسم ولهذا اظن انني سأختاره » .

قال بيل ضاحكاً : « انت خاسر » .

غمغم أليك : « وقال وهو يخرج من الباب : « الى اللقاء ايها الرجلان » . — « الى اللقاء » .

حين وصل الى البيت ، وجد اباه ينتظره . ولم يتحدثا عن السباق بينما كانا يأكلان الغداء . ثم ذهبوا الى العنبر . لم يكن أليك عصياً كان ، عوضاً عن ذلك ، هادئاً ومتلهفاً لان يباري بسرعة الادمم اعصار وغازي الشمس .

وامام العنبر رأى أليك هنري وجيم نيفيل . كان كلاهما ذاهبا الى شيكاغو مع الادمم وأليك . ثم كان هناك جو روسو وشخص آخر يحمل آلة تصوير . والى جانبيه وقفت سيارة كبيرة لتقل الخيول . حيا أليك وابوه الجماعة القليلة .

سأل هنري : « أكل شيء مبيء ، يا أليك ؟ »

اجاب جيم نيفيل معابثاً : « اتصور انك قطعت ذلك الامتحان بخطواتك اليوم » .

اجاب أليك : « ارجو ذلك » لكن افكاره كانت تسبق الحوادث . لوماً برأسه نحو عربة النقل وقال : « اظن اننا ذاهبون الى القطار في نظام ، هيه ، يا هنري ؟ »

قال هنري : « اصبت . نحن ذاهبون الى شيكاغو في نظام ايضاً . اخبرني جيم ان لنا سيارتنا الخاصة التي تنتظرنا في المحطة ! »

غمغم أليك : « كلا ! »

— « نعم . اليس الامر كذلك ، يا جيم ؟ »

اجاب جيم : « بالتأكيد . لقد ذهب اعصار وغازي الشمس الى شيكاغو في سيارتين خاصتين . وليس من سبب يمنع ذهاب الادهم كذلك . بالإضافة الى ذلك ، هنا الكثيرون من الناس وقد اتوا من كل مكان ليروا هذه الحيلولة الثلاثة ، لهذا يجب ان تبدو على احسن ما يكون » .

قال أليك : « عظيم »

قال هنري : « انظر ما اعطانا جيم » . ومد يديه بدثار ثقيل اسود بما يستعمل للخيول له حاشية عريضة حوله وفي وسطه كتب بحروف بيض « الادهم » .

قال أليك : « ذلك عظيم منك يا جيم » .

ابتسم جيم وقال : « لا استطيع تركهما يتفوقان على الادهم بأي شيء » .

حمحم الجواد حين دخل أليك العنبر . أخذ أليك قطعة قماش ناعم ومسح بها جسده الضخم قال : « حسناً ، يا ولد . سنذهب الى السباق » . رمى هنري إليه دثاراً قلقة أليك حول الجواد . قال مزهواً : « هاك . سيحملك هذا دافئاً ناعماً » .

قال هنري : « انه ، يحمله بينو للعين كجواد حقيقي » .

ربت هنري عنق الجواد وقال : « انه جواد حقيقي » .
ثم قاده خارج المنبر . شب الادم على قائمتيه الخلفيتين حين رأى الحشد الصغير .
ثم رفع رجله عالياً وراح يسير في حذر في دائرة .

سأل جو روسو : « لنتلق بعض الصور له تنشر في الجريدة مارأيك يا أليك ؟ »
اجاب أليك : « بالتأكيد . تعال ، يا هنري ، ستكون انت في الصورة ايضاً » .
مرت عشر دقائق بينا راح المصور الفوتوغرافي يلتقط صوراً . حتى والد أليك
ظهر في تلك الصور .

ابتسم أليك وقال : « آمل ان تكون قادراً على استعمال هذه الصور بعد
يوم السبت » .

شب الادم على قائمتيه الخلفيتين كرة اخرى فيما بدا الغلام يقوده سهل سهلاً
عالياً واستدار رأسه نحو العنبر ، سأل أليك : « ما القصة يا رجل ؟ »

قال هنري : « انا اعرف . ففي كل مرة وضعناه فيها في سيارة الشحن ، كان
نابليون معه ، والآن ، لعله يتساءل اين اصبح ؟ »

قال أليك : « انت على صواب ! لكن علينا ان نرحله على اية حال . هيا يا
ادم » . لكن الجواد شب على قائمتيه الخلفيتين مرة اخرى ، وحين هبط دفع رأسه
في صدر أليك . يدفعه الى العنبر .

قال أليك : (نابليون ليس هناك يا ولد . لقد خرج يعمل مع توني » . لكن
الادم راح يدفع بأشد واقسى .. ولا غير . بعد خمس عشرة دقيقة كان أليك ما
يزال يحاول ادخاله الى عربة النقل . قال : « اخاف أن لا جدوى في ذلك . حين
يركز ذهنه على شيء ما ، فلا يستطيع احد تغييره ! » .

نظر جيم نيفيل الى ساعته . وقال محذراً « لقد تأخرنا . اذا لم نسر بعد بضع
دقائق فلن نلحق بالقطار ... وليس هناك قطار آخر حتى الغد ! »

توسل أليك قائلاً : « ادم هيا تعال » لكن الجواد كان يخبط ويدور حول

نفسه وحسب - ومنخره يرتعشان، وعيناه تبجثان عن نابليون . وعلى حين غرة انتصبت اذناه الى الامام . من اقصى الشارع جاء صوت مألوف : (تقاح ، جزر ، فاصوليا ، بطاطا ، قثاء وبازلا) .

غمغم أليك : « انه توني ونابليون . انهما في شارعنا ! »

هتف هنري فيما اندفع الى البوابة : « سأجلبها » .

بعد بضع دقائق انحدر نابليون قادماً من الشارع بأقصى سرعته . كان توني وهنري يحلسان في مقعد العربية يقبضان على جوانبها في يأس ، فيما اندفع نابليون الى الطريق المعد لمرور السيارات .

صلل الادهم بصوت عال . واستدار رأسه نحوها . كانت ارجل نابليون المعجوز تطاير الحصى والبلاط .

اندفع نحو الادهم ودمس انفه في جسمه .

قفز توني وهنري من اللقعد . غمغم توني : « يا الهي ، ما خطبه ؟ »

اخبر هنري توني كيف كانا يأخذان نابليون معها حين كانا يدربان الادهم في يلمونت وكيف ان الادهم كان سيجري الآن في سباق المباراة الكبير في شيكاغو . وانهى هنري كلامه قائلاً : « والآن ، يا توني لا نستطيع اركابه في عربة للنقل لأننا لم نأخذ نابليون معنا » .

تكلم جيم نيفيل قائلاً : « توني ، الاترى بأساً في ان نأخذ نابليون معنا الى السباق ؟ »

بدأ أليك يشعر بأمل اكبر . سأل : « اتظن اننا نستطيع يا جيم ؟ »

— « لا شك ، اذا سمح لنا توني بذلك — هناك متسع من المكان في القطار ، ونحن واقفون من اننا سنجد له اسطبلًا هناك » .

« ماذا تقول ، يا توني ؟ سنعيده أليك الاحد ليلاً او الاثنين على ابعد حال ، ولتسوية الامر ، سندفع لك عن الوقت الذي يستغرقه غياب نابليون ! »

تطلع هنري الى نابليون وهو يقف ورأسه الى جانب رأس الأدهم. صمت للحظة، ثم ارتسمت على وجهه الامور كثيرة وقال : « بالتأكيد ، ولم لا ؟ ولكن مون نتقود من فضلك وشكراً . لقد ظل حصاناً جيداً لمدة خمسة عشر عاماً - والآف هو في عطة » .

قال أليك : « عظيم يا توني . سيعني ذلك الكثير بالنسبة للأدهم ولنا ايضاً » .

قال توني مزهواً وهو يضع يداً خنوقاً على عنق نابليون : « بالتأكيد »

قال جيم نيفيل : « والآن ، لنذهب » .

قاد هنري نابليون واصمده الى سيارة الشحن وتبعه أليك بالأدهم . لقد صار مطاوعاً سهل المراس الآن بعد ان كان عنيداً وصعب المراس من قبل .

بعد بضع دقائق تخرجت السيارة سائرة . لوحوا بأيديهم للجاعة الصغيرة حين الواقفين الى جانب الجرن .

هتف جو روسو : « حظاً سعيداً . وراهنوا عليه بكل ما لديهم » .

وصاح توني : « اعتنوا بنا نابليون » .

ثم اجتازوا البوابة .

قال هنري : « لقد انطلقنا »

شيكاجو

كانت الثانية والنصف حسب ساعة جيم حين وصلوا الى ساحة المحولة . قال :
« مع الوقت » .

كانت سيارات الشحن المحملة بالشحنات من القطارات تندفع الى الساحات ،
ومزاميرها تلمع ، وكانت صيحات الرجال تتردد في هواء ما بعد الظهر . اوقفه
هنري عربة الشحن . قال جيم : « سأجد الى اين ينبغي ان نذهب انتظرا هنا » .

تطلع أليك من الشباك وراه . فرأى رأسي الادم ونايليون . كانت الجواهر
يخبط الارض بقدميه . قال : « اظن ان الضوضاء هنا جعلته عصيباً نوعاً ما ،
يا هنري »

— نعم ، علينا ان نراقبه . لا نريد ان يتجهج كثيراً قبل السباق بقليل .
بعد بضع دقائق عاد جيم . وقال : « ان عربتنا هناك في النهاية » . تحرك هنري
بالسيارة وخرج من الساحات المزدهجة . اشار جيم الى السيارة وقال : « تلك هي » .
قال هنري : « استطيع ان اتقهقر بالسيارة الى الباب » وادار دفعة القيادة
واستمر يقول : « لن يكاد يعلم انه يدخل اليها » .
حين اوقف هنري سيارة الشحن ، قفز جيم وأليك منها وصعدا الى القطار . وتبعهما

أليك . قال أليك فيما نظر حوله : « أقول ، هذا عظيم ! » كان اصطلبل على هيئة صندوق في احد طرفي العربة وكانت ثلاثة اسرة في مقدمتها ، وافته هنري قائلاً : « ليس بالمكان الرديء . لن يكثر الادم كثيرأ من هذا » .

قال جيم : « ليس لدينا اصطلبل لنابليون ، مع ذلك » .

قال هنري : « نستطيع ان نضعه خارج اصطلبل الادم ، ونحرك امرتنا الى هذه الناحية » .

بعد ان حركوا الاسرة وفرش هنري اصطلبل الجواد بالقش ذهب أليك ليحلب الادم .

فتح مؤخرة سيارة الشحن ودخل فصار الى جانبه . تحرك الادم في عصىة . ربت أليك عنقه وقال : « هلو ، يا ولد ... » دفع نابليون وجهه نحوه فحك أليك أنفه ايضا وقال : « ستذهبان كلاكما في ركوب طويل الآن » قبض لجام الادم وسيره الى الورا حتى ادخله الاصطلبل . فمد الحصان - عنقه رافعا اياه عاليا في الهواء واستمرت رجله تحبظ الأرض . قال أليك : « هيا ، يا ولد . على مهلك الآن » .

قال هنري : « لا تدخل نابليون الآن . سأحتاج الى المزيد من القش اذا اردنا ان نفرش له بصورة مريحة سأذهب وارى اذا كنت استطيع الحصول على بعض القش » .

قال جيم : « سأذهب معك يا هنري . علي ان اعيد عربة النزل هذه الى مكانها » .

حالما ذهبا ، دخل أليك الى عربة النقل وسحب صندوق هنري الضخم الى داخل عربة القطار . فتحه واخرج قيص هنري الاخضر اللامع وقبمته الخاصة بالفارس . سيلبسها يوم الجمعة ! نفس الأشياء حتى رقم (٣) الحائل الذي كانت هنري يلبسه حين فاز هو وتشانغ بسباق الخيل في كنتكي ! تصلب .. حلقوم أليك حين اعادها الى الصنوق في عناية .

بعد برهة قصيرة ، عاد هنري يحمل حزمة من القش . نثرها امام اصطبل الأدهم . قال : « تستطيع ان تدخل نابليون الآن » . انتصبت اذنا نابليون الى امام حين رأى الأدهم . مد انفه نحوه .

صعد جيم الى العربة وقال : « كل شيء قد رتب » . بعد خمس عشرة دقيقة صفر القطار . هتف أليك : « شيكاغو ! ها قد وصلنا » .

☆☆☆

بات يتقلب على سريره تلك الليلة . فقد ابقتة في يقظة قسمة العجلات على السكة الحديدية . سمع الأدهم يتحرك دون راحة في اصطبله . نهض أليك واخذ طريقه ، في هدوء ، اليه . عرف من تنفس هنري وجيم العميق انها مستغرقان في النوم .

نابليون ، ايضاً ، كان نائماً .

حجم الأدهم حين رأى الغلام . حك أليك رأس الجواد وقال : « ش 11 يا ولد » .

تأرجح القطار قليلاً ، فنفر الأدهم . سأل أليك : « ليس بأسوأ من السفينة ، مع ذاك . اليس كذلك ؟ » هز الأدهم رأسه . بقي أليك معه لمدة ربع ساعة . ثم ربتة للمرة الاخيرة وقال : « علينا ان نحاول ان ننام قليلاً ، يا ولد - كلانا يحتاج النوم » .

عاد الى سريره واضطجع . وانزلق الى النوم . كان يحلم بالسباق المقبل . ثم فتح عينيه وحدق في السقف . عليه ان يقلع عن التفكير . عليه ان ينام قليلاً . حاول ان يركز فكره في اصطدام العجلات الرتيب الموزون بالسكة الحديد . خيل اليه انها تقول : « شيكاغو - شيكاغو - شيكاغو - » واستغرق أليك في النوم .

فجأة احس ان هنري يهزه . كان هو وجيم كلاهما لابسين ملابسهما . قال هنري : « لقد لوشكتنا ان نصل » .

فراح أليك يرثدي ملابسه وهو نعان . سأله جيم : « كيف انت يا غلام ؟ » .
اجاب أليك : « على خير ما يرام » .

قال هنري : « اتنا ندخل في حدود المدينة الآن » .
سأل أليك : « كم تبعد ساحة السباق عن المحطة ؟ » .

نظر جيم الى ساعته وقال : « ركوب ما يقارب خسا واربعين دقيقة . انها الخامسة والنصف الآن . اذا كانت العربة التي ابرقت موصيا عليها ، تنتظرونا ، فسنكون في ساحة السباق في الساعة السادسة والنصف على ابعد تقدير » .

قال هنري : « لنأمل انها هناك . سيكون افضل لو اتنا استطعنا ان نصل الى ساحة السباق ، قبل ان يبدأ الناس بالتوافد عليها » .

دخل القطار الى ساحات المحولة . وضع أليك دثار الأدهم الجديد حوله . وتولى هنري امر نابليون . وفيما باطأ القطار حركته فتح جيم باب عربة القطار . كانت سيارات الشحن تقف الى جانب القطار . قال هنري : « انها لا تقل سوءا عن نيويورك » .

قال جيم وهو يقفز من القطار حين وقف : « سأرى ما اذا استطعت ان اجد عربة نقلنا » .

تحرك الأدهم في قلق فامسك أليك بأشد مما كان يمكنه . حرك هنري نابليون حتى صار اقرب اليه . راحت عينها الجواد المذعورتان تحدقان في عصية خارج الباب المفتوح ، هدا حين مد نابليون رأسه اليه .

تحركت سيارة ناقله على طول جانب عربة القطار . ثم سمعا صوت جيم : « ارجعنا الى الورا حتى تصير مؤخرتها عند الباب » . هكذا قال بوجه السائق .

بعد بضع دقائق ، قاد أليك الأدهم الى السيارة الناقله وتبعها هنري ونابليون . كانت شوارع الصباح الباكر مقفرة مهجورة ، فساروا بسرعة عظيمة الى ساحة السباق . اجتازوا المواقف الضخمة ثم اندفعوا يمتازون البوابة قرب الاصطبلات .

لوقفهم حارس الباب . سائلا : « ماذا تريدون ؟ »

اجابه جيم : « انا جيم نيفيل . لدينا حصان هنا لسباق الغد » .

ابتسم حارس الباب وقال : « الحصان الغامض ، هيه ؟ لقد كنا ننتظره » وفتح الباب هاتفا بهم : « استعملوا اي اصطبل تشاؤون . لكن لا تقربوا كثيراً من غازي الشمس واعصار » . ثم اضاف متضحكاً : « لعل الأفضل ان تقربوا منها الان — لأنكما لن تقربا منها غداً ! » .

قال جيم : « انه يجب التنكيت ، اليس كذلك ؟ » .

قال هنري : « سوف يغير لهجته » .

حدث أليك الى الوراء من خلال النافذة ناظراً الأدهم . كان رأس الجواد ما يزال ممدوداً نحو رأس نابليون .

بعد خمس عشرة دقيقة ، ادخلوا الأدهم الى اصطبله الجديد . وضعوا نابليون في الأصطبل — الخالي التالي له . بدأ ميدان السباق مهجوراً في سكون الصباح الباكر .

قال أليك : « اظن انه لا يسمح للزوار بالدخول » .

اجاب هنري : « سيكون اعصار وغازي الشمس على الخط بعد حين . وسيأتي الرجلان الموكلان باصطبلها حالما يسمعان اننا قد وصلنا » .

وذكرهما جيم قائلاً : « ولن تستطيعا ان تبعدا رجال الصحافة عن هنا ، اليوم » .

قال هنري : « علينا ان نبعدهم عن الأدهم ، وإلا فلن يستطيع احد ان يقول ما الذي سيحدث » .

اشغل أليك وهنري ، آنذاك ، نفسيهما يحمل الاصطبلين مريحين للجواد ولنابليون ، بينما ذهب جيم ليرى اعصار وغازي الشمس . كان الاسفنج والملابس والفرش تخرج من رزمها .

تطلع هنري ورأى حشداً من الناس يأخذون طريقهم نحوهم .

قال لأليك : « لا بد ان تدريبات غازي الشمس واعصار قد انتهت » .
خرج هنري من الحظيرة ليقابلهم تاركاً أليك مع الأدم .
رأى ان الحشد كان مؤلفاً من الخبرين الصحفيين وخدم الاصطبلات كما سبق
لجيم ان توقع . حياهم هنري قائلاً : « صباح الخير » .
ضحك احد الرجال قائلاً : « اندينا لنرى الحصان العجيب » .
صحح له رجل آخر قائلاً : « تعني الحصان الغامض » .
قال هنري ، مشيراً الى الأدم الذي كانت عيناه الهائجتان ، تحدقان فيهم :
« ها هو ذا » .
ربت أليك رأس الجواد قائلاً : « على مهلك ، يا رجل » .
بدأ بعض الرجال يقتربون اكثر .
قال هنري وهو يوقفهم : « عليكم ان تبتعدوا عن حظيرته ، انه متهيج ونحن
نريد ان نهدئته » .
زجر خبير صحفي قائلاً : « متقلب المزاج ، هيه ؟ » .
بدأ مزاج هنري الايرلندي يرتفع هائجاً : « حسبك من التعليق البائخ . اذا
لم يعجبكم حيث تقفون فسأرميكم خارجاً » .
رأى الرجال ان هنري كان يعني ما يقول ، فابتعدوا عنه . بعد بضعة دقائق ،
انفضوا ، قال احد خدم الاصطبلات : « لعله لن يكون معجباً بنفسه الى هذا
الحد ، بعد غد » .
قال آخر : « لا أدري كيف اشترك في هذا السباق ، على اية حال ا » .
بعد فترة وجيزة عاد جيم ، وقال : « يبدو غازي الشمس واعصار وهما في
احسن حال . لماذا لا تسهبا وترياتها . وسأعنى بالأدم » .
قال هنري : « اظن اننا سندهب ، تعال يا أليك » .

ذهباً أولاً إلى اصطبل اعصار . كانت غنة حشد امامه ، واختلط هنري وأليك
بالحشد دون ان يميزهما احد . كان اعصار قد اقتيد من اصطبله ليستطيع المصورون
الفوتوغرافيون التقاط صور له .

كان حصاناً ضخماً ، في مثل ضخامة الأدهم تقريباً . وكان فراؤه يلعب بلون
احمر مشع في شمس الصباح . تحرك في جلال دائراً حول نفسه . كان رأسه اضخم
من رأس الأدهم ، ولم يكن لعينه تلك النظرة الوحشية الحادة .

همس هنري : « تستطيع ان تعرف انه ولد وترعرع في كنتيكي . انه مخلوق
للسرعة على الدوام » . أوماً أليك برأسه . « وئناً وقال : « انه ولا ريب خالص
النسب » .

راحا يراقبان بينما اخذ المصورون الفوتوغرافيون يلتقطون الصور له . ثم سارا
في الخط نحو اصطبل غازي الشمس . رأياه فيما كان يُقاد من ميدان
السباق . شق أليك بنفسه : لقد كان يوشك ان يكون في مثل ضخامة الأدهم
وقوته ! كان فراؤه ابيض ناصعاً ، وكان رأسه صغيراً وعنقه يرتفع على هيئة هلال
كعنق الأدهم .

قال أليك : « انه يكاد يبدو كالأدهم » .

همس هنري : « نعم ، انه عربي الى حد ما ، ايضاً . لعله سيكون الجواد
الذي علينا ان نقهره لكننا لا نستطيع ان ننسى اعصار » . والتفت برأسه الى
الوراء وواصل الكلام قائلاً : « ان ذلك الحصان لم يدفع ، حتى الآن ، الى
الركض بأقصى سرعته . فهو يركض بسرعة تكفي لأن يربح ، وحسب » .

قال أليك : « سيكون من الصعب قهر أي منها » .

قال هنري : « امرع حصان في العالم ، صدقي . لكننا كنا نعرف مع اي
حصان نتسابق » .

قال أليك : « ما زلت اعتقد ان الأدهم يستطيع ان يقهرهما كليهما » .

سباق المِباراة

حل يوم السباق الكبير ، اتجهت انظار الامة نحو شيكاغو . وطوال الصباح راحت القطر والباصات والحافلات والطائرات ترأر متجهة نحو المدينة ، فيبسط منها الوف المسافرين الآتين الى ساحة السباق .

اكتسحت روح العيد المدينة بكاملها . اغلقت المكاتب ابوابها ذلك اليوم ، وفي كل مكان كان سؤال واحد يتردد : « من سيربح ؟ اعصار أم غازي الشمس ؟ »
سأل رجل بوليس يمتطي دراجة بخارية كان يوجه السير والمرور في زاوية من زوايا شيكاغو المزدحمة الماتجة ، فيما اوقف دراجته بجانب تشارلي : كيف انت ، يا تشارلي ؟ » .

وجاهه الجواب : « لم ار في حياتي شيئاً كهذا ، يا بات ا من ابن ياتون جينعا ، بحق الشيطان ؟ » .

كانت زمامير السيارات تنفخ من صفوفها الممتدة دوت نهاية من ادنى كل شارع الى اقصاه .

— لقد تمبت انا نفسي . انهم محتشدون صفاً صفاً من هنا الى ساحة السباق .
لن تتسع لهم جميعاً ! انهم ياتون من جميع انحاء البلاد ليروا هذا السباق ، يا ولدي

اتقنى لو كنت هناك اما نفسي ، لارى اعصار يدحر خصمه .
 ركل رجل البوليس دراجته البخارية وانطلق . هتف وسط زئيرها وهديرها :
 « الى اللقاء . سيكون غازي الشمس هو الفائز بـسافة ثلاثة أطوال ا ! » .
 - « سوف ترى ، اقول ، ما رأيك في الحصان الغامض هذا ؟ » .
 - « ليس بالكثير - اظن ان الجميع بدأوا يتساءلون كيف دخل الى السباق ،
 على كل حال . لن يبرز فيه ابداً - انه محشو بالهواء ، لا اكثر . الى اللقاء .. » .

في بيت واسع من الشقق ، غير بعيد عن ساحة السباق ، كانت أم أليك
 وخالته تنظران من شباك غرفة الجلوس الواسع ، الى السيارات بطيئة السير ، من
 تحتها ، وفي المدى ، كان في وسعها ان تريا ساحة السباق غاصة بالناس منذ الان .
 قالت المسز رامسي : « ببس ، هل سبق ان رأيت مثل هذا الازدحام وهذه
 الكثرة من السيارات في حياتك كلها ؟ ما الذي يحدث هناك ، بحق السماء ؟ » .
 - « لا تقولي لي انك لم تسمعي بسباق المباراة الكبيرة الذي سيجري اليوم . ظل
 الناس جميعاً يتحدثون عنه . وها ، إن لدي بطاقتين له - كنت اتوي ان
 افاجئك ا ! » .

- « ولكن ، يا ببس ، لم يسبق لي ان رأيت سباق خيل في حياتي . لا ادري
 عن اي شيء هوا » .

ضحكت اختها وقالت : « لا شيء في ذلك . الحصان الذي يقطع ساحة السباق
 اولاً ، يريح . لا اذهب كثيراً الى السباق ، لكن هذا شيء يجب أن لا يفوقه
 أحد . فللرة الأولى ، والوحيدة سيلتقي اعصار وغازي الشمس لقد جمعت بهما ،
 من المحتمل انه سيكون اعظم سباق خيل في تاريخ السباق واذا ظننت انك لن تربه
 بينما نسكن على بعد لا يزيد عن ربع ميل من ساحة السباق ، فذلك ... » .

ونظرت الى الشباك وقالت : « انظري الى هذه الحشود ا تعالي ، يا بيل ،

ولناخذ قبعتنا ومطفيئنا ونذهب لنحصل علي مقعدين » .

هزت المز رايسي رأسها فباذعيت تحضر قبعتها ومطفيئها . وقالت : « انذا عرف زوجي او ابني انني رأيت هذا السباق ، فلن أجد لحظة سلام حين اعود الى البيت . علي ان آخذ حصان أليك الى البيت آنذاك ! لقد اخبرتك يا بيل بان كليها مجنون . انني اقوم بكل ما استطيع عله الآن لأضبط كل شيء وأسيطر عليه .. انها يشتيان ولا شك ان يرا هذا السباق ! » .

« من المؤسف حقاً انها ليسا هنا ، لكن المرجح انها سيصفيان الى ما يعور فيه ، مذاعاً من الراديو ... » .

هبطت طائرة من السماء الصاخبة . وفي خفة دارت حول الحقل ثم هبطت وهي تهدر وتندرجت قليلا ووقفت .

اسرع المسافرون نحو الباب . قال احدهم : « وصلنا في الوقت تماما ، اذا اسرعا » .

صاحت المضيفة : « الباص ينتظركم رأسا ليأخذكم الى ساحة السباق ! » . هرع المسافرون نحو السيارة .

اندفع والده أليك الى مقعد بجانب السائق . سأل : « أتعن اننا سنصل هناك قبل البدء ؟ » .

اجاب السائق : « نعم ، أعلن ذلك . انهم دالها يستغرقون بعض الوقت لوضع هذه الاطفال المتقلب مزاجها على الساحة ! » .

قال الرجل الذي انسل الى المقعد التالي له : « ان غيازي الشمس يدخل ، علي الوداع ، في قتال رهيب قبل بدء السباق هل كل حال . انه اكثرو حشية من اعصار » .

قال رجل وراهما : « لعله يقوم بقتاله آنذاك . لن يكون قريبا من اعصار بالمره ، بعد ان ينطلقا ! » .

- « لوه ، نعم سيكون غازي الشمس هو الفائز بمقدار بُعْدَيْن اليوم ! » ثم
التفت الى المستر رامسي وسأله : « من تظن سيكون الفائز ؟ »

- « انني اخترت الحصان الغامض . »

أجاب الرجل : « اقول ، ألا تعلم انك ستكون من ضحايا الشهرة واجاع
الجمهور . أراهنك على انه لن يكون ثمة حتى حصان ثالث اليوم ! »

قال والد أليك : « سوف نرى . سوف نرى . »

☆☆☆

ربت أليك الأدهم وقال : « أوشك الوقت ان يحين ، يا ولد . » خطط الجواد
أرض حظيرته . وفي الخارج كان ثمة صف من الشرطة يبعد المتفرجين وفي المدى
كان في وسع أليك ان يرى المواقف مكتظة بالناس كانت تنساب نحوهم موسيقى
يعزفها جوق .

عاد هنري من معاينة الساحة . قال : « سريع كالشيطان ، الأحسن ان تنهب
وتزن ، يا بني . » توقف ورمشت عيناه قليلا فيما وضع يده على القميص الأخضر
الذي كان أليك يرتديه . ثم ابتسم وقال : « ملائم لقدك . اليس كذلك ؟ »

أجاب أليك : « عظيم . وكذلك البنطلون والقبعة . » لبس القبعة وجذب
رفرفها الأمامي الطويل على عينيه كي يرى هنري ذلك .

قوم هنري الرقم (٣) على ذراع أليك وقال : « سيجلب لك الحظ . لقد
جلب الحظ لي ... »

وزن أليك نفسه وكان في طريقه عائداً الى الاصطبل حين مر بالفارسين اللذين
كانا يركبان اعصار وغازي الشمس كانا يبدوان اكبر كثيراً مما ظهرا في الصور التي
رآها لها في الجرائد .

رآه احدهما وقال : « اقول ، انت الولد صاحب الحصان الغامض ؟ »

لوماً أليك برأسه أن نعم .

غغم فارس غازي الشمس : « وهكذا فأنت ستركب فعلاً في السباق ! ظننا أنك مجرد جزء من إحدى خدع الدعاية والاعلان . أليس كذلك يا ديف ؟ » .

جذبه الفارس الآخر من ذراعه وقال : « هيا ، لا تضيع الوقت » ثم تطلع الى أليك وقال : « الأحسن ان تأخذ الأمر على مهل في هذا السباق ، يا غلام » . ثم انطلقا سائرين .

ارتفعت موجة الغضب في نفس أليك فيما سار نحو الاصطبل . من يظن هذان الرجلان نفسيهما ، على كل حال ! مجرد انها من المشتغلين القدماء في هذا النوع من اللعب ، واحا يظنان انها يمتلكان ساحة السباق .

أخرج هنري الأدهم من حظيرته حين عاد .

سأل : « كل شيء على ما يرام ، يا غلام ؟ » .

« كل شيء على ما يرام » .

جعلت الضوضاء الآتية من بعيد ، الجواد عصياً فراح يعض المليكة التي في فمه . حك أليك عنقه .

واصل هنري الكلام قائلاً : « مجرد أشياء قليلة أريدك أن تتذكرها ، يا أليك . ليس هناك الكثير مما أخبرك به عن معاملة الأدهم وتسييره ، أنت تعرف عنه أكثر مما أعرف . أنت فارس ممتاز ، وقد علمتك كل الحيل التي أعرفها ، والآن أصبح بيدك أنت ان تستخدمها . ان هذين الفارسين الآخرين أمهر فارسين عرفتُما الحلبة . لن يدعاك تفلت بشيء ، لكنهما لن يحاولا اي شيء خارج عن القواعد والأصول . انها شاطران لكنهما ليسا قديرين . وهما هنا لكي يربحا ، ولكن .. هكذا أنت أيضاً . تذكر ان تحتك حصاناً رائعاً كالذي تحت كليهما » . قاطعه أليك قائلاً فيما نظر الى الأدهم مزهواً : « انا واتى من ذلك ، يا هنري » .

واصل هنري الكلام : « لا استطيع ان أمرك بأن تكبحه ، لأنك لن تستطيع ذلك . البث عليه واركب كما لم تركب قط من قبل : اذا كان الجواد هو الجواد

الذي نجسبه ، فليسوف يفوز على طول الخط ا » .

كان اصغار اول حصان يخرج من الخطيرة الى السباق . فقبول يهتاف وتصفيق وهو في طريقه الى خطيرة خيل السباق ، كان يحمله رداء احمر ملتهب يلبس غمامات حمرا ، وكانت رجلاه الاماميتان ملفوفتين بشرط .

بعد بضع دقائق اقتيد غازي الشمس من الخطيرة وهو يكاد يكون محجوبا كله بدثار ابيض من الصوف . كانت أرجله الأربع كلها ملففة . كان يضرب الأرض في سيره ، بعصية ورأسه الصغير يتلفت حوله في خبث ، وقد ارتطج هتاف اخر من الجمهور المحتشد حول الخطيرة حين رأوه .

ثم أطبق على الحشد صمت فيا ظهر الأدم ، وهو مغطى بثوبه الأسود الجديد ، يصحبه نابليون العجوز . قاده أليك من حبل الرصاص المشدود الى لجامه . شب الجواد على قائميه الخلفيتين فترك أليك الحبل ينفلت من خلال أصابعه حتى سقط . اتقدت عينا الأدم حين رأى الجوادين الآخرين . تذكر أليك القتال الذي دار بين الأدم وبين الجواد الكستنائي في رو ، فشدد قبضته على الحبل وسار به وراه الجوادين الآخرين بمسافة بعيدة حين بلغا الحلبة .

حطم السكون زعيق رجل بصوت عال : « ما هو الحصان الغامض ا » ثم بدأ كل شخص يتكلم . لم يكونوا قد توقعوا أن يروا أي شيء كالأدم . سمع أليك رجلا ينعيم : « انه اضخم حتى من غازي الشمس ا » وبعد بضع دقائق نادى احد موظفي ساحة السباق : « ليمتلئ الفرسان خيولهم ا »

خلعت الأدرة عن الخيول . واسرج هنري الأهم ثم رفع أليك الى السرج . وقال له وهما يسيران حول الحلبة في بطة : « دع الآخرين يتطلقان اولاً ، لكي لا يكون هناك أي مشكل » . كان الأدم يمدق في الحصانين المتقدمين عليه بمسافة بعيدة . ارتجف منخراه وهز رأسه في عصبية . كان أليك يعلم ان وجود نابليون وحده الى جانبه هو الذي ابقاه مضبوطاً .

كان صف طويل من رجال البوليس يصب المهور ويشق طريقاً من خطيرة

خيل السباق الى الساحة . وفتح في الصور . فرفع الأدم رأسه وانتصبت أذناه الى
العام . قاده هنري نحو ساحة السباق .

وقفا امام البوابة . كان اعصار وغازي الشمس يسيران ، منذ ذلك ، مارين
بالمنصة الكبرى في طريقها الى نقطة الانطلاق .

تطلع هنري الى أليك وقال في هدوء : « حسناً ، يا غلام ، أنت سيد نفسك
الآن ، فابدل جهدك ! »

حقق قلب أليك حين رأى الجمهور المتراس من الناس ، يمتد امامه . قال :
« حسناً ، يا هنري . » صهل نابليون العجوز شاكياً حين منعه هنري من ان يتبع
الأدم الى ساحة السباق .

كانت كل بقعة حول أسبجة الدائرة الخارجية مكبظة بجماهير متبهجة . وقد
وقف الكثيرون على اعالي السطوح ، التي تبعد مسافة ميل كامل من نقطة الانطلاق .
كان انتباههم مركزاً على غازي الشمس واعصار فيما اجتازا موقعها . ثم رأوا ،
على حين غرة الجواد الأدم المعلق ، وعرفه يتلوح كشعة نار تتلاعب بها الريح ،
وهو يتحدر في ساحة السباق . نهض المتفرجون من مقاعدهم ورفعت الأيدي
المتبهجة المناظير الى العيون .

هتف معلق مشهور من المعلقين الرياضيين مخاطباً مستعصي الراديو في طول البلاد
وعرضها « انه الحصان الفامض ! » قال ، وقد تركت يده الميكروفون والتقطت
برنامج السباق « انه سجل باسم الأدم وبركبه أليك رامسي . وهو يثير كثيراً من
المرج والرج هنا ! انه من اضخم الخيول التي رأيتها في حياتي ، ان لم يكن اكبرها .
وهو اسود ، اسود كالفحم . انه ضخم وقوي ولا يبدو انه يريد ان يقترب من
الخصائين الآخرين . ان أليك رامسي وهو على ظهره يصغاني صهوة في خطبه
والسيطرة عليه . يا الهي ! لقد رأيت كثيراً من الخيول في زماني ، لكنني لم ار
خصائناً له مثلي هذه الحركات ! انني لأقول ان هذا الحصان الهني سماء عظمتنا ،
« خالقة نيفيل » سيرز بروزاً كبيراً في مسلة السباق . نعم ، يا سادة ، يبدو ان
هذا السباق سيكون اعظم سباق في جميع الازمان ، ان لم اخطئ » انتهى .

«والان ، ما هو ذا يقترب من خط الانطلاق . اعصار لا يريد ان يقترب منه وهو يبعد عنه . غازي الشمس واقف في مكانه وقد كشر عن اسنانه . ان امام اعلان البدء متسعاً من الوقت . الحصان الأدم شيطان فريد ! انه يريد الدخول في قتال . هاهم يصطفون الان . ما هو ذا يقفز عاليًا في الهواء ، ثم يهوي على غازي الشمس يضربه ! اصفوا الى ذلك الشيطان الأسود يصلح - لم اسمع في حياتي شيئاً كصهيله . لقد ارتفع الى نبرة عالية يكاد ان يكون صغيراً - لعلكم تستطيعون سماع الصغير وما هو أليك رامسي وقد جعله يهبط - ان ذلك الغلام يستطيع ، بالتأكيد ، ان يثبت على صهوة أي حصان . ياله من صراع يدور هناك ، ايها الناس . ان هنا اكثر من ثمانين الف نسمة واستطيع ان اقول دون ان اخشى معارضة احد ، لم يسبق لهم كلهم ان رأوا شيئاً كهذا من قبل ! خذوها مني ان الادهم جواد وحشي - لم يذل تماماً بعد . حصان وحشي في ساحة السباق .»

«انتم ايها الناس الذين رأيتم غازي الشمس تعرفون ان الخيول التي تشترك معه في السباق لا تريد عنه وحشية ، ولكنه اليوم قد لاقى نده ولا ريب - في القتال ، على كل حال !

انه يعتمد عن الادهم الان ! لقد اصبح اعصار بينهما ، ذلك احسن . جعل أليك رامسي يدبر أمره مع الادهم الان . ان ذلك الغلام يفعل الأعاجيب - لن ارضى بأن اكون مكانه لقاء كل ما في العالم من مال . غازي الشمس لن يقف ساكناً . انه هائج - انه يكره الادهم . لقد خرج عن الخط . ما هوذا يذهب ضارباً الادهم ! انه يضربه ! اوه ، اوه ، ان رجل الادهم تدمي ، لقد كانت ضربة قوية عنيفة .

لم يعد أليك رامسي قادراً على السيطرة على حصانه - انه يشب على قائمته الخلفيتين ثم يهوي على غازي الشمس . ليس هناك من سبيل لايقاف هذا الشيء ! غازي الشمس يتراجع كرة اخرى - لا نصيب له مع الشيطان الاسود ! - انتظروا ، ما هوذا أليك رامسي يجذب رأس حصانه ، انه يدبره . لقد سيطر عليه كرة اخرى . لقد اخذه الى الخارج . غازي الشمس لا يريد مزيداً من القتال .»

لقد عاد الى مركزه عند العمود .

لا يبدو ان الحكم سيطلق الخيل ، بينما هي هناك . ان رجل الأدهم تدمي بصورة شديدة . لا يبدو على غازي الشمس مثل هذا الأذى نتيجة للقتال . ان أليك رامسي منحني ينظر الى جرح الأدهم . لقد نهض ، لعله سترك السباق ، ويا للأسف - لقد انطلقت ! ان الحكم لم يلحظ أن أليك رامسي كان يهبط من مرجه .

اعصار وغازي الشمس يتباريان رأساً لرأس فيما ينطلقان مجتازين المواقف . لقد غودر الأدهم عند نقطة البدء . لقد خرج من السباق . كلا ، كلا ، ها هوذا يأتي بعدما ! ان فارسه نصف جالس وحسب على السرج . لقد وقف الان ! انه يحاول يائساً ان يوقف الأدهم . انه لا يريد ان يركض ورجله في تلك الحال . انه يجب الأعنة في غيظ وحنق ، لكن يبدو ان ذلك لا يجدي قبلاً . يُريد الأدهم ان يركض ، انه يقاتل ليترك رأسه وهواه ! يكاد يجذب أليك رامسي وينتزعه من مرجه والان ، ساط الأعنة من يديه وانتزعها !

انه وراء الحصانين الآخرين بحوالي مائة ياردة ، وهي مسافة ابعد من ان يقطعها ليلحق بها ، لكنه مستمر في الجري .

لقد قهر اعصار غازي الشمس في الجولة الأولى . وكلاهما يجري تحت وقع السوط . كل منهما يريد ان يزيد من سرعته !

ان فارس إعصار يعتمد مد جسم حصانه على طوله ، حتى صارت قوائم إعصار المتحركة في أنف غازي الشمس تماماً . تلك حركة بارعة لاعطاء راكبه مجالاً للتنفس بعد ذلك المجرى الذي يكبد ولا رغام غازي الشمس على الحد من سرعته التي جعلته يطأ اعقاب إعصار ؟

« ولكن الآن فيما يدوران العطفة ، صار غازي الشمس ، مذنب كالפורنية يتحرك محاذياً لاعصار ، وفيما هما يدخلان الامتداد الخلقي صارا يجريان عتقاً الى عتق » .

وعلى حين غرة ارتفع زفير يصم الآذان من المواقف ، صرخ المطلق بصورة هستيرية : « انظروا ، انظروا ، انظروا ، ادم الأدم يقبل كبيت يحترق . لم تروا في حياتكم حصاناً يركض هكذا ! انه قوة كله — جمال كله ، ان المسافة بينه وبين الآخرين اخذت تقل . كيف تقل ! ما كنت لأصدق ذلك لو لم اره بعيني هاتين . ان اعصار وغازي الشمس يتنافسان على ايها يكون الفائز في الجولة الأخيرة . والأدم يكاد يكون وراءهما . يا للحركة : يا للخطى الجبارة . لقد 'جبن' الجمهور . وقد اجتاز غازي الشمس واعصار عند العطفة وهو في سبيله الى المقدمة . ها هما يأتیان راكضين في الدرب المغضي الى الموقف النهائي . »

بدأ الجمهور يصرخ فيما جاءت الخيول المتسابقة مرعدةً نحوهم . كان غازي الشمس متقدماً امامها . وكان اعصار في المؤخرة — لقد سبقه الأدم . كان غازي الشمس في المقدمة بمسافة طويلة ، وفارسه يضرب بسوطه . بدأ الأدم يتقدم ويزداد سرعة . وها هو الان وراء غازي الشمس بمسافة طول واحد . لم يستعمل سوط لضربه — كان فارسه كمقدمة صغيرة هائلة في عرف الجواد الأسود الأثيث .

اكتسحت الجمهور هستيريا فيما مرت به الخيول للمرة الثانية — لم يكن خط النهاية يبعد الا بمسافة مائة ياردة وحسب . صرخ معلق الراديو : « لن يلحق يفازي الشمس ! » خطف الجواد مجتازاً المواقف وهو يزداد سرعة مع كل خطوة رائثة . وبمحاسن فجائي حمل على غازي الشمس . وتردد للحظة فيما اصبح في عاذاته . انهبرت انفاس الجمهور فيما اندفعت اذنا الأدم الى وراء وكشّر عن اسنانه . كانت ثمة حركة على ظهره . كانت يد الفارس تعلو وتهبط على قوائم الجواد الخلفية لأول مرة في السباق . الى المقدمة اندفع الأدم ، حاراً بالوف الصغين سابقاً بخطوة ، بطول ، بطولين — ثم غاص المعلق الجبار تحت السلك .

دار الأدم العطفة الأولى ودخل الامتداد الخلفي كرة أخرى قبل ان يستطيع أليك ان يخفف من مرعبته . كان يعلم ان الأدم ، وحده ، في رجس الجواد هو الذي يمكنه من عمل ذلك أعده . وانجراً لوفقه . نسي أليك الآلاف المصققة فيما انزلت ، وهو منهاك ، من على ظهر الجواد .

انحنى لينظر الى الجرح ما اغزر الدم ! اخذ أليك منديله ولفه حول زنبيل الأدهم ليوقف النزف . وقال : « ما كان ينبغي ان تفلتها ، يا ولد » ،

هدرت سيارة من نوع (شيشن واغون) دائرة حول الساحة ومنجبة نحوها ، مخلقة غيمة الغبار في اعقابها . شب الادمم على قائمتيه الخلفيتين فيما انجثت اليها . قفز هنري منها وجذب رجلاً وراءه .

سأل أليك في لهفة : « أصيب بأذى كبير ؟ هذا هو البيطري » .

— « لا ادري . انه ينزف نزفاً شديداً واعلم انه يؤذيه ! » .

انحنى البيطار ليفحص الجرح . ذهب هنري الى السيارة وعاد يحمل سطلا من الماء واسفجة وضامداً . نزح البيطري منديل أليك الذي كان الاث هطلي بالدم : هدأت اصوات الالاف الهادرة ، حين ادركوا ما كان يجري على ساحة التبنائ وتركزت العيون كلها على الجماعة الضعيفة .

ثم عدل البيطري ظهره وقال : « لقد فقد كثيراً من الدم ، لكن له رجلاً كالخديد . اعطوه شهرين من الراحة وسيكون بخير كما كان من قبل ! » .

نظر أليك وهنري احدهما الى الآخر وكانت عيونها ندية ، لم ينبس احد بينت شقة بينما كان البيطري يضمم رجل الادمم . ثم خطم هنري الضمت وقال : « حسناً يا أليك ، اظن انك والادمم فلتماها ! » .

وقف البيطري وقال : « حسناً . والاث اظن انهم ينتظرونكما عند حلقة الفائز » .

فيا رفع هنري الغلام الى السرج ، ارتفعت عاصفة من التصفيق من الجمهور . انتصبت اثنا الجواد الى امام وراح يتلف حول في وحشية . ربهته أليك على عنقه . وادرك لأول مرة ان السباق قد انتهى وانها قد فازا . قال مزهواً : « لقد فلتماها ، يا ولد . لقد فلتماها » اندفع الدم يجري سريعاً في عروقه وحقق قلعة على أضلاعه فيما راح الجمهور يهتف لها وهما عاكدان . شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين عندما بلغا

المنصة الكبرى .

راحت آلاف العمون تراقب الأدهم اذ راح يتهادى على كسب من الجمهور . لم يكن ينبغي الاقتراب كثيراً . لكن لم يبد عليه انه يصارع راكمه . واخترق بعض افراد الجمهور صف رجال البوليس واندفعوا نحوها . ووقفوا على حين غرة حين شب على قائمته الخلفيتين ، وعادوا الى وراه بسرعة عندما جاء نحوهم منتصب الرأس والذيل . كانت حركته جيئة ، متواتبة ، وهو يقفز بعد كل بضع خطوات بسهولة وخفة عجيبتين . هز الخبراء رؤوسهم هز العالم بما رأوا من حركات الأدهم . قال رجل عجوز : « هنا اعظم جواد وطىء بقدمه اية ساحة سباق ! » .

ركب أليك الأدهم واتجه نحو موقف المحكين ثم دخل حلقة الفائز . فوقب الجواد ساكناً للمرة الأولى . كاد أليك وهنري لا يصدقان عيونهما . حتى المصاييح الملونة التي كانت تنفجر قريباً منه ، لا تجعله يفعل اكثر من ان يهز رأسه . وضعوا الكليل الورد ، المضفور على هيئة نمل ، حول عنقه .

تلقت أليك الى الجمهور من تحته . وعلى حين غرة توقف ، امكن ان يكون ذلك اباه ؟ هتف : « ابي ، ابي ! » . التفت ابوه ولوح بيده . قال أليك : « هنري ، انظر ! ذلك ابي هناك ! » .

شق هنري طريقه خلال الجمهور وكان في منتصف طريق العودة مع والد أليك ، حين جعلها صوت مألوف يلتفتان كلامها ، قالت والدة أليك : « يبدو اننا جميعاً هنا ! » .

شق المستر رامسي وقال : « بيل ! » .

وضعت يدها على ذراع زوجها وقالت : « لم أقض عصر يوم كهذا ، حياتي كلها . من الوقت الذي رأيت فيه أليك يبرز على الأدهم وأنا لا أستطيع ان افعل شيئاً حول ذلك حتى النهاية » .

وتوقفت ونظرت الى أليك وهو يجلس ، مزهواً على الجواد ، ثم واصلت الكلام قائلة : « ولكن الان ، كل ما اهتم به هو ان ذلك انتهى وانه سالم » .

قال هنري وهو يشق ، امامها ، الطريق نحو أليك : « نحن جميعا يجب ان نفخر به كثيراً » .

منح حاكم الولاية الوسام الذهبي المخصص للفائز المتفوق في ساحة السباق . حين رأى أليك والديه كليهما وهنري ، انغرفه ، ونسي ان يصني الى الحاكم الذي كان يتكلم اليه لم يكن يرى الأشياء - لقد كانا كلاهما هناك ! لوح بيده . كان حلقومه متوتراً متوتراً منه من ان يقول شيئاً . ظل الحاكم يتكلم . وهز الأدهم رأسه وخبط الأرض . طقطقت الكاميرات ، وراحت الكاميرات السينمائية تطحن ، ومعلقو الراديو يسحبون الميكروفونات وراهم ويتحدثون في آن واحد ويشقون طريقهم خلال الحشد .

واخيراً انتهى الحاكم . وصق الجمهور فيما انزلق أليك من الأدهم . رفع هنري السرج عن ظهر الجواد . وعلى حين غرة اندفع صف من رجال البوليس خلال الجمهور . وجاء بعدهم جيم نيفيل يقود نابليون ، حمحم الجواد ورمى رأسه عالياً في الهواء . اجابه نابليون ومد رأسه نحو رأس الأدهم .

قال جيم : « لقد احسنت ، يا غلام . كنت اعرف انكما الاثنين تستطيعان ان تفعلها ! » أوماً برأسه نحو نابليون وواصل الكلام قائلاً : « كان يكاد يحزن وهو هناك - اراد ان يقوم ببعض التهنئة هو نفسه ! »

ضحك أليك وقال : « انه يعود الى هنا ، على كل حال »

شق معلقو الراديو طريقهم مندفعين الى أليك . كان احدهم يقول : « لقد حطمت الرقم القياسي العالمي ! » ثم اخفوا يسحبون الميكروفونات امامهم . اشاروا اليه ان يقول شيئاً .

تردد أليك لحظة . ثم قال : « لقد كان الأدهم في مثل الجودة التي ظنناها به . كنا نعرف انها فيه ، وقد اثبت ذلك اليوم ! »

ثم تدخل المعلق في الحديث وبدأ يسرد تاريخ أليك والأدهم . التقت عينا أليك بعيني جيم نيفيل . لقد اخبرهم !

جاء مالكاً غازي الشمس وأعصار وهناً إليك . قال المستر فولنس : « لم أر شيئاً مثله طوال مدة اشتغالي في السباق » .

وقال المستر هرست : « ولا أنا رأيت مثله ، لا أتصور أنك تفكر في بيعه ؟ »
اجاب إليك مزهواً : « كلا » يا سيدي « سكتهمان الكثير عن هذا الجواد »
ضحك مالك أعصار وقال : « اخشى ذلك » .

واستجابة لطلب المئات من المجتمعين حوله ، أخذ إليك يضع وروده اكليل الزهور الضخم المعقود حول عنق الأدهم ، ثم رمى البقيصة في وسط الحشد .
وخلال ثوان قلائل كان صيادو التذكارات قد اقتطفوا كل وروده .

شب الأدهم نصف شبة على قائمتيه الخلفيتين واقترب نابليون العجوز منه .
ابتمس إليك هنري ولأمة وابيه . حك انف الأدهم ، ثم قاد الجواد الضخم خلال الجمهور عاتداً به الى شوفان النصر المخصص له .

— انتهى —

الفهرس

صفحة	المسهمون في هذا الكتاب
٧	(١) نحو الوطن
٩	(٢) الماصفة
١٥	(٣) الجزيرة
٢١	(٤) اشد المخلوقات كلها وحشية
٣٠	(٥) الإنقاذ
٣٩	(٦) ملك القطيع
٤٨	(٧) إلى البيت
٥٦	(٨) نابليون
٦٧	(٩) الهرب
٨٠	(١٠) البحث
٨٩	(١١) الشرىكان
٩٧	(١٢) التدريب يبدأ
١٠٨	(١٣) ركوب في الليل
١١٦	

١٢٨	(١٤) الإعصار وغازي الشمس
١٣٨	(١٥) الجواد الفامض
١٥٠	(١٦) التحضير
١٦٠	(١٧) شيكاغو
١٦٧	(١٨) سباق المباراة
١٨١	الفهرس



طبع على مطابع دار « مكتبة الحياة » للطباعة والنشر

هَذَا الْكِتَابُ

لَقَدْ شَهِدَ أَيْلِكَ رَامِيسِي الْجَوَادُ الْأَدْهَمَ أَوَّلَ مَرَّةٍ
حِينَ رَسَتْ سَفِينَتُهُ فِي مِينَاءَ عَرَبِيٍّ صَغِيرٍ عَلَى الْبَحْرِ
الْأَحْمَرِ. وَكَانَ الْأَدْهَمُ حَصَانًا ضَخْمًا مَتِينِ الْمَضَلِ،
فَائِقُ الْقُوَّةِ، جَمِيلُ النِّقَاطِيعِ، قَدْ امْتَدَّ عَرَفُهُ كَأَنَّهُ
شَعْلَةٌ سَوْدَاءَ. وَكَانَ قَدْ لَفَّتْ حَوْلَ رَأْسِهِ خُرْقَةٌ
بَيْضَاءَ غَطَّتْ عَيْنَيْهِ فَهُوَ لَذَلِكَ لَا يَرَى. وَقَدْ ارْتَفَعَ
عَالِيًا فِي الْهَوَاءِ وَهَيَأُ رَجْلَيْهِ لِيُرْفَسَ مَنْ يَحَاوِلُ جَرَهُ إِلَى السَّفِينَةِ
وَلَمَّا سَمِعَ أَيْلِكَ رَامِيسِي صَهِيلَهُ وَكَانَ لَا يَشْبَهُ أَيَّ
صَوْتٍ سَمِعَهُ مِنْ قَبْلُ - أَدْرَكَ فَجْأَةً أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى أَشَدِّ
الْحَيَوَانَاتِ وَحْشِيَّةٍ.

وَتَحَقَّقَ حَلْمُهُ فَذَا هُوَ قَدْ أَلْفَ الْأَدْهَمَ وَإِذَا الْأَدْهَمُ
قَدْ أَلْفَهُ وَقَامَ بِدَوْرِ مُهِمٍّ فِي حَيَاتِهِ وَصَاحِبِهِ فِي
رِحَالَتِهِ الطَّوِيلَةِ وَمَغَامِرَاتِهِ فِي أَمْرِيكََا.
إِنَّ الْأَطْفَالَ عَلَى اخْتِلَافِ أَعْمَارِهِمْ سَسَّرَهُمْ
قِرَاءَةَ (الْجَوَادِ الْأَدْهَمِ) لِأَنَّهُمْ قَدْ يَكُونُ أَيْلِكَ
رَامِيسِي: انْغَوْجُ الْوَلَدِ الْأَمْرِيكِيِّ الْمَلُوءِ مَرَحًا وَحَيَوِيَّةً وَشَجَاعَةً

(أَنَّهُ كِتَابٌ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قُرْأَنِهِ)